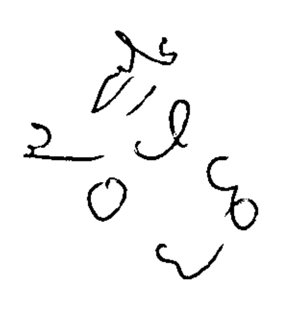




اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني

اعداد الطالب

سليمان محمد علي الدقور

اشراف

فضيلة أ.د.فضل حسن عباس

مستوى التخصص : دكتوراة ، التفسير وعلوم القرآن

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥



كلية الشريعة _ جامعة اليرموك

اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني

إعداد الطالب
سليمان محمد الدقور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في تخصص التفسير وعلوم القرآن الكريم في جامعة اليرموك – اربد / الأردن

وافق عليها

١- أ.د. فضل حسن عباس .... رئيساً
(أستاذ التفسير في كلية الشريعة / جامعة اليرموك)

٢- أ.د. عبد الباسط إبراهيم بلبول.. عضواً
(أستاذ التفسير في كلية الشريعة / جامعة اليرموك)

٣- أ.د. عبد الحميد عبد المنعم مدكور.. عضواً
(أستاذ الفكر والعقيدة في كلية الشريعة / جامعة اليرموك)

٤- د. مصطفى إبراهيم المشني.. عضواً
(الأستاذ المشارك في التفسير في كلية الشريعة / الجامعة الأردنية)

٥- د. يحيى ضاحي شطناوي.. عضواً
(الأستاذ المساعد في التفسير في كلية الشريعة / جامعة اليرموك)

تاريخ تقديم الأطروحة
٨/ ٤ / ١٤٢٦هـ
١٧/ ٥ / ٢٠٠٥م

شكـــــر وتقديـــــر

أتقدم بالشكر والامتنان لكل من أسهم في إعداد هذه الرسالة بكل جهد شارك فيه قلّ أو كثر، فهو عندي كبير.

وكل الشكر والتقدير للمعلم المربي الوالد فضيلة الأستاذ الدكتور العلامة شيخنا فضل حسن عباس حفظه الله ورعاه وأمدّ في عمره ونفع بعلمه المسلمين جميعاً.

كما أشكر الأساتذة الفضلاء الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة وتكبدوا في سبيل ذلك العناء والمشقه فجزاهم الله خيراً.

ولا يفوتني أن أشكر الأخ المفضال صادق دعابس الذي بذل جهداً متميزاً في طبع هذه الرسالة وإعدادها.

الإهـــــداء ....

إلى والدي الحبيب الذي علمني بصبره كل قيم التربية ....

إلى والدتي الحبيبة التي تكبر في عيني كل يوم تقديراً واحتراماً، وأصغر كل يوم في عينيها لتزيدني حباً وحناناً وعطفاً ورعاية....

إلى رفيقة الدرب زوجتي الغالية التي ما شكت يوماً انشغالي بالعلم عنها، بل كانت خير عون على ذلك...

إلى ابنتي الغاليتين نور ومريم.

اعتذار.....

يقول السخاوي :

" السعيد من عدّت غلطاته وما اشتدت سقطاته، وكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك، وهي الدنيا لا يكمل فيها شيء ولا يخلو مصنّف من نشر وطي، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :"حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه" ليس المعنى بوضعه إعدامه وإتلافه، إنما هونقص فيه "[1].

(١) انظر ص١١٨ من هذه الرسالة.

المحتوى

الصفحة

الصفحة

ملخص

لقد اهتمت هذه الدراسة بالحديث عن اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني.

وقد تناولت الحديث عن مفهوم القصة القرآنية وأهم خصائصها وأهدافها. وعن منهج القرآن الكريم في عرض أحداث القصص.

ثم تحدثت عن مفهوم الإتجاه والمنهج، وعن أهميتهما في دراسة العلوم والعلوم الإسلامية، وبخاصة ما يتعلق بالتأليف في القصص القرآني.

وقد عنيت الدراسة بالكشف عن اتجاهات المؤلفين ومناهج التأليف في القصص القرآني، وذلك ببيان اختلاف وتعدد وتنوع هذه المناهج على المساحة الكبيرة الممتدة في جهود الكاتبين والمؤلفين من المحدثين والمفسرين والمؤرخين وفي مجال الدراسات القرآنية والإسلامية، وفي المؤلفات الخاصة بالقصص القرآني. مع بيان مفهوم هذه المناهج وخصائصها والكتب التي تمثلها والقيمة العلمية لها.

وقد اهتمت هذه الدراسة أيضاً بوضع أهم الأسس والمعايير المنهجية في دراسة القصة القرآنية.

كما وضعت منهجاً مقترحاً لدراسة القصص القرآني دراسة تحقق لها الخدمة المطلوبة في الكشف عن أهدافها وقيمها.

الكلمات المفتاحية:-

- قرآن
- اتجاهات
- مناهج
- التأليف
- المؤلفون
- القصص
- القصص القرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد ،،

فقد ظهرت دراسات متعددة وأبحاث قيمة متنوعة ، كان مجالها البحث في التفسير اتجاهاته ومناهجه ، في الوقت الذي كانت فيه الساحة العلمية في حاجة ماسة لذلك النوع من الدراسات الذي تتكشف بها الأفكار والمبادئ والمرتكزات التي تحكم تصور المفسر ، وكذلك تتكشف بها أساليب وطرق هؤلاء المفسرين في بحثهم ودرسهم لموضوع تفسير القرآن الكريم .

وقد كان لهذه الدراسات – بعد ذلك – دور في إبراز القيم العلمية والفنية لهذه الجهود والحكم لها أو عليها .

ولما كانت القصة القرآنية من موضوعات القرآن الكريم التي عرض لها المفسرون على اختلاف اتجاهاتهم وتعدد مناهجهم ، وقد أفردت بمؤلفات خاصة كان لها مساحة واسعة في المكتبة القرآنية .

و لم يقتصر التأليف فيها على جهد المفسرين وحدهم ، إنما تنوعت هذه الجهود بين المحدّث والمؤرخ والمفسر والعالم والمثقف والأديب والقاص .... إلى غير ذلك من الاهتمامات والثقافات المتنوعة التي توجهت نحو القصة القرآنية بالدرس والبحث .

أقول : لما كان ذلك قد حصل ، ووجدناه شاغلاً مساحة لا يستهان بها في التأليف في القصص القرآني ، كان من الضروري أن نقف مع هذه الجهود لدراستها دراسة علمية منهجيه موضوعية منضبطة ، للكشف عن اتجاهاتها ومناهج أصحابها .

إن الكتابة في اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني لا تقل أهمية عن الكتابة في اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين ، بل إن هذه الدراسة متممة لتلك الجهود ، وواقعة في سياقها بما تحققه من خدمة استقصائية تحليلية نقدية لبيان القيمة العلمية لهذه الجهود ولهذه المؤلفات على تعددها وتنوعها .

ومما يزيد في أهمية دراسة اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني غير ما ذكرنا ، أن القصة القرآنية مادة خصبة للتوجيهات والإرشادات ، وتنوع جوانبها الفنية والاجتماعية والتربوية ... إلى آخر ما تحتله القصة من الأهداف التي دفعت كثيراً من الكاتبين للاهتمام بها والتأليف فيها.

ومما يزيد في أهمية ذلك أن القصة القرآنية قد كانت موضعاً تطاول من خلاله أعداء الإسلام والحاقدون عليه ، تطاولوا على ساحة القرآن من خلال ما في القصص من أحداث ووقائع وحقائق تاريخية ومنهج خاص للقرآن الكريم في ذكرها وتكريرها .

من هنا فقد هدفت في دراستي هذه إلى رصد حركة التأليف في القصص القرآني للوقوف من خلال ذلك على اتجاهات التأليف ومناهجه فيها .

وقد اجتهدت قدر طاقتي أن أبرز فكرتها وأقدم نماذج لها بما يتكشف به للقارئ تلك الاتجاهات التي تواردت على دراسة القصص القرآني ، ومناهج الكاتبين في ذلك .

أهمية الدراسة :

وتظهر أهمية الدراسة من عدة جوانب :

أولا: إنها خدمة لكتاب الله تعالى فيما يمثل مساحة واسعة مما شغلته القصة القرآنية ، تزيد على ربع القرآن الكريم .

ثانياً: تستوعب وتستقصي بالتحليل والنقد ، مساحة كبيرة من المكتبة الإسلامية ، احتلته الكتب التي كتبها أصحابها عن القصص القرآني وما خدمت به هذه القصص من التأليف .

ثالثاً: تنظم جهود العلماء والكاتبين الذين كتبوا في مجال القصص القرآني في سياق واحد من الكشف عن هذه الجهود ودراستها دراسة تحليلية ناقدة ، لإبراز ما لها وما عليها ، والدور الذي أدته في خدمة الفكر الإسلامي .

أهداف الدراسة :

خدمت القصة القرآنية في مجالات متعددة تمثلت في جانبين واضحين :

الأول : عرض القصة القرآنية من حيث وقائعها وأحداثها وما يتعلق بذلك ، وهذا الجانب كان له الحظ الأكثر والمجال الأوسع في التأليف .

الثاني : دراسة بعض القضايا الفنية والأدبية والتحليلية المتعلقة بالقصة .

وعلى كثرة الكتابات وتنوعها في القصة وأحوالها واختلاف مستواها ، إلا أن القارئ لا يكاد يجد كتاباً أفرد للحديث عن مناهج التأليف في القصص القرآني ، يجمع جهود الذين كتبوا ، ويعرضها ويكشف عنها ويناقش ما فيها .

من هنا كانت هذه الدراسة التي تسعى لتحقيق جملة اهداف منها :

١- دراسة أهم الكتب – حسب المستطاع – التي ألفت في موضوع القصص القرآني دراسة كاشفة للوقوف على مناهج أصحابها فيها .

٢- تصنيف هذه الكتب حسب مناهج محددة واضحة ليسهل التعامل معها والنظر إليها وتقويمها وفق أسس ومعايير محددة .

٣- الوقوف على تنوع واختلاف مشارب المؤلفين في النظر للقصص القرآني والتعامل مع قضاياه.

٤- بيان مزايا أهم هذه المؤلفات والخدمة التي قدمتها للقصة القرآنية والقرآن الكريم .

٥- تســجيل أهــم الأسس والمعايير العلمية والمنهجية في التعامل مع قضايا القصص القرآني ، ومحاولة رسم منهج علمي واضح له معالمه وحدوده ومفاهيمه في التعامل مع القصة القرآنية والتأليف فيها .

حدود الدراسة :

تعــتمد هذه الدراسة على البحث في القصة القرآنية في جوانبها المتعددة وعلى قراءة الكتب التي ألفت وتحدثت عنها في أهم جوانبها ومجالاتها وقضاياها ، دراسة استقصائية كاشفة للوقوف مع أهم مناهج العلماء في التأليف فيها .

منهجية البحث :

تقــوم هــذه الدراســة على أساس الاستقصاء لجميع المؤلفات في القصص القرآني قدر المستطاع، واستيعاب القضايا التي تضمنتها ، ولذلك سيكون التركيز فيها على المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي ومن ثــمَّ الدراسة التحليلية الناقدة .

الدراسات السابقة :

لم أجد – حسبما اطلعت – كتاباً أفرد في التأليف لهذا الموضوع ، بل إن هذا الأمر على أهميته لم يخدم في كتابات الذين ألفوا في القصص القرآني وغيرها من العلوم الإسلامية ، إلا بعض الإشارات التي نجدها هنا وهناك ومن أوضحها وأظهرها جهود لعلماء ثلاثة :

الأول : ما ذكره الشيخ شلتوت رحمه الله في تفسيره (تفسير القرآن الكريم) حيث أشار تحــت عنوان (مناهج الناس في فهم القصص القرآني) في صفحات معدودة إلى ما يراه من هذه

المناهج وسجل لذلك ثلاثة مناهج ، لكن كلامه على قدره وأهميته جاء إشارات سريعة لا تسعف في هذا المجال .

الثاني : ما سجله الدكتور التهامي نقرة في كتابه (سيكولوجية القصة في القرآن وطرقها) حيث سجل لذلك طرقاً أربعة : التبسيط والتفصيل، التحليل في حدود النص القرآني ، التبسيط والتيسير ، الدراسة للقصص القرآني . لكن ما قاله يبقى في سياق الملحوظات العامة و لم يكن في جانب الدراسة التأسيسية التأصيلية .

الثالث : ما أورده شيخنا الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس – حفظه الله – في كتابه الثاني في القصص القرآني المسمى (قصص القرآن الكريم) تحت عنوان (الكاتبون في القصص القرآني) لكن منهجه في هذا الفصل ، كان في استعراض تاريخ التأليف في القصص القرآني بشكل مختصر جداً ، مع الوقوف مع بعض الكتب التي ألفت في القصص القرآني فوقف مع ستة كتب .

ولما لم يكن هدفه في الكتاب البحث في هذا الجانب من القصص القرآني فقد اكتفى بهذا القدر مع إبداء أهم الملحوظات والتعقيبات على أصحاب هذه الكتب ، وكنا نتمنى أن يفصّل لنا أكثر .

هذا وقد وقع في يدي مسودة كتاب للدكتور أحمد نوفل تحت عنوان (مناهج التأليف في القصص القرآني) ، وجدته قدم بمقدمات لم تتجاوز خمس عشرة صفحة حول مفهوم المنهج والذين تحدثوا عن منهج التأليف في القصص القرآني ، فذكر الشيخ شلتوت والتهامي نقرة والأستاذ الدكتور فضل عباس ، وذكر هو لنفسه مناهج ثلاثة ، ثم بعد ذلك بدأ يتكلم عن مجموعة من الكتب التي كتبت في موضوع القصص القرآني حول ما جاء فيها من قضايا ومسائل.

ودراسته عليها بعض الملحوظات :

- لقد جاءت الدراسة وصفية لبعض المؤلفات ، و لم تكن تحليلية أو نقدية .
- اقتصر في حديثه على بعض الكتب التي لم تشتهر في موضوع القصص .
- لم يتـــناول الحديـــث عن هذه الكتب وفق المناهج التي حددها لنفسه أو وفق أي ترتيب آخر، سواء أكان تاريخياً أم غير ذلك "[1]

من هنا كانت دراستي هذه التي تأتي بعد كل هذه الجهود لتكمل ما بدأوه ، وتتناول الكثير من كتب القصص القرآني بالدراسة ، وتعطي منهجاً مقترحاً في دراسة القصة القرآنية .

هذا وقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول :

تناولت في المقدمة أهمية الدراسة وأهدافها والدراسات السابقة ومنهجي في البحث .

أمـــا الفصل الأول والذي جاء تحت عنوان : التمهيد للدراسة (المنهج والاتجاه والقصة القرآنية) فقد جعلته في مبحثين ، تكلمت في المبحث الأول عن المنهج والاتجاه معرفاً بهما لغة واصطلاحاً ، ثم تحدثـــت عن أهمية المنهج والاتجاه في دراسة العلوم — بشكل عام — والعلوم الإسلامية بشكل خاص ، وما يخص موضوع القصص تحديداً.

أما المبحث الثاني والذي خصصته للحديث حول القصة القرآنية ، فقد تحدثت في المطلب الأول فـــيه عـــن مفهـــوم القصـــة القرآنية ، وفي المطلب الثاني عن أهم أهداف القصة القرآنية وخصائصها ، بما يخدم طبيعة هذه الدراسة التي تهتم بالمنهج والمنهجية .

١– سوف يأتي مزيد من مناقشة هذه الجهود وغيرها في الفصل الثاني من الرسالة إن شاء الله .

والفصل الثاني في هذه الدراسة جعلته تحت عنوان (التأليف في القصص القرآني) قصدت منه الحديث عن أمرين اثنين ، الأول : جهود السابقين في الحديث عن القصص القرآني .

الثاني : قضايا منهجية في دراسة القصص القرآني .

والأمـــر الأول جعلـــته في مبحـــث مستقل استعرضت فيه الجهود السابقة في التأليف في القصـــص القرآني فتكلمت عن المحدثين والمفسرين والمؤرخين وأصحاب الكتب المستقلة وكتب الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن ، وكتّاب المقالات والبحوث .

واستعرضت فيه كذلك الجهود السابقة في الحديث عن مناهج التأليف في القصص القرآني مبيناً آراء العلماء والكتاب الذين أشاروا إلى هذه القضية وتوضيح آرائهم ، فكان هذا هو المبحث الأول .

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل تحدثت عن أمرين اثنين ، الأول : منهج القرآن في عرض القصة وكيف كان للقرآن طريقته الخاصة في ذكر أحداث القصة والتمهيد لها أو التعقيب عليها .

وفي الأمر الثاني تحدثت عن اتجاهات دراسة القصة القرآنية وبينت أنها تمثلت في الاتجاهات التالية :

الاتجاه الفني ، والاتجاه التفسيري ، والاتجاه التوجيهي الارشادي ، والاتجاه المنحرف ، وقد ذكرت مفهوم كل اتجاه وأهم القضايا التي يعرض لها ، وأشهر الجهود التي تمثله

وفي الفصل الثالث والأخير في هذه الدراسة تحدثت عن (مناهج التأليف في القصص القرآني)

تحدثت في المبحث الأول عن مناهج الدراسات التي كتبت حول القصة القرآنية لا في سرد أحداثها ، وقد وجدت لذلك مناهج ثلاثة هي : المنهج الفني التحليلي ، ومنهج التأصيل والتقعيد،

ومنهج المقارنة والموازنة ، وبينت ثَـــمَّ مفهوم كل منهج والقضايا التي يعرض لها وأهم الجهود التي تمثله مع التفصيل في الحديث عن نموذجين أو أكثر عند كل منهج .

وفي المبحـــث الثاني الذي خصصته لمناهج الدراسات التي كتبت في عرض القصة القرآنية تحدثت عن ثمانية هي : السردي النقلي ، التفسيري التحليلي ، المنهج التحليلي ، الأدبي ، المقارن، الموضوعي ، الوعظي الإرشادي ، ومنهج التأليف للأطفال والناشئة .

وفي المبحث الثالث وضعت منهجاً مقترحاً لدراسة القصص القرآني وعرض أحداثه تكلمت في الجانب الأول منه عن المعوقات التي تمنع التقدم بدراسة القصص القرآني دراسة علمية منهجية هادفة ، ثم ذكرت أهم الأسس والمعايير المنهجية لدراسة القصص القرآني .

وفي الجانب الثاني فصلت خطوات المنهج المقترح وهو دراسة تكاملية وموضوعية للقصص القرآني ، تحدثت فيه عن منهج الدراسة التكاملية ، ومنهج الدراسة الموضوعية .

ثم ختمـــت الدراســـة بذكـــر أهم النتائج التي توصلت إليها ، وأكدتها هذه الدراسة ، ثم سجلت أهم التوصيات الضرورية في ميدان دراسة القصص القرآني .

الفصل الأول

التمهيد للدراسة
(المنهج والاتجاه والقصة القرآنية)

المبحث الأول: مفهوم المنهج والاتجاه وأثرهما في دراسة العلوم

المبحث الثاني: مفهوم القصة القرآنية وأهم أهدافها وخصائصها

المبحث الأول
مفهوم المنهج والاتجاه
وأثرهما في دراسة العلوم

المطلب الأول : مفهوم المنهج والاتجاه

المطلب الثاني: أهمية المناهج والاتجاهات وأثرهما في دراسة العلوم

المطلب الأول: مفهوم المنهج والاتجاه

أولاً: المنهج لغةً:

لابد قبل الوقوف على حقيقة ما نفهمه من مصطلح المنهج والاتجاه أن نقف مع المادة اللغوية والأصل اللغوي لكلمة (منهج)، وهي مشتقة من الكلمة الثلاثية (نَهْج).

فالنهج "الطريق الواضح، ونَهَجَ الأمرُ وأنهج: وضَحَ، ومنهجُ الطريق ومنهاجه، قال تعالى:(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: ٤٨][1].

"وهو في الاستعمال: الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال"[2].

والمنهاج والمنهج والنهج بمعنى واحد.

قال ابن منظور: "طريق نهج: بيّن واضح، ومنهج الطريق: وضحهُ، والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: ٤٨].

والمنهاج: الطريق الواضح، وفي الحديث عن العباس: "لم يمت رسول الله ﷺ حتى تركـكم على طريق ناهجة، أي واضحة بينة".

وأنهج الطريق: أي وضح واستبان، وصار نهجاً واضحاً بيناً"[3].

والمنهاج: "الطريق الواضح"[4].

---

(١) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دارا لقلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٨٢٥.

(٢) أبو البقاء الكفوي، أيو بن موسى الحسيني: الكليات، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م، ص ٥٢٤.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا طبعة أو تاريخ للطبع، ج٧، ص ٣٨٣،٣٨٤، وما ذكره عن العباس رضي الله عنه أثر وليس حديثاً.

(٤) أبو البقاء الكفوي: الكليات، ص ٥٢٤

وهو "الخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما، والجمع (مناهج)"[1].

"وخلاصـــة الأقوال السابقة أن مادة (نَهْج) تقوم على: توضيح الأمر وبيانه، وتستعمل في الطـــريق الـــذي يكون واضحاً مستقيماً معروفاً بيناً، بحيث يمكن معرفته وتمييزه، ويسهل سلوكه والسير فيه.

والمنهج والمِنهاج الطريق الواضح البين المستقيم.

ويستعمل (المنهج) استعمالين:

الأول: اســتعمال مادي حسي، حيث يطلق على الطريق الواضحة المستقيمة، التي يعرفها الإنسان، ويتمكن من سلوكها والسير عليها بقدميه.

الثاني: استعمال معنوي نظري، حيث يطلق على الخطة العلمية الموضوعية المحددة المرسومة الدقيقة، التي يتعرف عليها الباحث أو الدارس، ويقف على قواعدها وأسسها، ويلتزم بها، لتكون دراسته علمية منهجية موضوعية صحيحة.

والاستعمالان المادي والمعنوي لمصطلح (المنهج) متكاملان متوافقان، وليسا متناقضين، وهما يقومان على الوضوح والبيان.

ويهمنا في دراستنا الاستعمال الثاني لمصطلح (المنهج)، وهو الاستعمال النظري المعنوي"[2].

---

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٣، ج٢، ص ٩٩٥.

(٢) صلاح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٥/١٦

ثانياً: المنهج اصطلاحاً:

يكـــثر اســـتعمال لفظ (المنهج) في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة وقد يرد بدلالات متعددة ومختلفة بحسب المجال الذي يذكر فيه.

"فـــيُقال: المنهج الإسلامي أو المنهج الماركسي للإشارة إلى النظام المعرفي والرؤية الكلية – الفلسفية- للكون والحياة والإنسان، ويُقال: المنهج التربوي في الإسلام ويُقصد به علم متخصص من العلوم، ويُقال: منهج الشافعي في الأصول أو منهج المعتزلة في الكلام، ويُقصد به المذهب أو المدرسة الفكرية الخاصة بباحث أو مفكر أو عالم، أو بفئة من المفكرين أو العلماء، ويُقال: كان المنهج المستخدم في الدراسة هو المنهج التاريخي أو المنهج التجريبي، ويُقصد به نوع البحث الذي يتضمن طرقاً وإجراءات محددة.

مثل هذا التنوع والتعدد في الاستعمال يوجب محاولة ضبط المصطلح والمفهوم وتحديد دلالاته"(١).

يعرف الأستاذ فارس اشتي المنهج بقوله: هو طرق البحث وإجراءاته في مجال معرفي"(٢).

فهو إذن _أي المنهج- يتحدد من خلال النظر إليه على أنه الوسيلة المحققة لغاية معينة، وأنه مسلك خاص لهذا الباحث في أي مجال معرفي، حيث تختلف طريقه كل واحد عن الآخر.

---

(١) فتحي ملكاوي: منهجية البحث من منظور إسلامي، ورقة عمل قدمت في الدورة الرابعة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، دورة المنهجية الإسلامية، ١٩٩٩، ص١.

(٢) فارس اشتي: مدخل إلى المنهجية في العلوم الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانية، بيروت، العدد الأول، المجلد الأول، ص ٣١.

ثالثاً: تعريف الاتجاه لغةً وصطلاحاً:

الأصل اللغوي للكلمة "وجه":

"يُقـــال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه، والوَجْه والجهةُ بمعنى، والاسم الوِجهَة والوُجهَة، واتجه له رأي سَنَحَ، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به.

والجهـــة والوجهة جميعاً: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده. والوُجاه والتُّجاه: الوجْهُ الذي تقصده"[1].

يُقـــال: اتَّجه، وأصله "أوتجه" لأن فعلها "وَجَه"، فقلبت الواو تاء، فتصبح "اتجه" ومنه المصدر "اتجاه".

ويمكـــن أن نعرف الاتجاه فنقول: هو الجانب أو الموضع الذي يتجه إليه الإنسان ويقصده سواء في كلامه أم فعله.

رابعاً: بين المنهج والاتجاه:

وإذا نظـــرنا بشـــكل أدق إلى الدراسات التي دارت حول القرآن الكريم وتعلقت بقضايا التفسير، فإننا قد لا نجد استعمالاً دقيقاً لمثل هذين الاصطلاحين (المنهج والاتجاه).

وعـــلى الرغم من أن التطبيقات العملية لدراسة هذين المصطلحين في جانبهما النظري قد احتلـــت مســـاحة واسعة في دراسة مناهج المفسرين واتجاهاتهم وطرقهم، إلا أنه لم ترد إلا بعض الإشارات القليلة في تحديد مفهوم واضح لهذين الاصطلاحين في إطار وضع مفهوم محدد لهما.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٨٨٤، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، بلا تاريخ للطبع ولا رقم للطبعة.

ولمـــا كانت دراستنا هذه لا تنفك عن الدراسات القرآنية - إذ هي جزء من الحديث عن تفسير القرآن الكريم- فإننا سنقف في تحديد مفهوم هذين الاصطلاحين مع أصحاب هذا الفن.

"وقد كانت تلتبس فكرة المنهج والطريقة في التفسير – على خصوصيتها بصاحبها- كثيراً بفكرة الاتجـــاه التفسيري – على عموميتها- ومازلنا نقرأ لمتخصصين في هذا الميدان القرآني – ونسمع أيضاً- مـــن يخلـــط بـــين مدلولي المصطلحين، فيطلق لفظ هذا على مدلول ذاك، أو يطلقهما معاً على مفهوم بعينه"[1].

وعـــلى حـــين نجد أكثر الكاتبين في هذا الفن لا يقف عند تحديد مفهوم واضح لأي من هذين المصطلحين ولا يفرق بينهما ابتداءً، فإننا نرى بعض الكاتبين من وقف ليحدثنا عن تصوره الخاص لكل مصطلح:

يقـــول الدكـــتور محمد إبراهيم شريف: "مفهوم الاتجاه يتحدد أساساً بمجموعة الآراء والأفكار والـــنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري – كالتفسير- بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة عـــلى ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها"[2].

وفي ســـياق حديثه عن مناهج المفسرين يقول: "فقد كانت لكل منهم طريقة خاصة ذاتية، بحيث يمكـــن القول باعتبار ما – إن مناهج التفسير تتنوع وتتعدد بتنوع وتعدد المفسرين أنفسهم فلكل منهم

---

(١) محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ص ٦٧.

(٢) محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٦٣.

مســلك خاص في تفسير المفردات مثلاً وعلاقاها ببعضها[١] وكيفية نطقها وما ورد حولها من آثار وما تحمله من دلالات وأحكام"[٢].

ثم يفرق بوضوح بين مصطلح الاتجاه والمنهج فيقول:

"الاتجاه التفسيري: يدل أساساً على مجموعة من المبادئ والأفكار المحددة التي يربطها إطار نظري، وقمدف إلى غاية بعينها...

والمــنهج التفسيري: وهو يدل أساساً على الوسيلة المحققة لغاية الاتجاه التفسيري والوعاء الذي يحتوي أفكار هذا الاتجاه التفسيري أو ذاك"[٣].

وإذا كان الدكتور الشريف يجعل (الطريقة والمنهج) شيئاً واحداً في مقابل (الاتجاه)، وذلك فــيما نقلته عنه سابقاً، فإننا نجد غيره لا يلتفت إلى موضوع الاتجاه ابتداءً، بل يقف مع مصطلح الطــريقة ومصطلح المنهج ليفرق بينهما، فيجعل الطريقة في مقابل المنهج، ويجعل المنهج في مقابل الاتجاه الذي ذكره الدكتور الشريف.

يقول الدكتور صلاح الخالدي: "معظم الباحثين والدارسين لم يفرقوا بين المنهج والطريقة في أبحــاثهم ودراساقم، فهم يخلطون بينهما، ويجعلونهما كلمتين مترادفتين بمعنى واحد، فالمنهج عندهم هو الطريقة، والطريقة هي المنهج"[٤]، ثم يعرف كلاً منهما فيقول:

"المنهج هو الخطة المرسومة المحددة الدقيقة، التي تتمثل في القواعد والأسس والمنطلقات، التي تعرّف عليها المفسر، والتي انطلق منها في فهمه للقرآن الكريم، والتي التزم بها في تفسيره لــه، هذه

---

(١) الصواب أن يُقال: علاقة بعضها ببعض.

(٢) محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد، ص ٦٦.

(٣) محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٦٨.

(٤) صلاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص ١٧.

القواعد والأسس كانت ضوابط له ولتفسيره، حكمته وهو يتعامل مع كتاب الله ويفهمه ويفسره، فلم يخالفها، ولم يخرج عنها.

أمـا الطـريقة: فهي الأسلوب الذي سلكه المفسر أثناء تفسيره لكتاب الله، والطريقة التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها.

وبعبارة أخرى: الطريقة هي تطبيق المفسر للقواعد والأسس المنهجية التي كانت منهجه في فهـم القـرآن، تطبيق تلك القواعد في مختلف ألوان علوم التفسير: كتفسير آيات العقيدة وآيات الأحكام، وآيات الأمثال، وآيات القصص، وغير ذلك"[1].

من جهة ثالثة نجد هناك من عدّ الاتجاه طريقاً سار عليها الكاتب أو المؤلف، بل لقد حصل بعـض الخلـط في تحديـد مفهوم الاتجاه نفسه، فمرة يُقال: هو الطريق، ومرة يُقال: الخصائص والسمات والقضايا الكلية ...

وهـذا هـو الدكتور عبد المجيد محمود يعرف الاتجاه والمنهج في أثناء حديثه عن المدرسة الفقهية للمحدثين حيث يقول:

"نعني "بالاتجاهات" الطرق التي سار فيها المحدثون ليصلوا إلى استنباط الأحكام، مع التجاوز عن المنحنيات اليسيرة التي سار فيها فريق منهم دون إغفال لمفارق الطرق التي تباعد بينهم وبين غيرهم.

أو هي الخصائص والسمات العامة المميزة لفقه أهل الحديث.

أو هي القضايا الكلية التي كانت تحكم المحدثين عند نظرهم في الفقه"[2].

وللتفريق بين الاتجاه والمنهج يعرف المنهج فيقول:

---

(١) صلاح الخالدي: تعريف الدارسين، ص ١٧/١٨.

(٢) عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، مكتبة الشباب، بلا طبعة أو تاريخ، ص ١.

"أمـــا "المنهج" فهو أخص من ذلك، إذ هو الطريق الواضح الذي يبين كيفية التطبيق لهذه القضايا والسمات...

فالاتجاه: عام وصفي. أما المنهج: فهو خاص تطبيقي"[1].

وهو بهذا يلتقي تماماً مع التفريق الذي وضعه الدكتور الشريف كما مرّ سابقاً.

أما الدكتور فهد الرومي – فيقف مع المصطلحات الثلاثة: (الاتجاه) (المنهج) (الأسلوب أو الطريقة) مبيناً ما يقصده بكل مصطلح، يقول:

"والذي أراه أنّ:

الاتجـــاه: هـــو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون.

أما المنهج: فهو السبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم.

وأمـــا الطـــريقة: فهـــي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه"[2].

ويوضح ذلك[3] ببيان أن (الاتجاه) عند المفسر قد يكون مسائل العقيدة وتقريرها، فيكون (اتجاهاً عقدياً).

وقد يسلك أحد المفسرين سبيلاً خاصاً لتقرير العقيدة، كأن يسلك أصول عقيدة السلف، فيكون منهجه (منهج أهل السنة والجماعة).

---

(١) عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، ص ١.

(٢) فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، السعودية، ط٥، ١٤٢٠هـ، ص ٥٥.

(٣) فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، ص ٥٦.

وتختلف طرق المفسرين تحت هذا الاتجاه وهذا المنهج، فقد يكون أسلوبه أو طريقته أسلوب وطريقة (التحليلي) أو (الإجمالي) أو (المقارن) أو (الموضوعي).

والذي أراه أن الفصل أو التفريق بين (الاتجاه) و (المنهج) وفق ما قرره الدكتور الرومي لا يخـدم هـذا النوع من الدراسات، إذ أن المحصلة فيما قاله عنهما واحدة، وما (الاتجاه) إلا دائرة أوسع من (المنهج) حسب كلامه، فهما على ذلك يلتقيان في مفهوم واحد هو (الهدف والغاية).

وفي ضوء ما تقدم من الأقوال والآراء فإنني أؤكد أن هناك فرقاً كبيراً بين الاتجاه والمنهج، ذلك لأن الاتجاه هو الذي يشكل أفكار الكاتب وآراءه والقيم التي يتعامل من خلالها.

ولكـي يحقـق هـذه الأفكار ويبث هذه الآراء والقيم فإنه يسلك طريقاً أو سبيلاً معيناً أو يتبع أسـلوباً خاصـاً يخـدم من خلاله اتجاهه الذي تشبَّع به، وهذا ما يمكن تسميته بالمنهج، ولقد استطاع الزمخشـري أن يخـدم اتجاهـه الاعتزالي بقلمه البياني وأسلوبه البليغ فكان منهجه البياني خادماً لاتجاهه الاعتزالي.

وبهـذا يتضـح أن ثَمّ فرقاً بين الاتجاه والمنهج، ومن الواضح أن للذين كتبوا في القصص القرآني اتجاهات محددة تحكم الإطار العام لآرائهم وفكرهم فيما كتبوا أو ألفوا.

كما إن هناك مناهج متعددة، ولكل كاتب في إيراد الأحداث وتفسير المفردات والألفاظ، وبيان العبر والدلالات وغير ذلك فيما يتعلق بالقصة القرآنية... لكل كاتب منهج خاص من هذه المناهج.

وهـذا ما تحاول هذه الدراسة إن شاء الله أن تكشفه وتحدد معالمه وقضاياه، بحيث تكون الصـورة واضـحة أمـام مـن يقـرأ في القصص القرآني، أو يتناول كتاباً في هذا الموضوع.

المطلب الثاني: أهمية المناهج والاتجاهات وأثرهما في دراسة العلوم:

لقد تعددت وتنوعت اتجاهات الباحثين ومناهجهم في البحث والتأليف في العلوم الإسلامية تحديداً؛ في التفسير وفي الحديث وفي الفقه وفي قضايا العقيدة...

وقد أسهم في هذا التعدد بشكل واضح تعدد التصورات واختلاف القدرات، وهذا في مجموعه يشكل خدمة لهذه العلوم وثراء لها في جوانبها المتعددة.

ويمكن في ظل الحديث عن دراسة العلوم التي يتخصص بها الباحث أن نحدد مجال البحث فيها في جوانب أربعة، أعدها لازمة لكل علم، وهي تشكل في حقيقتها مجال البحث والدراسة الحقيقية لأي علم منها.

ويمكن الاصطلاح عليها بما يلي:-

١- الجانب الفني: واقصد به المسائل التفصيلية التي تشكل موضوع هذا العلم.

٢- الجانب التقعيدي: وأقصد به وضع القواعد العامة والضوابط الخاصة التي تحكم هذه المسائل.

٣- الجانب المنهجي: وأقصد به دراسة الاتجاهات والمناهج التي تحدد جهات البحث والكتابة والتأليف في هذه العلوم، وهي تبرز جهود الباحثين في هذه العلوم في جانبها الفني والأسلوبي والمقصدي.

٤- الجانب التطبيقي: وأقصد به فهم تنْزيل وتطبيق هذه المسائل على المجال الذي يخصها في الواقع البشري.

إن الانـــتقال في دراسة العلوم من دائرة ذكر مسائلها وتفصيل مفرداتها إلى دائرة تقعيدها بوضـــع القواعد العامة التي تحكم هذه المسائل وتوحد بينها وتميز بوضوح شخصية كل علم منها أمر يحتاج إلى جهود مكثفة متواصلة في حركة نشأة وتطور هذه العلوم، وقد تجلى ذلك بوضوح في كـــثير مـــن علوم الشريعة كما كان في أصول الفقه وقواعد مصطلح الحديث وعلوم القرآن وأصول التفسير ... الخ.

إلا أن التحول في دراسة هذه العلوم إلى جانب آخر – لا يقل أهمية عما تقدم- يُعنى هذا الجانـــب بدراســـة الاتجاهـــات والمناهج التي انبثقت عنها هذه الدراسات وأسهمت في تكوينها وتشكيلها...

أقول: إن التحول إلى هذا الجانب يشكل ركناً مهماً في بناء هذه العلوم ودراستها والتعامل معها وفق طريقة تحليلية ناقدة، هذا أولاً.

ولـــيس عجباً أن يظهر اهتمام الباحثين والدارسين بمثل هذا النوع من الدراسات في العصر الحديـــث، ذلك أن هذا الاهتمام انعكاس عن مستوى النضوج العلمي والفكري والتطور الذهني للعقلية البشرية للتعامل مع العلوم.

ثم ثانياً: إن دراسة المناهج والاتجاهات يكشف بوضوح عن أهمية البعد الفكري والمنهجي الـــذي يشكل شخصية الباحث أو الكاتب في تناول العلوم الإسلامية بحثاً وتأليفاً، نقداً وتحليلاً، وبالتالي يسهل الحكم من خلال هذا على النتاج الفكري والعلمي لهذا الباحث أو الكاتب.

وهي قضية مهمة في دراسة العلوم وتأسيس منهج النقد فيها.

كما وإن من أهمية الحديث في المناهج والاتجاهات أن في ذلك خدمة جليلة للجهود العلمية والفكـرية المـبذولة وبلورتها وتقديمها للقارئ في صورة تحليلية ناقدة يمكنه الإفادة منها بشكل واضح، هذا ثالثاً.

وأمـا رابعاً: فإن في ذلك فرصة لتقييم الكثير من مسائل العلوم ، وإعادة صياغتها بشكل جديد.

وخامسـاً: الإسهام في بناء عقلية منهجية عند الباحث، محددة واضحة المعالم تكون قادرة على التعامل مع قضايا العلوم التي يتخصص فيها، في جانبها الفني والتقعيدي والمنهجي والتطبيقي.

وأخيراً فإن ثمرة هذه الجهود المتقدمة في بحث هذه العلوم تظهر في مدى ما يفيد منها واقع الـناس، وتـنعكس فيه آثارها فيما يخدم الأمم ، وينظم حياتها في جميع جوانبها، وهو ما يشكل الجانب التطبيقي لهذه العلوم.

المبحث الثاني
مفهوم القصة القرآنية
وأهم أهدافها وخصائصها

المطلب الأول : مفهوم القصة القرآنية

المطلب الثاني: أهم أهداف القصة القرآنية وخصائصها

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية:

أولاً: معنى القصة في اللغة:

مادة "قَصَصَ" في اللغة

يقول الإمام اللغوي ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): قصَّ: أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر: إذا تتبعته.

ومن ذلك اشتقاق : "القِصاص" في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل ما فعله بالأول، فكأنه اقتص أثره.

ومن الباب: القصة والقَصَص: كل ذلك يُتَتَبّع فيُذكر.

وأما الصدر فهو القَصّ، وهو عندنا قياس الباب لأنه متساوي العظام، كأن كل عظمة منها يَتبعُ الآخر.

ومن الباب: قصُّ الشعر: وذلك أنك إذا قصصته فقد سوّيت بين كل شعرة وأختها فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها"[1].

ويقول الإمام الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): "القصّ: تتبع الأثر. يُقال: قصَصت أثره. والقَصص: الأثر. قال تعالى: (فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾) [الكهف: ٦٤].

والقَصَص: الأخبار المتتبعة. قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ) [آل عمران: ٦٢][2].

---

(١) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٨٢٦.

(٢) الراغب: المفردات، ص ٦٧١.

والإمـــام أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هــ) يقول: "القصة: هي الأمر والخبر. وقصصت الحديـــث: رويته على وجهه. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]، أي نبين لك أحسن البيان، وقصّ عليه الخبر قَصصاً- بالفتح.

والقِصص: بالكسر: اسم جمع القصة"(١).

ثانياً: الفرق بين (القصص) بالفتح والكسر:

يقـــول ابـــن منظور: "القَصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه.

والقِصص: بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب"(٢).

وقـــد نقلـــنا قبل قليل كلام الإمام أبي البقاء الكفوي إذ يقول: "قَص عليه الخبر قَصصاً، بالفتح، والقِصص بالكسر: اسم جمع القصة"(٣).

فـــإذا كـــان القِصص – بكسر القاف- جمع قصة، فالإشارة بذلك تكون إلى الأحداث والأخبار والأمور التي جمعتها القصة وحوتها. يقول صاحب تاج العروس: "القِصة بالكسر: الأمر والحديث والخبر"(٤).

أمـــا القَصـــص، بالفتح فهو الخبر المقصوص، فالإشارة هنا تكون إلى طريقة قص الأخبار وعرض الأحداث، وهو كما قال الكفوي: "قص عليه الخبر قَصصاً"، بالفتح، وليس بالكسر.

---

(١) الكفوي: الكليات ، ص ٧٣٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص ٧٤.

(٣) الكفوي: الكليات، ص ٧٣٤.

(٤) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الإمام: تاج العروس، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م، ص ٤٢٤

والقـــرآن الكريم استعمل لفظ (القصص) بالجمع، وقد ورد هذا اللفظ ست مرات- و لم يستعملها إلا بالفتح، ولعل في ذلك إشارة إلى تميز طريقة القرآن وأسلوبه في عرض هذه الأحداث والوقائع التي تضمنتها قصصه، كما تميز من قبل بذكر الأحداث والأخبار الصحيحة التي لا خيال فيها.

والدكتور عبده إبراهيم بلبول بعد أن ساق بعض التعريفات اللغوية لمادة (قصص) ذكر أنه تبينت له من ذلك أمور أربعة:

"الأول: أن القصص معناه المتابعة، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى.

الـــثاني: إن هـــذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان، وسرد الأحداث بصدق، والقطع بصحته، فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته، ولا تزيد فيه ولا تنقص.

الثالث: الاسم من القصة "القصص" وضع موضع المصدر، والجمع قِصص بالكسر. وجمع الجمع أقاصيص، وقد صح لغةً أنه جمع الأقصوصة.

الرابع: كما أنه يُطلق على القص البيان والأمر والحديث والخبر يطلق عليه الحكاية ... ولا تُطلق بهذا الاسم على قصص القرآن تأدباً؛ لأن الله تعالى لم يسمه إلا بالقَصص.

ومع أن القصة تُطلق على الرواية، لا يُقال لقصص القرآن روايات كما لم يُقل له حكايات –لأن الله تبارك وتعالى لم يسمه بذلك"[1].

(١) عبده ، إبراهيم محمد بلبول: القصص القرآني، رسالة دكتوراه في التفسير، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة ، مصر، ص ٣٣-٣٥ بتصرف، وتجدر الملاحظة هنا إلى أن هذا هو اسم صاحب الرسالة كما هو مدون عليها، وقد علمت منه – حفظه الله- أنه كان يحب اسم عبد الباسط منذ صغره، وقد تسمى به.

أمـــا الدكـــتور صلاح الخالدي فقد ذكر بعد نقل كلام ابن فارس والكفوي والراغب في تعريف مادة (قَصص) أن "الخلاصة من الأقوال السابقة أن مادة (قَصص) تقوم على التتبع، سواءً كـــان التتـــبع ماديـــاً كقص العظام، وقص الشعر، وقص الأثر، أو[1] كان التتبع معنوياً، كقص الأخبار، وقص الكلام.

وهذا التتبع والقص لا بد فيه من أمرين:

الأول: تتبع الشيء أو الخبر كما هو، وعلى وجهه الصحيح الذي حدث عليه.

الـــثاني: التساوي عند التتبع، والحرص على المساواة أثناء المتابعة، ففي القص المادي تكون المســـاواة ماديـــة ملحوظة، فقص الشعر والحجر والعظم يكون بوضع الجميع على قص ومقاسٍ واحد، لا يطول ولا يقصر.

وفي القـــص المعنوي للروايات والأخبار: لابد من المساواة عند التتبع والمتابعة، بأن يكون الخبر مروياً ومقصوصاً كما هو، لا يزيد القاص شيئاً من الأحداث والإضافات على الأصل، فعليه أن يكون كلامه مساوياً للخبر الواقع من قبل، بدون زيادة ولا نقصان"[2].

وفي الحقـــيقة أن هذين الأمرين اللذين جعلهما الدكتور الخالدي شرطين للقصص، يعودان لمعنى واحد وشيء واحد، فإن تتبع الشيء أو الخبر على وجهه الصحيح الذي حدث عليه كما هو يقضي التساوي وعدم الزيادة أو النقصان، فما كان ثم حاجة لذكر هذا التعيين.

---

(١) الصحيح أن يُقال (أم) فهي المعادلة كما جاء في قوله تعالى: "وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝" [يس: ١٠].

(٢) صلاح الخالدي: القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٠.

ثالثاً: استعمال القرآن لمادة (قصص) بالمعنى اللغوي والاصطلاحي:

وردت مادة "قصص" في القرآن الكريم ثلاثين مرة باشتقاقات وتصريفات متعددة، وذلك على النحو التالي:

- في صورة الفعل الماضي: أربع مرات.
- في صورة الفعل المضارع: أربع عشرة مرة.
- في صورة فعل الأمر: وردت مرتين.
- وفي صيغة "القصص" الجمع ست مرات.
- في صيغة "القِصاص" أربع مرات.

وقد اعتمد الدكتور بلبول[1] في تقسيم المادة التي وردت في القرآن شكلاً مختلفاً، فقد اعتمد أمرين:-

الأول: المعنى اللغوي، حيث ذكر أنها وردت مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ) [القصص:١١]، أي تتبعي أثره .

الثانية: في قوله تعالى: (فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾) [الكهف: ٦٤]، أي اقتصاصاً وتتبعاً للأثر.

الثاني: المعنى الاصطلاحي، بعد النقل من اللغة، فقد ذكرها القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة، منها قوله تعالى: :

- (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ) [آل عمران: ٦٢].

---

(١) بلبول، القصص القرآني، ص ٣٧/٣٦.

- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٠٠].

وهـــو عـــلى هذا لم يُشر إلى المرات الأربع التي وردت بصيغة "القصاص" وكان حرياً أن يدخل هذا النوع تحت المعنى اللغوي، فالمادة اللغوية واحدة.

وعليه نحدد الأمر بدقة فنقول إن مادة (قصص) وردت في القرآن بالمعنى اللغوي ست مرات هي:

- آيات القصاص الأربع [البقرة: ١٧٨/١٧٩/٢٩٤] و [المائدة: ٤٥].
- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١].
- في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤].

وبالمعنى الاصطلاحي ذكرها القرآن أربعاً وعشرين مرة هي ما تبقى من الآيات غير الستة المتقدمة الذكر.

ويمكن استخلاص النتائج التالية من خلال النظر إلى هذه الآيات الكريمة[1]:

أولاً: لم ترد كلمة (قصص) منصوبة منونة نكرة في القرآن الكريم إلا مـــرة واحـــدة في قولـــه تعـــالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤]، أي مقتصين أثر الأقدام اقتصاصاً[2].

---

(١) انظر في بيان ذلك بعض ما قاله الدكتور صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج١، ص ٢٤.

(٢) ذكرها الدكتور الخالدي، ولا أرى أنها يمكن أن تعد من النتائج التي تستخلص، فما السر في كونها وردت منصوباً؟ وهل تعلقت حكمة ما في ذلك؟ وما معنى أن تكون في غير هذه الآية منصوبة غير منونة، أو أن ترد فعلاً سواء أكان ماضياً أم مضارعاً؟ فما دام لم يتعلق بورودها على هذا النحو فائدة فلا يعد ذلك لطيفة أو غيرها، وقد ذكرتها هنا لأجل التوضيح، والله أعلم

ثانياً: تعدد إسناد (القصص) في القرآن الكريم إلى أكثر من فاعل:

١- الإسناد إلى الله تعالى، فهو تعالى الذي يقص على رسوله قصص السابقين: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقد كان هذا أكثر الحالات وروداً، حيث زادت على عشر مرات.

٢- الإسناد إلى الرسل في مجموعهم، حيث يقصون آيات الله على الناس، ورد ذلك في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

٣- الإسناد إلى موسى عليه السلام، وذلك فيما جرى بينه وبين الرجل الصالح عندما غادر مصر إلى ارض مدين، وقص على هذا الرجل الصالح ما جرى معه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

٤- الإسناد إلى رسول الله ﷺ، حيث أمره الله تعالى أن يقص القصص الذي أخبره الله تعالى به ليكون في ذلك العبرة والعظة لهم لعلهم يتفكرون ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

٥- الإســـناد إلى أم موســـى عندما أمرت ابنتها أن تتابع سير التابوت الذي فيه موسى لتعرف أين يستقر بعد جريه في اليم (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾) [القصـــص: ١١]، على أنْ يلاحظ أنّ ورود هذا المعنى هنا كان بالمعنى اللغوي وليس الاصطلاحي.

ثالـــثاً: وُصِـــف قصص القرآن الكريم بأكثر من وصف بياناً لحقيته والغاية منه، فوصف مرة بأنه القصص الحق: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾) [آل عمران: ٦٢].

ووُصِف أخرى بأنّ فيه عبرة وعظة: (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾) [يوسف: ١١١].

رابعاً: إنه كما تكون الدقة والضبط في سوق أخبار الأنبياء والسابقين وأقوامهم في القرآن الكريم يجب أن تكون الدقة في تحقيق مبدأ القصاص الذي يقضي بتتبع الفعل، فيفعل بالجاني كما فعل هو بالمجني عليه، وهذا فيه إشارة إلى غاية العدل.

خامساً: من خلال إمعان النظر في دلالات الآيات التي تحدثت عن مادة (قصص) في القرآن يمكن التأكيد على أنها وردت بالمعاني اللغوية[1] التالية:

١- بمعنى الأمر والحديث والخبر المتتبع، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ) [آل عمران: ٦٢]، (وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ) [القصص: ٢٥]، (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾) [الأعراف: ٩].

٢- بمعنى البيان والإعلام، ومنه قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ) [يوسف:٣]، أي نبين لك ونعلمك بذلك أحسن البيان وأحسن الإعلام.

٣- المتابعة والتتبع للأثر، ومنه قوله تعالى: : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ) [القصص:١١]، وقوله تعالى: (فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾) [الكهف: ٦٤].

رابعاً: القصة القرآنية اصطلاحاً:

يقول الدكتور محمد حجازي: "فالاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت وتنقيب عن أحداث نسيها الناس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يُراد من ذلك هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير الناس بها، ولفتهم إليها، لتكون العبرة والعظة"[2].

---

(١) ذكر السيد محمد خير العدوي هذه المعاني وزاد عليها معنيين آخرين، وهما: الحفظ/ والقطع، انظر كتابه: معالم القصة في القرآن، ص٣٠/٣١، وإنما لم أذكرهما هنا لأنني لم أجد أنه قد ذُكر في القرآن الكريم في الاستعمالات اللغوية لمادة (قصص) آية بأحد هذين المعنيين.

(٢) محمد محمود حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م، ص ٢٨٩.

يقـول الدكـتور بلـبول: القصص القرآني هو "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسـلهم، ومـا حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات من كائنات بشرية، أو غير بشرية، بهدف الهداية والعبرة"(١).

ويعرفها ابن عاشور بقوله هي: "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها،فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"(٢).

ويـرى الدكـتور عبد الكريم الخطيب أن: "القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن ... فهو – والأمر كذلك- وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة ..."(٣).

ثم يقول: "هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدّث به من أخبار القرون الأولى في مجـال الرسـالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"(٤).

ويذكـر لهـا السـيد محمد خير العدوي تعريفاً فيقول: "هي كل خبر موجود بين دفتي المصحف أخبر به الله تعالى رسوله محمداً بحوادث الماضي ، بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفراداً وجماعات"(٥).

وفي ضوء ما تقدم يمكن تسجيل النقاط المنهجية التالية:-

---

(١) بلبول، القصص القرآني، ص ٣٦.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج١، ص٦٤.

(٣) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م، ص ٤١.

(٤) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ٤٢.

(٥) محمد خير محمود العدوي: معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوي، عمان الأردن،ط١، ١٩٨٨م، ص ٣٣.

١- إن المقصود بالقصص يجب حصره في الأخبار الماضية على وقت نزول القرآن الكريم.

٢- إن سـيرة النبي ﷺ لا تعد من قبيل قصص الأنبياء؛ لأنها ليس من الماضي الذي حدث قبل نبوته ﷺ ، بل هي أحداث ووقائع عايشها المسلمون لحظةً بلحظة في حياتهم اليومية.

يقول الدكتور بلبول: "وبهذا نرى أن حكاية القرآن عما حدث ليسدنا محمد ﷺ مع قومه لا يُعـد من قصص القرآن، وذلك كغزواته وزواجه وما حدث بينه وبين أصحابه، ويؤيد ذلك قوله تعالى:(كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ) [طه: ٩٩].

٣- إن قصص القرآن ليست حصراً في أخبار الأنبياء عليهم السلام، بل تتعدى ذلك لتشمل ما جـاء مـن القصـص كقصة أهل الكهف، وأصحاب الجنة، وأصحاب الأخدود ... الخ.

المطلب الثاني: أهم أهداف القصة القرآنية وخصائصها:

أولاً: أهداف القصة القرآنية:

إن أهـــداف القصة القرآنية الخاصة منها والعامة تلتقي بالأهداف العامة للقرآن الكريم، لا تنفصـــل عـــنها، بل تكملها في إبراز الهدف العام لهذا القرآن الذي أنزله الله تعالى للناس هدى وشفاء.

لذا فإن الحديث عن أهداف القصة القرآنية هو جزء من الحديث عن أهداف القرآن الكريم بشـــكل كـــامل، بل لن نكون مبالغين إذا قلنا: إن جميع الأهداف التي جاء لها القرآن الكريم قد احتلت مساحة واضحة في القصة القرآنية، فيما تناولته هذه القصص من الأحداث، وما تضمنته هذه الأحداث من قضايا أساسية في الهداية القرآنية، وما فصلت فيه من عناصر العقيدة الأساسية التي جاء القرآن الكريم يدعو إليها.

و"في القـــرآن الكريم أكثر من شكل تعبيري من خطاب وحوار وقصة، وكلها في القرآن معجز ببيانه وبلاغته، وكلها يلتقي على الأهداف المتوخاة ذاتها من التأثير على عقل المتلقي وقلبه ووجدانه وهدايته إلى ما فيه خيره وسعادته في الدارين.

والقصـــة القرآنية قصة هادفة، فهي ليست حلية للنص القرآني، أو ترفاً فنياً أو تأريخاً لمجرد التأريخ أو سرداً لمجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذ في المـــتلقي – فإنها صدق لا خيال فيه، وحق لا زيف فيه، وبما أن مصدر القصة القرآنية هو القرآن نفسه، وهو الوحي الإلهي- فالأهداف المتوخاة منها هي الأهداف ذاتها المتوخاة من أشكال التعبير

الأخرى في القرآن الكريم، غير أن للقصة تأثيراً نفسياً ووجدانياً ذا طابع خاص لما فيها من عرض أحداث تبث فيها الحياة، فتعرض أمام المتلقي كما لو كانت ماثلة أمامه وإن كانت لأقوام مضوا.

لم يغفل القرآن الكريم أياً من أشكال التعبير النثري التي تحقق أهدافه وغاياته السامية كالقصة والخطاب والحوار، كما لم يغفل أياً من أنماط الكلام خبراً وإنشاءً، وأياً من أساليب المخاطبة، سواء بالأمر والنهي والزجر والوعظ والترغيب والترهيب المباشر، أم ببسط الحقائق بصورة مباشرة، أم بعرض ذلك كله في شكل صورة أو مثل أو قصة. أما لماذا كان هذا هو الشأن؟ فلأن البشر يختلفون في طبائعهم واستعداداتهم، فمنهم من يتأثر بالقصة وما فيها من تأثير وجداني حي، ومنهم من تقنعه البراهين والحجج العقلية، ومنهم من يتأثر بالترغيب والترهيب. لذا يأتي الحث على فضيلة معينة أو النهي عن رذيلة معينة في أكثر من قالب تعبيري، وقد ترد هذه القوالب التعبيرية مستقلاً بعضها عن الآخر، وقد تجتمع، وغالباً ما تجتمع في القصة القرآنية، فتأتي جامعة للأحداث والحوار والخطاب بما فيه من أمر ونهي، وربما ختمت القصة أو بدئت بذكر الموعظة المستخلصة منها بشكل مباشر، فإذا ما اجتمع في القصة أكثر من قالب تعبيري كانت أوسع تأثيراً لقطاع كبير من المتلقين على اختلاف ميولهم وطبائعهم"(١).

يقول سيد قطب -رحمه الله-

"القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه - كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق- إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية.

---

(١) فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٤٣/٤٤.

والقــرآن كــتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.

شــأنها في ذلك شأن الصور التي رسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها... إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات.

وقــد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريق عرضها وإدارة حوادثها، لمقتضى الإغراض الدينية"[1].

"والقصــص القــرآني ركن من أركان الدعوة الإسلامية؛ لما له من تأثير نفسي، وهيمنة على القلــوب، تتأثر به النفوس، بل يمس العواطف عند سماعه، ويسيطر على العقل والتفكير، حتى يدفع الإنســان إلى عــدم الــتفكير فيما سواه، وذلك للأتقياء وغيرهم، ذلك أن الآخرين يشعرون أنهم المقصــودون بهذا الكلام ، والنتائج التي تترتب على فعل غيرهم يمكن أن تترتب عليهم، ومن حيثُ اشتراكُهم جميعاً في السلوك والنتائج التي لا ترفع مستوى الإنسانية، ويُستفاد من هذه القصص أكثر لــو أنهــا دُرست بفهم ، وعاش معها الإنسان في وحدات متناسقة، وأمكن الوصول بها إلى غايات محــددة، واعتبرت هذه الغايات مناهج يعيش عليها الإنسان، والداعي إلى الحق يلزمه بالضرورة أن يســتند إلى هذا القصص باعتباره تراثاً ضخماً صادقاً، للتعرف على ماضي الأمم وسنة الله فيهم. (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝) [إبراهيم: ٥]"[2].

---

(١) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت/القاهرة، ط٧، ١٩٨٢، ص ١٤٣.

(٢) بلبول، القصص القرآني، ص ١١٧.

هـــذا وقد وجدنا اهتماماً واضحاً عند العلماء والكتاب في إبراز أهداف القصة والأغراض التي سيقت لأجلها في القرآن الكريم، وذلك على مستوى ما نجده في بعض مقدمات التفاسير، أو في الكتب المستقلة التي تحدثت عن قضايا القرآن الكريم، أو التي تناولت موضوع القصص القرآني بشكل خاص.

واللافـــت للانتباه عند قراءة هذا الموضوع في هذه الكتب على كثرتها وتنوعها واختلاف مشارب أصحابها، أن معظمهم يرد على حوض واحد، وهو ما كتبه الشهيد سيد قطب - رحمه الله- في كـــتابه (التصوير الفني في القرآن) ، ولكن هذا لا يمنع أبداً أن تكون هناك زيادات كثير وواضحة عند بعضهم.

ولأجـــل تعميم الفائدة وإبراز حسن الترتيب والتفصيل، فإنني جمعت أكثر الذي سُجل في موضـــوع الأهداف والأغراض عند أشهر من كتب في هذا الموضوع، وأعدت ترتيبها وتنظيمها حتى تكون متسقة تامة إن شاء الله تعالى[1].

---

(١) من الكتب التي اهتمت بإبراز هذا الجانب:
التصوير الفني: سيد قطب.
قصص القرآن الكريم: د. فضل حسن عباس.
القصة في القرآن: محمد قطب.
القصص القرآني: عبده بلبول.
معالم القصة في القرآن: محمد خير العدوي.
قصص القرآن: عبد السلام علوش.
القصة في القرآن: د. محمد سيد طنطاوي.
القصص القرآني: السيد عبد المقصود عسكر.
أهداف القصة في القرآن: منصور الرفاعي عبيد.
وانظر: تفسير المنار، ج١٢، ص ٤١-٤٢.
كما قد أفدت في ذلك من محاضرات ألقاها علينا أستاذنا الدكتور محمد حجازي – حفظه الله- في مادة علوم القرآن، برنامج الدكتوراه عام ٢٠٠٠م.

وقد جعلتها في نقاط أساسية عامة، تحت كل واحدة مجموعة من الأهداف والأغراض مع التمثيل بمثال أو أكثر، لعله بذلك يتحقق أكبر قدر ممكن من الفائدة والمنفعة.

أولاً: من الأهداف التي ذكرها القرآن الكريم – بشكل صريح– أهداف ثلاثة للقصص القرآني، نص عليها في سياق حديثه عن بعض قصصه.

الهدف الأول: الدعوة إلى التفكر بشحذ العقول والأفكار:

وقـد ورد هذا الهدف في التعقيب على قصة الذي انسلخ من آيات الله، وسار مع الباطل فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، وكان بإمكانه إن يرتفع في عالم الفضل والهدى والعزة والكرامة.

يأمـر الله تعـالى نبـيه أن يقص القصص على الناس من مثل هذه القصة وغيرها لعلهم يتفكرون ويتعظون، فيحصل لهم بذلك المنفعة والمصلحة، (فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ) [الأعراف: ١٧٦].

"إذن من أهداف القصص القرآني تفكر الناس واتعاظهم، لأن الأصل أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم بما يسمعون من حوادث القصص القرآن ، وأن يعتبروا بما جرى للهالكين، وأن يقتدوا بالصالحين.

والـتفكير واجب قرآني وفريضة إسلامية لا يجوز تعطيلها، ومن لم يتفكر ويتعظ بما جرى للسابقين فهو أعمى القلب والعقل والبصيرة.

يقول تعالى: (أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾) [الحج: ٤٦]"[1].

(١) صلاح الخالدي، القصص القرآني، ص ٣٣.

الهدف الثاني: تحقيق الاعتبار والاتعاظ:

وقـد جـاء هذا الهدف في التعقيب على قصة يوسف عليه السلام في الآية الأخيرة من السـورة لبيان الهدف من هذه القصة ومثيلاتها في القرآن الكريم، إنه تحقيق العبرة والعظة، وليس التسلية أو مجرد المتعة القصصية أو الرواية التاريخية.

إنـه الاعتـبار بما جرى للسابقين والإفادة من ذلك، وأولوا الألباب هم الذين يتحقق لهم ذلك.

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾) [يوسف: ١١١].

"والعـبرة والعظات التي نأخذها من قصص القرآن الكريم لها صور شتى، منها: بيان حسن عاقـبة المؤمـنين، الذيـن ثبتوا على الحق، وابتعدوا عن الباطل، وتابوا إلى الله تعالى توبةً صادقة وشكروا الله تعالى على نعمه، بأن استعملوها فيما يرضيه لا فيما يسخطه...

ونرى نماذج لذلك في قصة سُليمان –عليه السلام- الذي آتاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فلم يبطره هذا الملك، و لم تشغله عن ذكر الله تعالى، بل قال كما حكى القرآن عنه: (هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) [النمل: ٤٠].

ومنها: بيان سوء عاقبة المكذبين، الذين أصروا على كفرهم، و لم يستمعوا لنصائح أنبيائهم، واستحبوا العمى على الـهدى، وجحـدوا نعم الله – تعالى- واستعملوهـا في المعاصي لا في الطاعات.

ونرى نماذج لذلك في قصة قارون الذي آتاه الله – تعالى- من النعم ما آتاه، فلم يشكر الله على نعمه، بل قال بكل غرور وصلف ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨]"[١].

وأولــوا الألباب هم الذين يعتبرون ويتعظون بهذه المواقف والأحداث، فيقتدون بأصحاب المواقف الإيمانية الصادقة، ويحذرون ويجتنبون مواقف الكفار الفاسدين.

الهدف الثالث: تثبيت فؤاد النبي ﷺ :

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ﴾ [هود: ١٢٠].

جــاءت هذه الآية في التعقيب على ذكر مجموعة من قصص الأنبياء الذين ذكرهم سورة هــود علــيه السلام، وهم: نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشُعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إن هــذا القصص تزيد يقين النبي ﷺ أنه على الحق، وهو يثبت فؤاده ببيان أنه ليس وحده مــن سار على طريق الدعوة والرسالة وواجه فيها ما واجه بل سبقه عليها أخوة له من أنبياء الله الكرام، فليصبر كما صبروا.

ويثبــت فــؤاده ببيان أن عاقبة الكفار الهلاك والعذاب، وأن عاقبة الأنبياء والدعاة الفوز والنصر.

والقصص القرآني تثبيت لقلوب أتباع رسول ﷺ، ولقلوب الدعاة إلى الله تعالى، وهي تزيد ثقتهم ويقينهم بالله وما وعَدَ به.

---

(١) محمد سيد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، نهضة مصر، ط١، ١٩٩٦م، ص ١٠/١١.

ثانياً: من أهداف القصة القرآنية في جانب العقيدة:

كـــان اهتمام القرآن الكريم بموضوع العقيدة، وبخاصة في العهد المكي واضحاً ظاهراً، وإذا كـــنا نعلم أن غالب القصص القرآني قد ورد في القرآن المكي فإن هذا يشير إلى ما يمكن أن يحتله موضـــوع العقيدة من مساحة في هذه القصص ، وقد تمثلت في القصص القرآنية أهم موضوعات العقيدة التي جاء القرآن مرسخاً لها ومؤكداً لها.

ومن الأهداف التي يمثلها هذا الجانب:

١- الدعوة إلى توحيد الله –تعالى– والقضاء على كل مظاهر الشرك.

فقـــد جاء في هذه القصص تقرير الإيمان بالله تعالى وتوحيده، ووجوب إخلاص العمل له، وبيان حسن التوحيد ووجوبه، وقبح الشرك وسوء عاقبته.

يقول تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾) [النحل: ٣٦].

ويقول تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾) [الأنبياء: ٢٥].

إذن هذه هي قصة الدعوة إلى الله تعالى، إنها قصة الرسل الذين بعثهم الله تعالى للدعوة إلى هذه الحقيقة وتوكيدها، وهي أنه لا إله إلا الله ...

قد كانت هذه قضية القرآن الأولى، ومن هنا فقد أكدها بشكل واضح من خلال القصص التي تتحدث عن الوحدانية.

يبين لنا القرآن الكريم شأن نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى التوحيد:

(إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝...) [نوح: ١-٤]، إلى آخر هذه السورة الكريمة التي بينت دعوة نوح قومه إلى الإيمان بالله وتوحيده وأنه هو الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض، وأنه قادر على كل شيء سبحانه.

وفي قصة إبراهيم عليه السلام تأتي هذه القضية واضحة أيضاً في قصة تحطيمه للأصنام وإقامة الحجة على المشركين بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، وأنها لو كانت تحسن ذلك لحمت نفسها مما فعله بها إبراهيم عليه السلام، انظر الآيات (٥١ إلى ٧٣) من سورة الأنبياء.

وكذلك في قصته مع قومه مع النجم والقمر والشمس، انظر الآيات (٧٥-٧٩) من سورة الأنعام.

وهذا يوسف عليه السلام في السجن يغتنم الفرصة ليؤكد هذه الحقيقة في دعوته إلى الله تعالى ووجوب توحيده: (يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝) [يوسف: ٣٩]، ويؤخر تعبير الرؤيا المهمة للسجينين ليوصل لهما لأهم عنده.

هكذا برزت الوحدانية في القصص القرآني، وقد تجلت في دعوة الأنبياء جميعاً[١].

---

(١) يمكن أن تكون هناك دراسة مستقلة علمية تبحث في هذا الجانب ، وهو منهج الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد وتجليتها.

فنوح عليه السلام يقول: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢].

وعن إبراهيم عليه السلام يقول ربنا: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

وفي حقه وحق إسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وعن لوط عليه السلام يقول تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦].

وهذا يوسف عليه السلام يدعو ربه فيقول: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

وسُليمان عليه السلام يدعو ملكة سبأ وقومها بقوله: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٣١].

وموسى عليه السلام يؤكد هذه الحقيقة بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

وبعد هذا كله يأتي توكيد ذلك في حق رسولنا الكريم محمد ﷺ، يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤].

ويقول تعالى: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣].

ويقول تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر: ١٢].

فهذه الأولية[1] لم ترد إلا للرسول محمد ﷺ.

إن الدعــوة لتوكيد هذا الأمر –أمر أن الدين عند الله الإسلام– ووجوب الالتزام بذلك وإســلام الإنسان أمره إلى خالقه– قد أكده القرآن الكريم كما هو واضح فيما نقلناه من دعوة الأنبــياء هذه، وقد جاء التوكيد عليه بوضوح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٣- بيان الهدف من خلق الإنسان وهو عبادة الله تعالى وإفراده بالعبودية:

فقد أكدت دعوة الأنبياء إلى أقوامهم هذا الأمر وتناولته بعبارة واحدة واضحة جرت على لسان كل نبي، كما جاءت أيضاً هذه القضية في القرآن الكريم مؤكدة واضحة.

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) قد ورد للنبي محمد ﷺ أوّلية في العبادة في قوله تعالى "قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١" [الزخرف:٨١].

كما ورد لموسى عليه السلام أوّلية في الإيمان في قوله تعالى من الآية: ١٤٣ من سورة الأعراف "وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ".

وورد كذلك أوّلية لسحرة فرعون لَمّا آمنوا بالله تعالى، جاء ذلك في قوله تعالى: "إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١" الشعراء/٥١، وهي أولية مخصوصة، ودراسة هذه القضايا فيها لطائف ليس مجال بسطها في هذه الرسالة.

هذا نوح عليه السلام يقول عنه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وعن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [هود: ٥٠].

وهكـذا الأمـر مع بقية الأنبياء عليهم السلام،وقد جـاء الأمر لهذه الأمة المسلمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

٤- تحقيق شهادة هذه الأمة على بقية الأمم:

وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

عـن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "يجيء نوح وأمته، فيقول الله: هـل بلغت؟ فيقول: نعم أي ربِّ! فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاء لنا من نبي، فـيقول لـنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط: العدل، فيدعون، فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم"[١].

وفي لفظ النسائي: "قال رسول الله ﷺ: يجيء النبي يوم القيامة معه الرجل، ويجيء النبي معه الـرجلان، ويجيء النبي معه أكثر من ذلك، فيُقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعون،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٣٩ ، ٤٤٨٧ ، ٧٣٤٩).

فيُقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيُقال: من يشهد لك؟ فيقول: أمة محمد ﷺ، فتدعى أمة محمد فيُقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون" أخبرنا نبينا ﷺ أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، فذلك قوله: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ) [البقرة: ١٤٣]، قال: عدلاً لتكونوا شهداء على الناس"[1].

إن معرفة هذه الأمة بأخبار الأنبياء ودعوتهم لأقوامهم وما أخبرنا به رسولنا ﷺ، وما جاء في القرآن الكريم من تأكيد هذا الأمر، هو ما يحقق لهذه الأمة شهادتها على الأمم جميعاً.

٥- إثبات البعث:

لقد أكد القرآن الكريم هذه القضية وجلاها أمام الناس لتكون واضحة لا شبهة فيها، وهو تارة يؤكد الدعوى فيها بالنص عليها مباشرة، يقول تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾) [المؤمنون:١٦].

وتـارة يذكر البراهين والدلائل الكونية مما يحيط بالناس، ويمر بهم في حياتهم اليومية" (أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾) [النبأ:٦-١٦].

---

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى برقم (١١٠٠٧).

وتارة يعرض القرآن الكريم هذا الأمر بالدليل والقياس، من ذلك قوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ) [الأنبياء: ١٠٤].

وقولـــه تعالـــى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾) [يس: ٧٨-٧٩].

وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ) [الروم:٢٧].

ولأهمية هذا الأمر ووجوب التصديق به فقد أكده القرآن الكريم من خلال سوق القصص التي تجعل منه بدهيات ومسلمات من خلال البرهان عليه بالوقوع فعلاً.

وهذه الآية في قصة عزير تؤكد ذلك: (أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا) [البقرة: ٢٥٩].

وكذلك قصة البقرة وما حدث مع بني إسرائيل، حيث جاء في التعقيب عليها قولـــه تعالى: (كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ) [البقرة: ٧٣].

وفي قصـــة أهـــل الكهف أيضاً جاء التأكيد على هذه القصة بعد أن كانت الحادثة برهاناً عملياً على قدرة الله تعالى في ذلك: (وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ) [الكهف: ٢١].

وما خبر الألوف من بني إسرائيل الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت: (فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾) [البقرة:٢٤٣]، ما خبر هؤلاء عنا بغائب.

وهذا إبراهيم عليه السلام، وقد صدق بقضية البعث والإحياء لكنه يطلب من ربه أن يُريه كيف يكون ذلك: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ) [البقرة:٢٦٠].

٦- إعطاء نماذج واقعية في سبيل التأكيد على قضية التضحية من أجل العقيدة:

"أورد القرآن الكريم الكثير من مواقف التضحية في سبيل العقيدة، وضر لنا نماذج إنسانية في الاتصاف بقوة العقيدة، والدفاع عنها الاستشهاد من أجلها، وتلك النماذج، وقد وردت، تهدف إلى عرض العقيدة الإسلامية عرضاً قوياً، والدفاع عنها دفاعاً مستميتاً، دفاع من يرغب التضحية بنفسه من أجلها مثلما فعل أصحاب الأخدود...

ولاشك أن تكرار نماذج التضحية من أجل العقيدة يؤدي إلى ترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين، فتستقر في وجدانهم، فتضيء لهم الطريق وهم يواجهون ما يواجهون من أنواع الاضطهاد والتعذيب، وذلك بسبب ما يعتقدونه وما يؤمنون به"[1].

وغير قصة أصحاب الأخدود، فإننا يمكن أن نعد من ذلك قصة أصحاب الكهف، وهم فتية هربوا بدينهم وعقيدتهم وضحوا بكل شيء لأجل ذلك.

إن هذه القضية تعد أساساً مهماً في جسم الدعوة إلى الله تعالى، والتمسك بهذا الدين، وهي أمر حساس تجاه ما يلاقيه المسلمون في سبيل تمسكهم بدينهم، وما يلاقيه الدعاة في سبيل دعوتهم إلى الله.

---

(١) محمد قطب عبد العال: القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٣.

ثالثاً: من أهداف القصة القرآنية في جانب الدفاع عن الرسول ﷺ وعن الأنبياء ورسالاتهم:

إن المجـــال الأكبر للقصص القرآني تمثل في قصص الأنبياء عليهم السلام، في بيان الأحداث الحقيقية والوقائع التاريخية مع أقوامهم، وتصحيح كثير من الأخطاء التي تناقلها الناس بشكل عام وأهل الكتاب بشكل خاص، وبيان نعم الله تعالى على أنبيائه وبيان عاقبتهم.

وكـــان من نصيب سيدنا محمد ﷺ في هذه القصص أنها جاءت تسري عنه ما كان يلاقيه من عنت قومه وصدهم له، وتثبت أيضاً أحقية رسالته وتعطي دليلاً على نبوته عليه السلام.

ومن الأهداف التي يمثلها هذا الجانب:

١- بيان صحة نبوة محمد ﷺ بثبوت رسالته، وأن القرآن من عند الله:

"محمـــد ﷺ لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ولا عرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى، ثم جـــاءت هذه القصص في القرآن – وبعضها جاء في دقة وإسهاب- كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى، فورودها في القرآن اتخذ دليلاً على أنه وحي يوحى"[١].

إن مجيء هذه القصص بهذا الأسلوب البلاغي في غاية الدقة – كما هو حال آيات القرآن كلها- الدليل على أن هذا القرآن ليس من صناعة محمد، وإنما هو وحي الله تعالى إليه.

ثم إن هذه الأحداث التي لم يتسن للرسول ﷺ الإطلاع عليها أو العلم بها من دون القرآن، فهو الذي عاش في مكة و لم يخرج من بين أهلها... و لم يكن قارئاً ولا كاتباً... إن هذه الأحداث بدقتها وصدقها وعدم تناقضها لدليل على أنها وحي من الله.

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني، ص ١٤٥.

وقد جاء القرآن بآيات صريحة في أثناء الحديث عن القصص ليؤكد حقيقة صدق الرسول ﷺ.

يقول سيد رحمه الله: "والقرآن ينص على هذا الغرض نصاً في مقدمات بعض القصص أو في ذيولها"[1]، وذكر أيضاً أن ذلك يأتي أحياناً في أثناء عرض القصة.

- ومما جاء قبل أحداث القصة قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف:٣].

- ومما جاء بعد القصة في التعقيب عليها قوله تعالى بعد قصة موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝٤٤ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٦﴾ [القصص:٤٤-٤٦].

- ومما جاء في أثناء عرض القصة ما جاء في سورة (آل عمران) في أثناء عرضه لقصة مريم: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٤﴾ [آل عمران: ٤٤].

---

(١) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٤٥.

٢- تسلية النبي ﷺ والتسرية عنه:

وكذلك الأمر في حق أتباعه ممن سلك طريق الإيمان وطريق الحق، فقد كان للقصص فيما تعطيه من نماذج واقعية لسالكي طريق الدعوة إلى الله وما يجب عليهم من لزوم هذه الطريق وتحمل مشاقها والصبر على العذاب فيها، فقد كان لها دور واضح في حياة الرسول ﷺ، وحياة الصحابة، فقد صمدوا أمام الحوادث وارتفعوا فوق الابتلاءات والمحن والمصائب والمعاناة التي كانت تصيبهم.

(وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾) [هود: ١٢٠].

(تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾) [هود: ٤٩].

٣- بيان نعم الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام:

"من الأغراض التي حَرَصت القصة القرآنية على إبرازها وتجليتها غرض يتحدث عن بيان فضل الله ونعمته على أنبيائه وأصفيائه، وذلك في قصص سُليمان وداود وإبراهيم ومريم... وغيرهم، فلقد وردت في قصص هؤلاء جميعاً مظاهر النعم التي تجلت عليهم في مواقف كثيرة متنوعة، حيث ارتبطت نعمة الله بالموقف الذي جاءت فيه"[١].

---

(١) محمد قطب، القصة في القرآن، ص ٢١١، وانظر: سيد قطب، التصوير الفني، ص ١٥٤.

٤- تبرئة صفحة الأنبياء مما اتهمهم به أقوامهم الكفار:

لقد حرصت القصة القرآنية من خلال سوقها للأحداث والوقائع أن تصحح كثيراً من المفاهيم والمعتقدات والأحداث التي تسربت إلى حقائق هذه القصص وحياة الأنبياء من خلال سوء المعتقد وضلال القلوب الذي طمس نور الحق في نفوس هؤلاء المشركين وبخاصة من أهل الكتاب من الذين عرفوا الحق، لكنهم زاغوا عنه، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وادّعوا وفعلوا في حق أنبيائهم ما تأباه الفطر السليمة والنفوس المستقيمة، وقد اتخذوهم أرباباً وجعلوهم أبناء الله ...

ومثال ذلك ما جاء في سورة مريم في الدفاع عن عيسى عليه السلام وتبرئة ساحته مما نسبه إليه النصارى من أنه ابن الله، فقد تحدثت السورة عن قصة حمل أمه به وعن ولادته، وجاء بعد ذلك التعقيب بقوله تعالى: (ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾) [مريم:٣٤-٣٥].

ويقول عنه ربنا في سورة آل عمران: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾) [آل عمران: ٥٩].

٥- بيان أن عاقبة الأنبياء والدعاة النصر والتمكين، وأن عاقبة المكذبين الهلاك والعذاب المبين:

يقول سيد رحمه الله تعالى: "وكان من أغراض القصة أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتاً لمحمد، وتأثيراً في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان... وتبعاً لهذا الغرض كانت ترد قصص الأنبياء مجتمعة، مختومة بمصارع من كذبوهم..."[1].

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني، ص ١٥١.

وقد عرضت القصص القرآنية نماذج واضحة لإنجاء الله أنبياءه وعباده، وذلك كما في قصة موسى ونجاته وقومه من فرعون وقومه، وفي الجهة المقابلة تعرض نماذج لهلاك أعداء الله، كما في إغراق فرعون وقومه.

رابعاً: من أهداف القصة القرآنية في جانب الهداية العامة والإرشاد:

هـــذا، وقد توزعت وتعددت أهداف القصة في القرآن الكريم، وقد شملت هذه الأهداف حياة الإنسان على اختلافها وتنوعها، كيف لا؟ والقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، والقصص القرآني أداة قرآنية فاعلة في تحقيق هذه الجوانب التربوية في هداية القرآن الكريم.

ومن أهم الأهداف التي يمثلها هذا الجانب:

١– تهذيب النفس الإنسانية وتعديل سلوكياتها:

يقول محمد قطب[(١)] صاحب كتاب القصة في القرآن:

"بسط القرآن الكريم الحديث عن النفس الإنسانية، وبين أن عمل الإنسان من خير أو شر إنما يرجع إلى النفس، وإليها يكون الثواب والعقاب...

ويقول: ولقد عالجت القصة القرآنية شرور النفس ومسالكها المريضة، حتى تضرب للبشر العبرة، وحتى توضح مجالات الصراع المشتجر داخل الذات الإنسانية، بين الخير والشر، وهما قوتان تتصارعان منذ أن همس إبليس لآدم أن يعصي ربه.

(١) وهو ليس أخا سيد قطب، المفكر الإسلامي المعروف.

كمـــا عالجت القصة القرآنية جمال النفس واطمئنانها، وضرب لذلك بنماذج للنفس الخيرية الكريمة، التي تعلو على مفاسد الدنيا وأهواء الذات البشرية، فتعلو ويعلو معها الخير، وتورق وتثمر معها أغصان الحياة ف ضائل ومكارم أخلاق.

ومـــن خـــلال هذا الضرب من القصص القرآني تأتي الأحكام التشريعية لتعديل السلوك وتقويمه، وضبط العاطفة وكبح الانفعال"(١).

وخير مثال على هذا ما ورد في قصة ابني آدم عليه السلام، وقد وردت هذه القصة في سورة المائدة، الآيات (٢٧-٣١)، هذه السورة عالجت الكثير من قضايا التشريع الإسلامي والأحكـــام الشـــرعية المـــتعلقة بالفرد والمجتمع، وقد كشفت هذه القصة عن جوانب من انفعـــالات النفس الإنسانية، وما يمكن أن يؤدي بها الحسد والحقد، حتى من الشخص تجاه أخـــيه، ومـــن ثم يَعْقُبُ الآيات الحديث عن جريمة القتل وما تؤدي من إفساد في المجتمع، وتؤكد في الوقت نفسه ما يصيب المجتمع من جراء الحرص على هذه النفس والمحافظة عليها.

٢- الدعوة إلى الخير وحسن الأخلاق والمعاملة الحسنة:-

إن من أهداف القصة القرآنية "تعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العملية الماثلة في هذه القصص، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام، والحض على التوبة للمسيء، وهذا كله يكون بتقديم أمثلة لشخصيات تمثل جانب القدوة الإيجابية كأيوب عليه السلام في صبره، ويوسف عليه السلام في صبره وعفته وتسامحه، وأمثلة أخرى لشخصيات تمثل الجانب

---

(١) محمد قطب: القصة في القرآن ، ص ١٩٧/١٩٩.

السلبي كقارون في اغتراره بالمال والجاه، وفرعون في تعاليه وغروره وإصراره على الكفر، وقوم لوط في إصـــرارهم عـــلى الفواحش. والقرآن الكريم يحض من خلال عرض قصصهم على البعد عن مسلكهم الوخيم العاقبة دنيا وآخرة"[1].

٣- الكشف عن مجموعة من المعارف في النفس والكون[2]:

هذا من أهم أهداف القصة في القرآن الكريم، فإن الإنسان له نوازعُ وشهوات، وله أعداء من الداخل ومن الخارج، وقد جاءت القصة القرآنية لتقف بالإنسان على حقيقة نفسه وما يبصره بحاله وما حوله من القضايا التي تؤثر فيه وتشكل فكره ومسلكه.

"ومـــن آيـــات روعة القرآن وجلاله أن الخالق يحدثنا فيه بنفسه عن همسات الضمائر، وخواطر القلوب، وما في خبايا النفوس، وهو أدرى بما أودع فيها من أسرار (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾) [الملـــك:١٤]، لكـــن المجال هنا لا يسمح باستقصاء هذا الجانب كمصدر من مصادر المعرفة في القرآن، فلنقتصر إذن على القصة القرآنية بعرض نماذج قصيرة منها تكشف عن مطاوي النفس.

إذ أننا نجد في هذا القصص ما يقتضي أبعد الجوانب فيها بما تضمنه من إشارات تلمس أرق العواطف والمشاعر، كما في قصة زواج موسى من بنت شعيب"[3].

- **وإن أول مـــا يواجه الإنسان من داخله نفسه:** والقصة القرآنية بصرتنا بدور هذه النفس في كثير من سلوكيات الإنسان وأفعاله:-

---

(١) فضل عباس: قصص القرآن الكريم، ص ٤٤/٤٥.

(٢) هذه عبارة أستاذنا الدكتور محمد حجازي في حديثه لنا عن أهداف القصص القرآني في إحدى محاضراته عام ٢٠٠٠ في مساق علوم القرآن.

(٣) التهامي نقرة: سيكلوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس، نشرت ضمن منشورات الرسائل الجامعية، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، ١٩٧١م.

فـــأول جريمة كانت القتل، وسببها ما طوعت به النفس (فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ) [المائدة: ٣٠].

وجريمة الفاحشة وما يؤدي لها أيضاً مما تأمر به النفس (إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ) [يوسف: ٥٣].

ولمـــا كاد أخوة يوسف لأخيهم يوسف قالوا: (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝) [يوسف:٨]، وفعلوا ما فعلوا به وألقوه في الجب وجاءوا أباهم عشاء يبكون وأخبروه بالقصة الملفقة قال لهم: (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا) [يوسف:١٨].

- **ومـــا يواجه الإنسان في حياته المال:** فهو يؤثر على النفس البشرية ويأخذها إلى أخطر شيء وهو الشح.

والقـــرآن يعطينا نماذج على حب المال وما يفعله هذا الحب المفرط غير المنضبط بالإنسان. ومـــن ذلـــك ما يؤدي إليه هذا الحب من البخل والشح، ومثاله ما ورد في قصة أصحاب الجنة، حيث أرادوا أن يحرموا أصحاب الحقوق فحرمهم الله تعالى: (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝) [القلم:٢٧].

ومـــن ذلك ما يوصل إليه هذا الحب من الكبرياء والعجب والغرور والاستعلاء بغير الحق، ومثاله ما جاء في قصة قارون.

– ومما تكشف عنه القصة القرآنية العلاقة بين الإنسان وبين إبليس:

يقول سيد قطب رحمه الله: "وكان من أغراض القصة، تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العـــداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى

إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير، ولما كان هذا موضوعاً خالداً، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى"[١].

- بيان أن أحكام الله تعالى في مقدور الناس لتطبيقها والالتزام بها:

يقول الدكتور بلبول: "الأوامر والنواهي النظرية تتيح فرصة التنصل منها للإفراد والجماعات بدعوى أن مزاولتها ليست في مقدور الإنسان، وهي تخرج عن طاقته، لما فيها من قيود وحد من الحرية الخاصة والعامة، و لم يشأ القرآن الكريم أن يدع الناس حيارى مع هذه النظريات.

ولذلك عرض أمامهم الصور العملية الحية في كثير من الأحيان، وأوضح لهم نتائج هذه الصور العملية، وأبان أن قوماً كبحوا جماح شهواتهم، واستعملوا عقولهم، فاهتدوا سواء السبيل، وأن قوماً آخرين لم يستجيبوا إلى نداء الحق فضلوا وأضلوا.

ولنقرأ على سبيل المثال -سورة هود المكية التي نزلت لتقويم العقيدة وتثبيت الإيمان في القلب عن طريق سرد سبع قصص لنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى، فتجد في صدر السورة بعد الثناء على القرآن وبيان أنه محكم الآيات، ومفصل من لدن حكيم خبير، الأمر بعبادة الله وحده دون سواه، وتأكيد أن الرسول ﷺ منذر بالعقاب ومبشر بالثواب، كما نجد الأمر بالاستغفار عما مضى، ثم التوبة والرجوع إلى الله فيما هو آتٍ، وأن من يستجيب لذلك له المثوبة في الدنيا والآخرة، ومن لم يستجب فالعقاب نازل به لا محالة، إذ مرجع الكل إليه، وهو سبحانه لا يعجزه ثواب من آمن، وعقاب من كفر"[٢].

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني، ص ١٥٤.

(٢) بلبول: القصص القرآني ، ص ١٢٥.

خامساً: التعرف على عبرة كل قصة:

لقد تقدم فيما ذكرناه من أهداف للقصة القرآنية الحديث عن أهم هذه الأهداف العامة التي يمكن استخلاصها والوقوف عليها.

وقد تتداخل هذه الأهداف مع بعضها، وقد تجتمع جميعها أو يجتمع أكثر من هدف في قصة واحدة، أو قصة معينة.

وفـــوق هذا كله هناك أهداف تفصيلية، أو إن أمكن أن نسميها خاصة فهي كذلك، حيث يمكن الوقوف على كل قصة بشكل منفصل في سياقها الخاص بها الذي جاءت فيه لتحديد هدف خاص بها.

فقصة آدم أبي البشر يتمثل فيها تصارع قوى الخير والشر في الإنسان على مدى الحياة.

وقصة إسماعيل مع أبيه إبراهيم عليهما السلام تمثل تسليم الأمر لله والرضى بما يقسم، والإيمان والقناعة أن ما عنده خير.

وقصـــة موســـى مـــع العبد الصالح تمثل أهمية التواضع والصبر على التعلم ومعرفة حكمة الأشياء... إلى غير ذلك مما يمكن العنونة لكل قصة من قصص القرآن الكريم به.

هـــذه أهـــم الأهداف التي أردنا تسجيلها هنا، وهناك أهداف وأغراض أخرى متفرقة يمكن الرجوع إلى بعضها، وفيما ذكرناه من الكتب التي سجلت شيئاً من ذلك.

ثانياً: خصائص القصة القرآنية:-

"القصة القرآنية إحدى وسائل القرآن الكريم لإبراز أغراضه الدينية، ذلك أن القرآن كتاب دعوة دينية في المقام الأول، تتجلى فيه وحدة العقيدة ووحدة الأديان... وتماثل وسائل الدعوة منذ البدء حتى الإسلام خاتم الأديان.

والقــرآن – وهو يتخذ من القصة وسيلة لإبلاغ الدعوة وترسيخها ونشرها- يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، بحيث يتخذ من الجمال الفني التصوير التعبيري طرائق للتأثير النفسي والوجدان، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، فالفن والدين كلاهما عميق الغور في النفس والحس، ولاشك أن صفاء النفس مدعاة طبيعية لحسن التلقي لمجال الدين والفن"[1].

وخضوع القصة القرآنية لهذا الغرض الديني لم يمنع أن يكون لها شخصيتها الخاصة بها من خلال أسلوبها وطريقة عرضها والمقدار الذي يعرض منها.

لكنها في الوقت نفسه كانت بعيدة عن مماثلة القصة الفنية التي يرسم إطارها ويحدد معالمها العقل الإنساني والذوق البشري...

والــذي يجمــع فــيها سمو الهدف ورفعة الأسلوب أنها قبس من ا لتنزيل وآي من الذكر الحكيم، توافر لها ما توافر للقرآن الكريم من حسن النظم ما جعله معجزة خالدة.

"إن القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه، وطريقة عرضه، وسير حوادثه، كما هي الحال في القصص الفني، إنما القصة فيه وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرضه

(١) محمد قطب، القصة في القرآن، ص ٣٣.

الأصيل، وهو التشريع وبناء الفرد والمجتمع، وإن القصة التي ترد فيه لا تختلف في غايتها عن المثل الذي يضرب للناس"[1].

ولو جئنا نتحدث عمن كتب في هذا الجانب – أي خصائص القصة القرآنية- فإننا نجد أن أكثرهم قد اعتمد اعتماداً كلياً واضحاً ما ذكره الشهيد سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن"، فالعبارة هي العبارة، والكلام هو الكلام، والمثال أحياناً هو المثال، وليس غريباً أن يكون لسيد ولكلامه هذا التأثير، فهو الذي يسبر غور المعاني، ويغوص إلى درها وجواهرها، وقد فتح الله عليه فيما ذكره عن القصة ما جعل له به هذا التأثير.

هذا وقد عقد الأستاذ الدكتور بلبول فصلاً مطولاً، وهو الفصل الثالث من رسالته "القصص القرآني" فيما يزيد على ستين صفحة، تحت عنوان "أسلوب القصة القرآنية" ناقش فيه عدة قضايا، بعضها لها علاقة مباشرة بخصائص القصة القرآنية، وبعضها قد لا يكون مجال بحثه وتفصيله في هذا السياق، وذلك مثل موضوع: "المجاز في القرآن الكريم" فقد ناقش هذا الموضوع تحت عنوان "تحرير القول في مجاز القرآن"[2] ضمن هذا الفصل فيما يقرب من سبع صفحات، إلى غير ذلك من الأمور كموضوع الكنايات، والاستعارات مما هو من خصائص القرآن عامة وليس فقط القصص القرآني، وما سجله من سمات خاصة بالقصة القرآنية، فكان واضحاً تأثره فيه بما قاله سيد قطب في كثير منه.

---

(١) بكري الشيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط٤، ١٩٨٠م، ص ٢١٧.

(٢) انظر: بلبول: القصص القرآني، ص ٢٧٢ وما بعدها.

أمـــا الدكتور إبراهيم عوضين[1]، فقد فرق بين ما أسماه "سمات القصة القرآنية" فذكر لها سمـــات ثلاث، وبين "الخصائص الفنية للقصة القرآنية" فذكر لها خصائص خمس، استفادها جميعاً من كلام سيد قطب[2]، ولعله بهذا التنويع أراد أن يفرق بين الخصائص الفنية والخصائص الذاتية للقصة القرآنية، وهو ما فعله شيخنا الدكتور فضل عباس- حفظه الله- بعد ذلك.

فقـــد زاد الأســـتاذ الدكـــتور فضل عباس في[3] تقسيمه لخصائص القصة بأن جعل هذه الخصائص في جانبين.

الأول: خصائص ذاتية، ذكرها في خصائص ستة.

الثاني: خصائص فنية، أشار إلى مرجعه فيها عن سيد قطب والدكتور إبراهيم عوضين.

ومما انفرد به عن غيره تلك الخصائص الذاتية التي نبه عليها وذكرها وأوضحها.

ومما نعجب له أن الدكتور تمامي نقرة عندما ذكر بعض خصائص القصة القرآنية، قد وضعها تحت عنوان "المنهج القصصي في القرآن"[4]، ولست معه في هذا العنوان، فهذا العنوان فضلاً على كونه غير واضح، فمن الممكن أن يبحث تحته قضايا متعلقة بمنهج القرآن في عرض القصة، لا أن تناقش فيه خصائص القصة القرآنية، وإن كان من خصائصها طريقة عرضها في القرآن الكريم.

---

(١) إبراهيم عوضين: البيان القصصي في القرآن الكريم، دار الأصالة، الرياض، ط٢، ١٩٩٠م، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) وهـــو في حقيقة الأمر لم يذكر ذلك، ولم يشر إليه حتى مجرد إشارة، ذلك في الوقت الذي كان ينقل فيه أحياناً عبارات وألفـــاظ سيد قطب بنصها. انظر مثلاً ص ١٣٦ عنده في عنوان "اختلاف موقع المفاجأة"، وانظر ما قاله سيد قطب في التصوير، ص ١٨٣، تحت عنوان "تنوع طريقة المفاجأة".

(٣) فضل عباس: قصص القرآن الكريم، ص ٤٥ وما بعدها.

(٤) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن ، ص ٨٥.

وإذا استعرضنا ما قاله سيد قطب عن خصائص القصة القرآنية[1]، فإننا نجده قد تحدث أولاً عن موضوع "آثار خضوع القصة القرآنية للغرض الديني" فذكر لذلك آثاراً ثلاثة، هي:

١- أن ترد القصة الواحدة – في معظم الحالات- مكررة في مواضع شتى.

٢- أن تعرض القصة بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض، ومن الحلقة التي تتفق معه، فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض كاملة... الخ.

٣- أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبلها وبعدها وفي ثناياها كذلك.

وبعد هذا الذي ذكره تحدث تحت عنوان "الدين والفن في القصة" مرة أخرى عن هذه النقاط الثلاثة لكنه هنا فصل فيها طويلاً، وذكر عليها أمثلة عديدة، وقد نظر إليها من زاوية ما تشكله من مظاهر التنسيق الفني في القصة.

ثم ثالثاً وتحت عنوان "الخصائص الفنية للقصة القرآنية" ذكر لذلك أربع خصائص هي:

١- تنوع طريقة العرض.

٢- تنوع طريقة المفاجأة.

٣- الفجوات بين المشهد والمشهد.

٤- التصوير في القصة.

هذا ما ذكره سيد قطب مما دار في فلكه بعده كل من كتب عن الخصائص الفنية للقصة القرآنية، ومما يمكن أن نسجله هنا أن سيد – رحمه الله- قد ربط وداخل كثيراً بين موضوع "خصائص القصة القرآنية الفنية" وبين ما يمكن أن نسميه "منهج القرآن في عرض القصة" وبخاصة في حديثه عن تنوع طرق عرض القصة.

---

(١) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٥٥-٢١٥.

وهذا لا أسجله على أنه عيب أو خطأ منهجي أو علمي، وإنما أشير فقط إلى أنه كان ممن الممكن أن تتضح الصورة أكثر، ويتم الترتيب في هذه الأمور بشكل أدق لو أنه نبه على ذلك، أو أنه فصل بين الأمرين في الشرح والتفصيل، على الرغم من تداخلهما في العموم.

ولعل عذره في ذلك انه أول من طرق هذه الموضوع بهذا التفصيل وهذه الدقة، وقد كان كلامه الأساس الذي بُني على ما بعده من الحديث عن خصائص القصة القرآنية كما أشرنا آنفاً.

غير أنه كان من الممكن لمن جاء بعده أن يوضح الأمرين ويشير إليهما على انفراد، و لم نجد ذلـــك عند أحد إلا ما وجدناه عند شيخنا الدكتور فضل عباس – حفظه الله- عندما تحدث عن موضوع التكرار وترتيب القصص القرآني في السور[1]، فقد تكلم عن بعض القضايا في موضوع منهج القرآن في عرض القصة وجعله مستقلاً عن موضوع الخصائص.

وأنـــا هـــنا ســـأركز في هذا المبحث عل الجانب الذي يتعلق بالخصائص، تاركاً ما يتعلق بموضـــوع منهج القرآن في عرض القصة لأبحثه في المبحث الرابع من هذه الدراسة، وهو المبحث الخاص بالقضايا المنهجية المتعلقة بدراسة القصص القرآني.

أهم خصائص القصة القرآنية:-

أولاً: أن مصدرها وحي من الله:

"مصـــدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن الكريم نفسه، فهي وحي الله تبارك وتعالى، لذا نجدهـــا قصة هادفة، فهي ذات هدف ديني أخلاقي لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة، غير أنها تجمع إلى سمو الهدف رقي الشكل الفني"[2].

---

(١) انظر: فضل عباس: قصص القرآن، ص ٧٥ وما بعدها، وص ٨٣-٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

وقـــد أكســـبتها هـــذه الخصيصة جملة من القضايا بعضها تعلق بها من حيث موضوعها، وبعضها تعلق بها من حيث أسلوبها.

فما يتعلق بها من حيث موضوعها:

فالأولى: أنها تميزت بالصـــدق والواقعية: فهي تقوم على حقائق تاريخية، ووقائع صادقة لا مدخل للكذب أو الشك أو للخيال القصصي فيها، ولا وجود للأساطير أو الخرافات فيها.

"لقد حَرَص القرآن الكريم على نفي الخيال القصصي عن قصصه، فقرر في أكثر من موقع أن قصصـــه ينبئ بالحق، وأنه في ذاته قصص حق، وأنه ليس حديثاً يُفترى، وأنه من وحي الله إلى نبيه"(1).

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [يوسف: ١١١].

ويقـــول تعـــالى في مطلع قصة موسى في سورة القصص: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [القصص: ٣]، وفي نهاية قصة مريم في سورة آل عمران يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦١]، وعن قصة أصحاب الكهف يقول تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٢].

إلا أننا وجدنا من طعن في القرآن الكريم وشكك فيه من هذا الجانب، ونجد أن من ادعى أن قصص القرآن الكريم مبنية على الخيال، وأن بعضها أساطير لا أساس لها في الوجود، وإذا كان

---

(١) إبراهيم عوضين: البيان القصصي، ص ١١٤.

الــذي حمل لواء هذه الدعوى أعداء هذا القرآن من المستشرقين فإن ما هو مؤلم أكثر أن ينبري لتأييد هذه الأباطيل ونفث سمومها في ثقافة هذه الأمة وفكرها أتباع أولئك المستشرقين من أبناء هــذه الأمة[1]، وقد فتنوا بالحضارة الغربية وغطت بقبحها على عيونهم فحالت بينهم وبين نور الحق ودعوة الحق.

"لقــد ثبت بما لا يقبل الشك أن القصص القرآني ليس كالقصص الفني في اللغة والأدب، ومــا ذاك إلا لأنه جزء من القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكــيم خبير، وقد تحدى الله به الناس وخاصة العرب فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، ولأن القصص القــرآني ســيق للإعجاز، وللدلالة على صدق الرسول ﷺ فيما يدعيه من ربه (تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾) [هود: ٤٩].

"إن القصص القرآني له ميزات وخصائص لا توجد في غيره أبداً، إذ هو يعتمد على الحقائق الناصعة التي لا تشوبها شائبة من وهم زائف أو خيال كاذب، إنه ينبئ عن لبنات الواقع بلا تمويه، ولا تغريــر، ولا كذب، ولا خداع، ولكن الإعجاز،والصدق، والحق، والواقع، والجمال، سمات الأسلوب القصصي في القرآن الكريم"[2].

والثانــية: لم يكن هدفها سردَ أخبار الماضين أو تسجيلَ تاريخهم، وإنما كانت موضوعاتها محددة مرتبطة بالدين والهداية:

---

(١) أو ممن يدعون النسب إلى هذه الأمة، وأقصد من هؤلاء الدكتور محمد أحمد خلف الله، صاحب كتاب "الفن القصصي في القرآن الكريم"، وسيأتي الحديث عن هذا الكتاب إن شاء الله لاحقاً في هذه الدراسة.

(٢) محمد محمود حجازي: القصص القرآني في القرآن الكريم، مكتبة دار التفسير، مصر، ط١، ٢٠٠٣، ص ٨.

فالقرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، وليس من أغراضه رصد حركة أو أحداث التاريخ، أو الـتأريخُ المجرد للأحداث، وإنما استثمر بعض هذه الحقائق لتكون مجالاً لتحقيق رسالته في هداية البشـرية والكشف عن الحقائق المتعلقة بالنفس الإنسانية، وطبائع النفوس، والمواقف التي تتخذها إزاء ما يواجهها في حياتها من حقائق الدين.

مـن هنا كان اهتمام القرآن واضحاً – من خلال قصصه- بالأحداث دون الزمان أو المكان أو الأشخاص، وهي صفة غالبة على قصصه تؤكد أن الهدف منها شيء آخر غير التأريخ لمجرد الأحداث.

يقـول د. محمد حجازي: "إن القصص القرآني أمره عجيب ... إنه يدور على الأحداث أكـثر ممـا يدور على الأشخاص، وهو يهتم بالحادثة والباعث عليها، ونهايتها أكثر من اهتمامه بصاحبها وشخصيته، وقد لا ينظر إلى المكان والزمان ما لم يكن لهما دخل في كيان القصة...

وما هذا إلا لأن القصص في القرآن يهدف إلى العبرة والعظة، ولا يهدف إلى تأريخ الحادثة بأشخاصـها وأصـحابها وزمانها ومكانها، وإلا لكان كتاب تاريخ، وإنما هو كتاب أنزل مباركاً ليتدبر الناس آياته ويتعظوا بها، عند ذلك لا يهمه ذاتُ الشخص ولا شخصيته، ولا مكان الحادثة ولا زمانها، فإذا كانت الحادثة تصدر من الإنسان من حيث هو إنسان، وتتولد من غرائزه التي لا تـتخلف في كل عصر وحين، وفي كل زمان ومكان كان لا داعي أبداً للتعرض لشيء من هذا مادام الهدف الأساسي يتحقق من غيره"[1].

والثالثة: وهي متفرعة عن التي قبلها، ذلك أن تركيز القصة القرآنية على الجانب الوعظي كان صفة بارزة فيه لأجل تحقيق الغرض الديني الأول فيها.

---

(١) محمد حجازي: القصص القرآني، ص ١٠.

يقـــول سيد قطب رحمه الله: "وهكذا لا يسير سياق القصة إلا وفي ثناياه تلك التوجيهات زيادة على المغزى الذي تؤدي إليه بحوادثها دون توجيهاتها.

والقـــارئ للقصص القرآني يجد هذه التوجيهات منثورة في ثناياها على هذا النحو أو على نحو سواه، ولكنه يجدها بكثرة ووفرة، تدل على الغرض الأساسي من سياق القصة، وهو الغرض الديني أولاً وقبل جميع الأغراض"[1].

ومن هنا نجد أن "موضوع القصة القرآنية هو الإنسان المستخلف في الأرض بما يدور حوله في هـــذا الكون، وما يحدث له وما ينبغي أن يكون عليه حاله وما ينبغي أن يعرفه من أمور العالم المنظور وغير المنظور، وحقائق الدين والإيمان والتوحيد والبعث...

ونجـــد أيضاً أن المتلقي الذي توجه له القصة القرآنية هو نفسه محورها وهو الإنسان الذي تساق له القصة القرآنية نوراً لعقله وقلبه، وتهذيباً لمسلكه...

ونجدها أيضاً تركز على الرقي المادي، وأسباب القوة، لأن هذه المادة عنصر أساسي رئيس في مقومـــات هـــذا الإنسان، ونجدها تركز على ما هو أهم، وهو أن التدين الحق لا ينفصل عن الحـــياة العملية ولا ينفصم عن واقع هذا الإنسان، وإنما هو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، بل هو جزء منه، ولهذا نجد القصة تفصل في أسباب السعادة الروحية، وأسباب الرقي المادي حتى تتم السعادة للمؤمنين بهذا القصص، العاملين بتوجيهاته وإرشاداته"[2].

هـــذا ما يتعلق بخصائص القصة القرآنية من حيث مصدرها، أما بقية الخصائص التي ترتبط بالأسلوب فهي:

---

(١) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٧٠.

(٢) فضل عباس: قصص القرآن ، ص ٤٦ بتصرف.

ثانياً: تنوع طريقة العرض[1]:

لقد امتاز القرآن الكريم بأسلوبه المعجز، الذي تنوعت فيه طرق البيان، وتعددت فيه أوجه الخطاب، وهو في عرض قصصه لم يلتزم نمطاً واحداً، بل "تنوعت الطرائق تبعاً لتنوع الأغراض، واختلفت الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق"[2].

وقد تنوعت طرق عرض القرآن للقصة من زوايا متعددة سواء في إيراد القصة الواحدة وتكرارها أو عدمه، أم في الابتداء بالقصة أو الانتهاء منها، أم في عرض التوجيهات المراد توصيلها والتأكيد عليها.

وبشكل خاص "فبعض المشاهد يقوم على استحضار الأحداث دون تدخل بالرواية، والاقتصار على التنبيه على عنوان المشهد أو موضوعه، ثم تظهر الأحداث بصورة مباشرة مثل قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مشهد بناء الكعبة[3].

وأكثر القصص القرآني يعتمد الحكاية والرواية، وبذلك يسيطر على الموقف لينتقي من الأحداث ما يحقق الهدف، وينسقها في إطار فني لا يخرجها عن الواقع، ولا يترك المجال لكل ما وقع فيخرج بها عن هدفها المسوقة لأجله، مثل قصة أصحاب الكهف[4]، وقصة سُليمان عليه السلام مع الهدد وملكة سبأ[5]، وقصة يوسف عليه السلام مع أخوته.

---

(١) سوف يتم تناول هذا الموضوع بالتفصيل، وذلك عند الحديث عن منهج القرآن في عرض القصة في هذه الرسالة.

(٢) عوضين: البيان القصصي، ص ١٢٣.

(٣) انظر الآيات (١٢٧-١٢٩) من سورة البقرة.

(٤) انظر الآيات (٩-٢٢) من سورة الكهف.

(٥) انظر الآيات (١٦-٤٤) من سورة النمل.

ثالثاً: التكرار في عرض القصة في سور شتى:

لعـــل أول من أشار إلى أن هذه ميزة للقصة القرآنية هو الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وذلك في سياق حديثه عن آثار خضوع القصة للغرض الديني، و لم ينص عليها صراحةً بعد ذلك أحد، ومما تجدر الإشـــارة إليه أن سيد –رحمه الله- يقصد بالتكرار هنا عرض القصة القرآنية في أكثر من مكان في أكثر مـــن صـــورة، وهذا في رأيه لا يعد من التكرار الذي يذمه بعض العلماء إنما التكرار المعيب هو أن تعاد القصة الواحدة في سور شتى في صورة واحدة.

فهـــو يقول: "ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضـــها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار"(١).

يقـــول شيخنا أ.د. فضل عباس – حفظه الله- "والتكرار – كما نراه- هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، ولمعنى واحد، فإذا لم يتوافر هذان الشرطان، أي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا ذكر اللفـــظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص، فإن ذلك لا نسميه تكراراً أبداً، وهذا هو التعريف الدقيق للتكرار كما يظهر لنا"(٢).

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط١٧، ١٩٩٢، ج١، ص ٦٤.
والحقـــيقة أن هذا الرأي موافق لما ذكره الإمام بدر الدين الزركشي في تعريفه للتكرار، حيث يقول: وحقيقة إعادة اللفظ أو مـــرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه ، انظر البرهان في علـــوم القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م، ج٣، ص١٠، فهو يرى أن ما أعيد لتقرير معنى آخر غيره في الأول فهذا ليس من التكرار.

(٢) فضـــل عـــباس: قصص القرآن، ص ٧١، ولقد فصّل شيخنا – حفظه الله- في هذا الموضوع كثيراً، ونقل آراء القدماء والمحدثـــين في موضوع التكرار، وحرر القول في كثير من مسائله، فمن أراد الاستزادة يمكن مراجعته في كتاب القصص، ص ٦٥-٨٢.

وعلى هذا فإن حديث سيد قطب عن التكرار بعدِّه إياه من خصائص القصة القرآنية، إنما يقصد به إعادة ذكر بعض أحداث القصة في سور شتى لمعنى جديد، بهذا يتضح ما يمكن توهه من أنــه وقع في التناقض عندما كان مرة ينفي التكرار إذ يقول: "ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصــص القرآني"، وأنه مرة يثبت وجوده عندما يقول: "لقد كان أول أثر لهذا الخضوع، يقصد خضــوع القصــة للغرض الديني —أن ترد القصة الواحدة– في معظم الحالات مكررة في مواضع شتى"، فهو إنما يقصد بهذا التكرار ما أوضحناه عنه قبل قليل.

وحقيقة هذه الخصيصة أن "يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يُساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تــأتي علــيها، والطريقة التي تؤدى بها، تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب...

ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني؛ لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في ســور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار.

ويزيغ أناس فيزعمون أن هنالك خلقاً للحوادث أو تصرفاً فيها، يقصد به إلى مجرد الفن — بمعــنى التزويق الذي لا يتقيد بواقع– ولكن الحق الذي يلمسه كل من ينظر في هذا القرآن، وهو مســتقيم الفطرة مفتوح البصيرة، هو أن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء، والقرآن كتاب دعوة، ودستور

نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية وتسلية ولا تاريخ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار، وبالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.

وقصـــص الأنبياء في القرآن يمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد الواصل الطويل، ويعرض قصـــة الدعوة إلى الله، واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم ....

وتَتَـــبُّع هـــذا الموكب الكريم في طريقه اللاحب يفيض على القلب رضى ونوراً وشفافية، ويشـــعره بنفاســـة هذا العنصر العزيز –عنصر الإيمان– وأصالته في الوجود، كذلك يكشف عن حقـــيقة التصور الإيماني ويميزه في الحسن من سائر التصورات الداخلية ... ومن ثمّ كان القصص شطراً كبيراً من كتاب الدعوة الكريم"[1].

وبالمقابل "فليس نفي التكرار أن لا يذكر حدث من أحداث القصة في سورة أو أكثر، إن هـــناك أموراً كلية وأحداثاً مهمة رئيسة، لا يجوز أن تخلو منها سورة من السور، ولو خلت منها لخلـــت القصة من رحيقها الشذي، وسلسبيلها العذب، وعلى هذا فالمنهج في القرآن الكريم هو المـــنهج البديع المعجز، حيث ذكرت القصة في سور كثيرة، خصت بعض السور بذكر حديث واحد، ثم توزعت هذه المشاهد والأحداث على السور التي ذكرت فيها القصة، قلّت أم كثرت، بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها، وبحيث يذكر في كل سورة ما يتلائم مع موضوعها

(١) سيد قطب: الظلال، ج١، ص ٥٥.

وسياقها، وبحيث تذكر القصة في السورة في الموضع الذي اختيرت له والذي اختير لها، وقد آثرت أن أنبه على هذه القضية لأنني رأيت بعض الناس يظنون أن نفي التكرار أن تقطع الصلات والوشائج والقربات بين السور المتعددة في كل قصة من القصص، حيث يذكر كل حدث من القصة في سورة خاصة كما بينته من قبل.

إن مجيء القصة على ما جاءت عليه في كتاب الله هو الذي يفتح للدارسين أبواباً للتأمل والاستنتاج والمقارنة ليدركوا سر العظمة في هذا الكتاب"[1].

وقد أعطى سيد قطب – رحمه الله- مثالاً على ما ذكره من قضية التكرار من قصة موسى عليه السلام ... ثم قال: "هذه القصص أشد القصص تكراراً في القرآن ، وقد رأينا من هذا الاستعراض نوع التكرار، وأنه – فيما عدا ستة مواضع- إشارات وعظية إلى القصة اقتضاها السياق، أما الحلقات الأساسية فلم تكرر تقريباً، وإذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد في تكرارها، وهذه القصة نموذج للقصص الأخرى، وعلى ضوئها ندرك أن ليس في القصص القرآني ذلك التكرار المطلق، الذي يخيل لبعض من يقرءون القرآن، بلا تدقيق ولا إمعان"[2].

وعلى كل فإذا نظرنا في القصص الذي ذكر أكثر من مرة وجدناه في الأغلب لأولئك الأنبياء الذي تحملوا المشقة ولاقوا العنت وهم يدعون أقوامهم، كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة السلام، وموضوعها بشكل عام هو الدعوة والدعاة.

أما قصة آدم عليه السلام – والتي تكررت أكثر من مرة- فإن موضوعها لم يكن كموضوع تلك القضية السابقة، إنما "جاءت تحدثنا عن النواحي الفطرية والجوانب الرئيسة في

---

(١) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٨١.

(٢) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٦٢..

حـــياة الإنسان، وعن الاستعدادات والغرائز التي تتكون منها طبيعته، إذا عرفنا ذلك أدركنا السر الذي ذكرت من أجله قصة آدم في أكثر من سورة"[1].

في حين كان غير هذه القصص مما لم يتكرر عرضه كثيراً – على الرغم من سمو هدفها التي تساق لأجله- كانت تؤدي الغرض دون الحاجة إلى إعادة ذكرها.

رابعاً: إقامة العرض على التصوير[2]:

لا تخرج القصة القرآنية في أسلوبها عن أسلوب القرآن الكريم، إذ هي جزء منه، من هنا فإن ما كان من خصائص القصة فهو من خصائص الأسلوب والتعبير القرآني.

والتصـــوير من أبرز الأساليب البيانية التي اعتمدها القرآن الكريم في التعبير عن قضاياه، مما جعل لها الأثر الواضح في فهم الناس لها وتفهمهم إياها ومن ثَمَّ التأثر المطلوب بها.

و"مـــن أبـــرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية أنها تنهض العرض القصصي على الأسلوب التصويري، فالبيان القرآني يتخير من ألوان التصوير لكل قصة ما يتناسب أتم التناسب مع القصة في موطنها"[3].

وهذا قد "أحال القصة القرآنية حادثاً شاخصاً يقع، ومشهداً حياً يجري، وحركة فنية يَقوم بها أبطال القصة وشخوصها"[4].

يقـــول ســـيد قطب: "إن هذا التصوير في مشاهد القصة ألوان: لون يبدو في قوة العرض والأحياء، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات، وليست

---

(١) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٧٦.

(٢) هذه عبارة الدكتور عوضين في: البيان القصصي، ص ١٣٣، وقد نقل كلام سيد وهو يتحدث عن هذا الأمر دون إشارة.

(٣) عوضين: البيان القصصي، ص ١٣٣.

(٤) صلاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٨٣م، ص ٢٣٣.

هذه الألوان منفصلة، ولكن أحدهما يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين، فيُسمى باسمــه، أمــا الحق فإن هذه اللمسات الفنية كلها تبدو في مشاهد القصص جميعاً... وهنا يوضح المثال ما لا يوضحه المقال"[1].

فـــنحن نـــرى إذاً من خلال هذه الألوان أن التعبير القرآني بأداة التصوير يحيل الأحداث والمواقف في القصة إلى مشاهد حية تنبعث فيها الحياة، وتدب فيها الروح، فكأنما نعايش الحدث أو الموقـــف عياناً، ويمكن استعراض قصة أصحاب الجنة في سورة "ن" ومشهد إبراهيم وإسماعيل في بـــناء الكعـــبة، والمشهد الذي يصور نوحاً عليه السلام في دعوة ابنه وحالة الماء والغرق الذي أصاب هذا الابن، وكذلك نتصور معاً قصة أصحاب الكهف، هذا ما يتعلق بالأحداث والمواقف بشكل عام.

أمـــا إذا نظرنا إلى قضايا دقيقة في تصوير القرآن لأحداث القصة فإننا نجده يبرز العواطف والانفعـــالات النفســـية حتى تكون مجسمة شاخصة أمامنا، ملموسة محسوسة، فيكون على ذلك الطـــابع الـــذي يطبع الأحداث والمواقف هو تلك العواطف والانفعالات، لكنها ليست بصورة جامدة مجردة، ولكن بصورة مجسمة حية.

وانظر في ما تشخصه سورة يوسف من هذه العواطف على تعددها، فمن عاطفة الأبوة إلى عاطفـــة البنوة إلى عاطفة الأخوة، وانظر ما تشخصه من انفعالات متنوعة، من غيرة وحسد إلى شهوة ونزوات، إلى غير ذلك مما هو كثير.

---

(١) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٩٠.

وإذا كان التركيز في الحديث على الأشخاص، فإن التصوير يقدم هذه الشخوص "في صورة واضـحة تـبرز خصائصـهم الجسمية أو العقلية أو النفسية أو العاطفية، على حسب ما تتطلبه أدوارهم في القصة"(١).

وانظـر إلى قصـة موسى مع العبد الصالح كيف تقدم لنا شخصية موسى عليه السلام في تعجله وحزمه في إملاء رأيه...

وانظر إلى قصة سُليمان عليه السلام مع بلقيس "وكلاهما شخصية واضحة فيها: شخصية "الرجل" وشخصية "المرأة"، ثم شخصية "الملك النبي" وشخصية "الملكة""(٢).

خامساً: تنوع الأساليب الفنية في عرض القصة:

بيـنا فـيما تقدم عند حديثنا عن أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية وهي "تنوع طريقة العـرض" أن القرآن الكريم لم يلتزم طريقة معينة في عرض جميع قصصه، بل كان يتنوع في هذه الطرق تبعاً لتنوع الأغراض، سواء في تكرار القصة أو عدمه، أم في الابتداء بها أو الانتهاء منها، أم في عرض التوجيهات من خلالها... إلى غير ذلك...

ونحـن هنا نعرض إلى أهم الأساليب الفنية التي تنوعت في عرض القرآن للقصص بشكلٍ عام، فإذا كانت قضية "تنوع طريقة العرض" تتعلق بكل قصة على اختلافها وتعددها، فإن "تنوع الأسـاليب الفنية في عرض القصة" تعد خصيصة مشتركة موحدة في تناول وعرض كل قصة من قصص القرآن، فهي خصيصة مشتركة بين جميع القصص.

وأول ما يطالعنا في هذه الأساليب الفنية:

---

(١) عوضين: البيان القصصي، ص ١٣٣.

(٢) سيد قطب: التصوير الفني، ص ٢١٠.

١- تنوع وسائل ربط المشاهد:

لم يكـــن اهتمام القرآن الكريم وهو يعرض قصصه منصباً على استقصاء المشاهد وعرض جمـــيع الأحداث، بل كان تركيزه واضحاً على ذكر ما تتحقق به العبرة، ويتم به الهدف العام في ذكر هذه القصص من تحقيق الإيمان بالله تعالى، وبيان سننه في الأنفس والآفاق.

يقول الدكتور بلبلول: "لا يعنى القرآن في قصصه بالتفاصيل وتقصي الجزئيات، وإنما يعمد إلى مواطـــن العبرة ويركز على محور الهدف من الإيمان بالله وتوحيده، والجزاء لمن يؤمن والعقاب لمـــن يكفر، وسنة الله في الوجود أن المستجيب له الحياة المثلى في الدنيا والآخرة، وأن المخالف له سوء العقبى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]"[١].

وحـــتى تؤدي القصة دورها التربوي في ظل هذا الأسلوب الفني فقد جاءت بعض مشاهد هذه القصص مستاوقة مترابطة الحدث ومتتابعة.

وبعضها جاء وقد تخللته بعض الفجوات تاركاً لخيال المتلقي أن يملأها.

يقـــول الدكـــتور عوضين: "وفي كل قصة من قصص القرآن الكريم تواجه بهذا التنوع في الربط بين المشاهد، وهو تنوع – كما رأينا- قائم على أسس فنية يعجز عن متابعتها والقيام عليها الكائن المخلوق، ويلاحظ أن التنوع ليس في الربط بين المشهد والمشهد فحسب ، بل هو كذلك في الـــربط بـــين الموقف والموقف في داخل المشهد الواحد، فتارة تجد بين الموقفين أو المشهدين المـــتجاورين علاقـــات مادية ومعنوية تنظمهما، وتارة أخرى تجد بينهما فجوة مادية تجد الخيال

---

(١) بلبول: القصص القرآني، ص ٢٦٥.

يــؤدي دوره في ملء هذه الفجوة دون تعثر أو تعذر، مما يؤكد أن النسق الفني لا يصح بحال أن يعنى بذكرها، وإلا كان تحصيل حاصل ، وإنباء بمعلوم، وهذا – كما أشرنا- إلا أنه عمل عقيم لا يضيف جديداً، هو حاجز يقطع المتلقي عن متابعة الأحداث القصصية"(١).

وهو يوضح ذلك من خلال حديثه عن قصة سُليمان عليه السلام وملكة سبأ "حيث رأينا العلاقة بين مشهد النملة ومشهد تفقد الطير قائمة على تتابع الأحداث وتواليها، فليس بين المشهد فواصل، كما أن العلاقة بين مشهد تفقد الطير وكشف غياب الهدهد ومشهد عودة الهدد كذلك.

أمـــا مشهد عودة الهدهد ومشهد اجتماع البلاط الملكي في مملكة سبأ فبينهما فجوة مادية هـــي الأحداث التي وقعت عقب أمر سليمان الهدد بأن يذهب بكتابه إلى مملكة سبأ، حتى طلبت الملكـــة من حاشيتها رأيهم في كتاب سليمان، غير أن الدارس المتخصص يتبين أن بواسطة هذه الفجـــوة تم الـــربط الفني بين المشهدين – على نحو ما أشرنا- فأصبحا متعانقين يسيران بالحدث الرئيسي في طريق مستقيم نحو النمو والنضج، دون تراكمات أو صوارف تبعد المتلقي عن الغاية من القصة..."(٢).

٢- تنوع طريقة المفاجأة:

لقد كان من أساليب القرآن الفنية في عرض أحداث القصة إحداث عنصر المفاجأة ليصل من خلال ذلك إلى التأثير المطلوب بالمتلقي في الانتباه للغاية من القصة التي تُساق.

ولكنه – مع ذلك- لم يسلك طريقاً واحداً في تقديم هذا الحديث المفاجئ، بل نوع وتفنن في عرضه مراعياً في ذلك الزمان والمكان ليتحقق التأثير.

---

(١) عوضين: البيان القصصي، ص ١٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

فكان كل ذلك قيمة فنية مؤثرة أولاً في اختيار عنصر المفاجأة والحدث المفاجئ. وثانياً في طريقة عرضه وتنوع ذلك.

"يلاحظ المتأمل في القصة القرآنية أنها لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ الذي يسهم في النهاية ويحرك القصة إلى حل عقدتها الرئيسية، ولكنها تراعي المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة، فتقدمها فيهما محافظة بذلك على القيمة الفنية المعجزة التي يقوم عليها البيان القرآني في عمومه"[1].

وقد ذكر سيد قطب[2] – رحمه الله- أشكالاً لتنوع طريقة المفاجأة:

- فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن المشاهدين ، حتى يُكشف لهم معاً في آن واحد، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف، حيث يكشف السر عن الأعمال التي قام بها هذه العبد الصالح، ويأخذ في التجلي، فيعلمه المشاهدون حين يعلمه موسى.
- ومرة يكشف السر للمشاهدين، ويترك أبطال القصة عنه في عماية، وهؤلاء يتصرفون وهم في عماية بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية، ليشترك المشاهدون فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات أصحاب الحدث، ومثال ذلك ما شاهدناه في قصة أصحاب الجنة (إِذْ أَقْسَمُواْ

---

(١) عوضين: البيان القصصي، ص ١٣٦.

(٢) انظر: التصوير الفني، ص ١٨٣ وما بعدها، وقد ذكر أشكالاً أربعة، في حين لم أنقل عنه إلا ثلاثة أشكال، و لم أنقل عنه الشكل الرابع، حيث يقول فيه: "ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد"، ولا أرى أن هذا الشكل يختلف عن الشكل الأول في شيء.

لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾) [القلم: ١٧-٢٠]، وبينما نحن نعلم هذا، كان أصحاب الجنة يجهلونه، وقد ظللنا نشاهدهم وهم يتنادون ويتخافتون، والجنة خاوية كالصريم،حتى انكشف له السر أخيراً ...

- ومرة يكشف بعض السر للمشاهدين ويخفيه على البطل في موضع، وفي موضع آخر يخفيه عن المشاهدين وعن البطل، وذلك في قصة واحدة.

مثاله ما جاء في قصة سُليمان عليه السلام مع بلقيس، حيث كشف لنا عن قصة عرشها في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم (فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ) [النمل: ٤٢]. ومن ذكاء قالت كأنه هو فلم تنف أو تؤكد.

في حين أخفى علينا وعليها مفاجأة الصرح الممرد من قوارير حتى فوجئنا بسرها معاً.

إننا نجد القرآن الكريم – وهو يعرض قصصه بهذه الأساليب الفنية المتعددة- يراعي ما يتطلبه الحال ويقتضيه المقام، "فالهيئة التي يقدم بها القصة في مجال العقيدة غير الهيئة التي يقدم بها القصة في مجال التطبيق العملي ...

ففي قصة أصحاب الجنة في سورة القلم تأتي المفاجأة بعد بدء القصة مباشرة – كما وضحنا سابقاً- ذلك أن القصة مبنية على نزوة نفسية هي الطمع والشح.

أما قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، فالمفاجأة فيها تأتي في ختام الأحداث وبعد حواره مع صاحبه المؤمن، ذلك أن القصة مبنية على نزوة عقلية هي الاغترار والتكبر"[(١)].

---

(١) عوضين: البيان القصصي، ص١٣٦ وما بعدها بتصرف.

فانظر إلى هذا التنوع الفني في عرض الأحداث، والذي دعى إليه اختلاف ما بين القصتين مما بنيت عليه كل واحدة، على الرغم من تقاربهما في موضوعهما ظاهراً.

٣- عدم الالتزام بالسرد القصصي:

أشـــرنا ســـابقاً إلى أن القـــرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، و لم يكن هدفه التأريخ المجرد للأحداث وللوقائع التاريخية، وإنما كان يسوق هذه الأحداث وهذه القصص لتحقيق الغاية الكبرى التي جاء من أجلها وهي هداية الناس، فكان ينتخب من الأحداث ويسرد من الوقائع ما يحقق هذا الهدف في جانب من جوانبه بما يتفق وموضوع السورة وسياق القصة، تماماً مثلما نجده في موضع آخر يقدم الأحداث والمواقف في معرض واحد – كما هو الحال في سورة يوسف.

وعـــندما نقول: إن القرآن لم يلتزم بالسرد القصصي، فإنما نقصد أنه لم تكن عنايته الأولى موجهة إلى نقل وتسجيل أحداث القصة من أولها إلى آخرها دفعة واحدة، كما هو الحال في نقل وتسجيل الأحداث التاريخية.

بل نجده ينتخب مواقف وأحداث، ويعيد أحياناً أجزاء من هذه المواقف والأحداث ويفصل فـــيها في مكان ويختزل منها في مكان آخر، إلى غير ذلك من الصور التي تعددت في منهج عرض القـــرآن للقصـــة، على طريقة "ترى بها ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"[١].

وسوف نعرض لهذه القضايا ولغيرها بالتفصيل في مباحث قادمة إن شاء الله.

---

(١) الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢، ص ١٤٦.

"ولا شك في أن هذا المنهج من أبرز الخصائص الفنية في القصة القرآنية التي يعجز المخلوق عن مجاراة البيان القرآني فيها، لما يحوج إلى استجماع القوى الفنية جميعاً في وقت واحد، حتى لا يسقط موقف في معرض أو يزاد موقف، وحتى يتمكن من إدراك أبعاد المعرض وحصر متطلباته من الأحداث، والقدرة على حشد تلك الأحداث واستهلالها من القصة ، بحيث لا يهتز المسار الفني فيها، وبحيث لا يتناقض حدث في حلقة سابقة مع حدث في حلقة لاحقة"[1].

(١) عوضين، البيان القصصي، ص ١٤٢.

الفصل الثاني
التأليف في القصص القرآني
وقضايا منهجية في دراستها

المبحث الأول: التأليف في القصص القرآني:

المبحث الثاني: قضايا منهجية في دراسة القصص القرآني:

المبحث الأول

التأليف في القصص القرآني

المطلب الأول

الجهود السابقة في التأليف في القصص القرآني ... عرض ونقد.

المطلب الثاني

الجهود السابقة في مناهج التأليف في القصص القرآني عرض ونقد

المطلب الأول: الجهود السابقة في التأليف في القصص القرآني.. عرض ونقد

أريد هنا في هذا المطلب تتبع جهود العلماء والباحثين السابقين في التأليف في القصص القرآني منذ عصر التأليف وحتى العصر الحاضر، للوقوف مع هذه الجهود على تنوع اهتماماتها، واختلاف مشاربها، هادفاً من ذلك إلى أمرين:

أولاً: التأريخ لهذه الجهود منذ بدايتها، بحيث أسجل ملامح نشأتها وتطورها وتوسعها حتى غدت على ما هي عليه الآن.

وثانياً: الكشف عن خصائصها وسماتها ليساعدنا ذلك فيما بعد على تحديد الاتجاهات والمناهج التي هي أساس هذه الدراسة.

وحتى يسهل على القارئ الكريم نيل مراده في تتبع هذه الجهود، ومعرفة خصائصها وسماتها فقد قسمتها إلى ما يلي:

أولاً: الحديث عن القصص القرآني عند المحدثين.

ثانياً: الحديث عن القصص القرآني عند المفسرين.

ثالثاً: الحديث عن القصص القرآني عند المؤرخين.

رابعاً: الحديث عن القصص القرآني في كتب علوم القرآن والدراسات الإسلامية.

خامساً: الحديث عن القصص القرآني في كتب مستقلة في القصص القرآني.

سادساً: الحديث عن القصص القرآني في المقالات والبحوث العلمية المستقلة.

سابعاً: الحديث عن القصص القرآني من خلال وسائل التكنولوجيا المسموعة والمرئية.

أولاً: القصص القرآني عند المحدثين:

أنـــزل الله ســبحانه وتعالى القرآن العظيم على نبيه محمد ﷺ بلسانٍ عربي مبين لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وتلقى الصحابة رضوان الله عليهم هذا القـــرآن حفظاً وفهماً وعملاً، وقد كان لذوقهم اللغوي الرفيع وفهمهم العربي السليم الدور الكـــبير في فهـــم ألفاظ ومعاني هذا الكتاب العزيز، وما كان يصعب عليهم فهمه، أو يشق عليهم إدراكه كانوا يسألون عنه رسولهم الكريم ﷺ.

هــذا في الوقت الذي كانوا فيه يتلقون كلامه ﷺ فيقع في قلوبهم حفظاً وفي عقولهم فهماً حين يقع في آذانهم سماعاً، فكانوا يحفظون كلامه ﷺ ما كان تفسيراً للقرآن الكريم أم ما كان منه توجيهات وإرشادات وأحكاماً تهمهم في أمر دينهم وحياتهم.

وبعـــد وفاته أخذ اهتمام الصحابة بهذه الروايات عن رسولهم ﷺ يزداد، حيث نقلوها إلى جـــيل التابعين من بعدهم، وهكذا حفظها هذا الجيل — جيل التابعين– ونقلها عنهم من بعدهم أتباع التابعين بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ، وكما هو معلوم فقد كان التفسير في هذا الوقـــت جزءاً من الحديث، يروى على شكل روايات مسندة إلى رسول الله ﷺ. ثم وصلت هـــذه الثروة العلمية إلى العلماء الذين عرفوا بحفظهم وإتقانهم واهتمامهم بهذه الروايات عن رسول الله ﷺ، وكان قد بدأت من قبل مرحلة التدوين، وذلك في القرن الثاني للهجرة.

لقد جمع بعض هؤلاء الأعلام الحفاظ ما أرادوا مما وصل إليهم من حديث رسول الله ﷺ، حسبما اختطوه لأنفسهم من طرائق، فكانت لهم كتب مستقلة صنفت هذه الأحاديث

والــروايات فحفظــتها من الضياع حتى وصلت إلينا، وكان ذلك في العصر الذهبي للسنة النبوية، وهو القرن الثالث الهجري.

من هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (ت ٢١٤هــ)، والإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعــيل البخاري ت (٢٥٦هــ)، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت(٢٦١هــــ)، والإمــام أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ت(٢٧٥هــ)، والإمــام أبــو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت(٢٧٩هــ)، والإمام أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي النسائي، ت(٣٠٣هــ)، وسيأتي مزيد من التعريف بكتبهم فيما هو قادم إن شاء الله.

ولمــا لم يكن من أهداف هذه الدراسة بيان مناهج هؤلاء العلماء الأعلام في مصنفاتهم حســب ترتيبها وحسب الموضوعات التي اشتملت عليها، وإنما دراسة ما اشتملت عليه مما يخص التفسير تحديداً، وبشكل أخص ما يتعلق بقصص القرآن الكريم، فسوف يكون التركيز بشكل خاص على هذا الجانب تحديداً، لاستجلاء الخصائص العامة لها، وبيان بعض سماتها.

وقد حرصت – لتحقيق ذلك- أن أطلع على أهم المصنفات في حديث رســول الله ﷺ، لتتكون لدي فكرة متكاملة عن مناهج أصحابها في إيراد هذه القصص.

ويمكن جعل ذلك في جانبين:

الأول: بيان مناهج بعض المحدثين في إيراد هذه القصص.

الثاني: أهم الخصائص العامة لبعض هذه المصنفات.

الجانب الأول:

تعـــددت مناهج المحدثين – من خلال مصنفاتهم- في إيراد هذه القصص، وبخاصة ما يتعلق مـــنها بقصص الأنبياء، حيث كان معظم تركيز هذه الكتب على قصص الأنبياء دون غيرها من قصص القرآن الكريم.

١- فمنهم من أوردها حسب الترتيب التاريخي، وذلك كما فعل الإمام البخاري رضي الله عـــنه، حيث أوردها في كتاب: الأنبياء، حيث بدأ بالحديث عن خلق آدم عليه السلام، وخلق ذريته، وذلك في الباب الأول من هذا الكتاب، وساق أخبار بقية الأنبياء مراعياً الترتيـــب الزمني حتى وصل إلى عيسى عليه السلام ، وزاد بعد ذلك بعض القصص عن بني إسرائيل وغيرهم من الأمم السابقة[١].

٢- ومـــنهم مـــن أورد شيئاً مما يخص الأنبياء وبعض الأحداث التي مرت بهم، ولكن ليس حسب التسلسل الزمني أو الترتيب التاريخي، ولكن دون مراعاة لذلك، وهذا كما فعل الإمـــام مسلم رضي الله عنه، حيث لم يكن هدفه استعراض الأحداث أو سرد الوقائع، وإنما كما هو واضح ذكر الفضائل، حيث بدأ بذكر فضائل رسولنا الكريم محمد ﷺ، ثم ذكر فضائل عيسى وإبراهيم وموسى ويونس ويوسف وزكريا عليهم جميعاً السلام[٢].

---

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، دار الأفكار، ط١، كتاب رقم (٦٠)، أحاديث الأنبياء ، ص ٦٠٧-٦٣٨.

(٢) مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن رسول الله ﷺ، المعروف بصحيح مسلم، شركة دار الأرقم بن الأرقم، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٩.

٣- ومـــنهم من أوردها حسب ترتيب سور القرآن الكريم، وهذا هو الغالب عند من أفرد كـــتاباً خاصـــاً للتفسير في مصنفه، ونجد ذلك عند الإمام البخاري رضي الله عنه، فقد عرض لشيء من قصص الأنبياء وقصص القرآن، ففي تفسير سورة الكهف ذكر حديث موسى مع الخضر، باب: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا"[١].

٤- في حـــين نجـــد أن بعـــض من أفرد كتاباً للتفسير في مصنفه لم يعرض لشيء من هذه القصـــص، وذلك كما نجده عند الإمام مسلم[٢] والإمام الترمذي[٣] رضي الله عنهما، حيث لم يعرضا من خلال كتاب التفسير لشيء يذكر من هذه القصص.

٥- ومنهم من لم يعرض في مصنفه لشيء أبداً من قصص القرآن الكريم، وذلك كما نلمسه عند أبي داود والنسائي رضي الله عنهما.

٦- أمـــا مـــا يتعلق بالمسانيد – كما هو الحال عند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مســـنده- فنحن نعلم أن هذه الأسانيد قد رتبت حسب الصحابي الذي يروي الحديث مـــن غير مراعاة للموضوعات أو الأبواب، من هنا فإنه يصعب الحكم على منهج إيراد قصص القرآن من خلال هذه المسانيد.

---

(١) صحيح البخاري ، ص ٨٦٤ .

(٢) صحيح مسلم ، ص ١٤٣٢.

(٣) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع المختصر من السنن عن النبي ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف، ب:جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، ط١، ص ٥٠٠.

وســـواء جمعت الروايات المتعلقة بموضوع واحد تحت عنوان أو موضوع محدد، كما فعـــل البنا الساعاتي في مسند الإمام أحمد، حيث صنف – رحمه الله- بعض أحداث قصص الأنبياء تحت موضوع (التفسير)، وصنف معظمها تحت موضوع (التاريخ)[1].

سواء أجمعت أم لم تجمع فلست أرى أن بيان منهجها بعد إعادة ترتيبها يعطي الصورة الصحيحة لمنهج صاحبها الذي صنفها حسب الأسانيد.

الجانب الثاني: الخصائص العامة لهذه المصنفات في حديثها عن القصص:

يمكن لنا أن نستخلص بعض الخصائص العامة لهذه المصنفات حسب الآتي:

١- نلاحظ أنها روايات حديثية مسندة – وهي كما سبق وقلت: إنما هي جزء من الحديث يندرج عليها ما يندرج عليه- ولذلك نجد أن نقل هذه الروايات يختلف بحسب اهتمام ومنهج كل محدث، فمن كان ملتزماً برواية الصحيح فقط كالبخاري ومسلم رضي الله عـــنهما، كانت رواياته في هذا المجال روايات صحيحة ليس فيها أي ضعف أو طعن. ومن لم يلتزم رواية الصحيح، فإننا نجد عنده في هذا المجال روايات ضعيفة، وذلك كما هو الحال عند أبي داود في سننه.

٢- لم يتم استيعاب جميع أحداث القصص في هذه الروايات، وفق ما جاء في القرآن الكريم؛ لأن اهتمام المحدثين لم يكن منصباً على استقصاء أحداث القصص من خلال ما ورد في

---

(١) صنف الإمام البنا رحمه الله ما يتعلق بالأنبياء والقصص في الكتب التالية من المصنَّف: كتاب خلق العالم، كتاب أحاديث الأنبياء عليهم السلام، كتاب قصص الماضين... انظر: أحمد عبد الرحمن البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان ، بلا طبعة.

القـــرآن الكريم بشأنها، وإنما كان همهم تدوين ما نقل لهم عن رسول الله ﷺ بشأن هذه القصص، كما هو الحال في شأن غيرها.

مـــن هـــنا فإنهم لم ينقلوا جميع الأحداث كما جاءت في القرآن؛ لأنه إما أن حديثهم عنها كان في (كتاب التفسير) فيكون اهتمامهم في الغالب متوجهاً لتوضيح الألفاظ، وذلك كمـــا نجده عند الإمام الترمذي رضي الله عنه، حيث ذكر في تفسير سورة البقرة رواية عن أبي هريـــرة رضي الله عنه، أنه قال: "قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى "وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا " [البقرة: ٥٨] دخلوا متزحفين على أوراكهم، أي منحرفين"(١).

وإمـــا أن حديثهم عنها كان في باب الحديث عن (الأنبياء) أو (التاريخ)، لذلك فإن همهـــم أيضـــاً النقل عن رسول الله ﷺ دون الالتفات إلى حديث القرآن الكريم، فقد يكون هناك زيادة فيما نقلوه عما جاء في القرآن الكريم.

٣- لم تتوجه عناية هذه المصنفات إلى الترتيب التاريخي بالدرجة الأولى، وذلك لأنه لم يكن الهـــدف من تصنيفها التأريخ ـــ أو التصنيف التاريخي، ويرجع ذلك أيضاً إلى اختلاف مناهج أصحابها في ترتيب هذه الأحاديث فمن ذكرها في (كتاب التفسير)، يكون ملتزماً أن لا يخرج عن ترتيب المصحف، وهو ليس ترتيباً تاريخياً.

٤- أســـهمت هـــذه الكتب – وبخاصة التي التزم أصحابها برواية الصحيح، أو بيان درجة الحديث- أسهمت بشكل عام في الحفاظ على صفاء أحداث هذه القصص من الروايات

(١) جامع الترمذي، ص ٤٧٣، وقال حديث صحيح.

الإســـرائيلية أو الموضوعة، وإن كان حذف الأسانيد فيما بعد، أسهم في انتشار وتوسع دخول هذه الإسرائيليات.

٥- يلاحـــظ اهـــتمام بعض أصحاب هذه المصنفات بالاستشهاد بالآيات القرآنية، حتى إن بعضـــهم أحـــياناً يبوب بآية قرآنية في سياق حديثه عن الأنبياء، ليس ذلك في كتاب التفســـير، مما يعد لصيقاً بالقرآن الكريم، وإنما في باب الحديث عن الأنبياء، وذلك كما فعل البخاري رضي الله عنه في (كتاب الأنبياء) حيث ذكر من ذلك.

"باب قوله تعالى: "فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ" الحجر/٦١"[١].

"باب قوله تعالى: "لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ" يوسف: ٧"[٢].

ثانياً: القصص القرآني عند المفسرين في كتب التفسير:

سبقت الإشارة — في الحديث المتقدم عن جهود المحدثين- إلى أن تفسير القرآن الكريم قد كان في خطواته الأولى جزءً من الحديث الشريف، تنقل رواياته عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة والتابعين، كما تنقل بقية الموضوعات الأخرى التي اشتمل عليها حديثه ﷺ.

ولمـــا جاءت مرحلة تدوين العلوم — وذلك في بداية القرن الثاني للهجرة- بقي الحال عـــلى ما هو عليه في مرحلة الرواية، ودوّن التفسير في هذه المرحلة على أنه باب من أبواب الحديث الشريف.

---

(١) صحيح البخاري، ص ٦١٩.

(٢) صحيح البخاري، ص ٦٢٠.

ثم انـــتقل الاهتمام بالتفسير بعد ذلك درجة أخرى، جعلت منه مجالاً لاهتمام العلماء مـــن أتـــباع التابعين، فأفردوه بالتأليف في كتب مستقلة ، لكنهم مع ذلك لم يستقصوا في تفسير القرآن الكريم كله، إنما كان تفسيرهم غالباً فيما يُسألون عنه، مع ملاحظة أنه يغلب عليه طابع الاختصار والإيجاز.

ومـــن أشـــهر التفاسير التي وصلتنا تمثل هذا الشكل ، وهي مطبوعة الآن: تفسير ابن عـــباس ، ت(٦٨هـــ) برواية علي ابن أبي طلحة، وتفسير مجاهد، ت(١٠٤هـــ)، وتفسير الحســـن البصـــري، ت(١١٦هـــ)، وتفسير قتادة، وتفسير سفيان الثوري، ت(١٦١هـــ)، وتفسير السدي الكبير، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، ت(١١١هـــ).

بعد هذه الخطوات، أنتقل التفسير إلى مرحلة متقدمة بشكل بارز، حيث أفرد بالتأليف في كتـــب مســـتقلة، تم فـــيها استقصاء جميع آيات القرآن الكريم آية آية، حسب ترتيب المصحف الشريف.

وأشهر تفسير وصلنا هو تفسير الإمام الطبري ت(٣١٠هـــ)، المسمى: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

هـــذا التفسير الكبير الذي يسّر الله تعالى لنا به حفظ معظم ما جاء قبله في التفاسير، ومعظـــم روايـــات وآراء مـــن اشتهر بالتفسير والاهتمام به، فجمعها هذا الإمام الجليل في تفسيره، وزاد عليها بعض القضايا اللغوية والمناقشات النحوية، وضمنه استنباطاته واجتهاداته وتأويلاته.

وفي جميع هذه الخطوات المتقدمة كان التفسير لا يزال محتفظاً بطابع الرواية وذكر الأسانيد، والاهتمام بالتفسير المأثور عن رسول الله ﷺ.

لكن بعد هذا خطا التفسير خطوة أخرى، "وفيها لم يخرج عن حدود التفسير بالمأثور، ولكنه خرج عن طابعه المألوف من قبل، وهو تدوين المأثورات بأسانيدها، فوجدنا من العلماء من اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن يسندوها لقائليها، فدخل الوضع في التفسير، والتبس الصحيح بالعليل، وكان هذا مبدأ ظهور الوضع في التفسير وتطرق الروايات الإسرائيلية إليه"[1].

تم بعد ذلك صار المفسرون يتوسعون ويستطردون في تفاسيرهم، وكل واحد منه يفسر القرآن حسب العلم الذي مهر به وغلب عليه، بدأ ذلك من العصر العباسي وامتد حتى زماننا الحاضر.

"فالنحوي أكبر همه الإعراب وسرد مسائل النحو وفروعه، كأبي حيان - ت(٧٥٤ هـ)- في تفسيره "البحر المحيط".

وصاحب العلوم العقلية: جل عنايته بأقوال الحكماء والفلاسفة وذكر شبههم والرد عليها، كالفخر الرازي، ت(٦٠٦هـ) في تفسيره "مفاتيح الغيب".

والفقيه: مبلغ همه واهتمامه مسائل الفقه وتفريعاتها وذكر أدلتها، كالجصاص، ت(٣٧٠هـ) وأبي بكر بن العربي، ت(٥٤٣هـ).

---

(١) محمد حسين الذهبي: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٨٦.

وصاحب التاريخ: يكثر من ذكر القصص وأخبار من سلف، وكثيراً ما يخلط الصحيح منها بالأساطير والخرافات، كما في تفسير الثعلبي، ت(٤٢٧هـ)، والخازن، ت(٦٧٨هـ).

وأصحاب المذاهب الدينية والمواجيد الصوفية: ركزوا في تفاسيرهم على ما يهمهم من تأييد المذهب أو شطحات التصوف، وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه...

ولقد استمرت هذه النزعة العلمية العقلية في كتابة التفسير، وراجت في بعض العصور رواجاً عظيماً، كما راجت في عصرنا الحاضر تفسيرات يريد أهلها من ورائها أن يحملوا آيات القرآن كل العلوم ما ظهر منها وما لم يظهر، كأن هذا – فيما يبدو- وجه من وجوه إعجاز القرآن وصلاحيته لأن يتمشى مع الزمن، وفي الحق أن هذا غلو منهم، وإسراف يخرج بالقرآن عن مقصده الذي نزل من أجله، ويحيد به عن هدفه الذي يرمي إليه..."[1].

ومادام أنه ليس من هدفنا رصد حركة التأليف في تفسير القرآن الكريم، وبيان مناهج المفسرين واتجاهاتهم في هذا الجانب، فإنني سأقف إلى هذا الحد، مكتفياً بما قدمته من إشارات موجزة، لأعود من جديد لموضوعنا الأساس، وهو استجلاء جهود المفسرين في الحديث عن القصص القرآني من خلال تفاسيرهم.

ولا بد هنا من ملاحظة بعض الأمور:-

---

(١) الذهبي: الاتجاهات المنحرفة ، ص ١٦-١٧.

١- أن المســـاحة التي يشملها الحديث هنا واسعة جداً، وهي تستحق وحدها أن تكـــون موضوعاً مستقلاً يصلح أن تقدم فيه رسالة علمية، وتبحث في مناهج المفسرين في إيراد القصص القرآني وتفسيره، وذلك بشكل تفصيلي.

لكنني هنا لا أستطيع تتبع ذلك بشكل مفصل عند جميع المفسرين، فهذا مما لا يتسع له المجـــال هنا، وسأقتصر على تتبع بعض الجوانب عند أشهر المفسرين، لتتشكل للقارئ صورة واضحة عن الموضوع إن شاء الله.

٢- إن مما يجب ملاحظته أيضاً هنا أن الحديث عن جهود المفسرين يشكل أهمية بارزة في هـــذا المجال، إذ أن المصدر الأساس لبيان آيات القصص القرآني بشكل مفصل يظهر عند المفســـرين، فهـــم يعرضون – من خلال تفاسيرهم- إلى هذا الجانب وإلى آيات القصص بشكل كامل.

٣- إن ممـــا يزيد في أهمية تناول القصص القرآني عند المفسرين أن جهودهم في ذلك ليست في مرحلة زمنية محددة كما يمكن أن يقال عنها في المرحلة الأولى عند المحدثين...

بل، هي ممتدة حتى العصر الحاضر، وستبقى مادام هناك جهود للعلماء في تفسير القرآن الكريم.

ولا يقال الشيء نفسه عن الكتب التي أفردت للتأليف في القصص القرآني، فإنها –أي هـــذه الـــتي أفردت- غالبها، بل معظمها وأكثرها جهود معاصرة، وليس منها من الجهود

السابقة إلا النّزر اليسير، وسيتضح ذلك للقارئ الكريم عندما يأتي الحديث عن هذه الجهود إن شاء الله تعالى.

مع ملاحظة أن مما يزيد في أهمية تناول جهود المفسرين في هذا المجال أنها كانت متكئاً لكثير من الدراسات والأبحاث والمؤلفات ، حيث يصدر كثير من هؤلاء الكاتبين عدا قول المفسرين وآرائهم.

٤- ولابد أيضاً من الإشارة إلى أنه قد تعددت اتجاهات المفسرين ومناهجهم ومشاربهم في تفاسيرهم للقرآن الكريم، ولاشك أنه قد كان لذلك انعكاساته وآثاره على تناولهم للقصص القرآني، ومعالجة آياته وقضاياه، كما سيظهر عند التفصيل.

٥- وبناء على ما تقدم ، فإن اهتمام المفسرين بدراسة القصة القرآنية لم يكن شكلاً واحداً بالتأكيد.

وهناك المفسر الذي اهتم بالوجوه البلاغية والبيانية كالزمخشري وأبي السعود والبيضاوي والنسفي. وهناك المفسر الذي اهتم بالأخبار والقصص كالثعلبي والخازن. وهناك المفسر المؤرخ كالطبري وابن كثير ...

كل هذا التنوع والتعدد كان له الأثر في اختلاف مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني. ولكي تكون الصورة واضحة فإنني سأعرض للموضوع من جانبين اثنين:

الجانب الأول: عناية المفسرين بالقصص القرآني وتأكيد ذلك في مقدمات تفاسيرهم.

الجانب الثاني: تنوع مسالك المفسرين إزاء القصص القرآني:

الجانب الأول: عناية المفسرين بالقصص القرآني وتأكيد ذلك في مقدمات تفاسيرهم:

عرض بعض المفسرين – في أثناء المقدمات التي كانوا يقدمون بها لتفسيرهم للقرآن الكريم- للحديث عن القصص القرآني، وقد كان بعضهم يعقد فصلاً محدداً يعنون فيه باسم "قصص الأنبياء" أو "القصة القرآنية" ... الخ، ومن هؤلاء: الإمام البقاعي ت(٨٨٥هـ)، وابن جزي الكلبي ت(٧٤١هـ)، والقاسمي، ومحمد دروزة، وابن عاشور.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإشارات التي وردت في مقدمات هذه التفاسير حول القصة، تعد قليلة جداً مقارنة مع غيرها من القضايا التي كان يعرض لها المفسرون في مقدماتهم تلك.

وكان بعض المفسرين يحدد موقفه من القصص بالحديث عن الروايات الإسرائيلية ابتداءً في مقدمة تفسيره لاسيما وأن أكثر هذه المرويات يخص قصص الأنبياء والمرسلين، وممن تناول هذا الجانب في مقدمة تفسيره ابن كثير رحمه الله تعالى ت(٧٧٤هـ)، حيث ذكر أقسام الإسرائيليات كما يراها وجعلها في ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه.

ثم أشار بعد ذلك إلى شيء مما ينقله المفسرون من هذه الإسرائيليات، فذكر: أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم ، وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كان، وأسماء الطيور التي أحياها إبراهيم عليه السلام...

إلى غير ذلك من القضايا التي أشار إليها – رحمه الله- تحت هذا الباب.

وتجـــدر الإشـــارة أيضـــاً إلى أن دراســـة هذه المقدمات – فيما يخص القصص أو الإســـرائيليات– يؤكد لنا أن أصحاب هذه المقدمات قد تناولوا فيها الحديث حول القصة القرآنـــية، ولـــيس ســـرد الأحداث والوقائع ... وهذا أمر منطقي ينسجم مع وضع تلك المقدمات، حيث يعرض أصحابها – فيما يريدون الحديث عنه– للقواعد والأصول التي تتعلق بقضايا التفسير وعلوم القرآن.

وهكذا كان نصيب القصة القرآنية في هذه المقدمات، وهو وإن كان قليلاً جداً، فإن من أهم القضايا التي تم تناولها في هذا الجانب ما يلي:

أولاً: الحديـــث عـــن مفهوم القصة، في اللغة والاصطلاح، وذلك كما نجده عند ابن جزي[1]، وعند ابن عاشور[2].

ثانياً: الحديث عن أهم أهداف القصة، ومما ذكره ابن جزي وابن عاشور:

١- تأييد الله تعالى لأنبيائه ونصره لعباده.

٢- الاعتبار في قدرة الله تعالى، وشدة عقابه لمن كفر.

٣- ذكر عاقبة المكذبين، وإهلاك من كذب الأنبياء.

ثالـــثاً: الحديث عن تكرار القصة في القرآن، وفوائد ذلك، وقد تناول الإمام البقاعي ذلك عند حديثه عن أهمية البحث في مناسبات القرآن، وذكر من ذلك "أن به يتبين لك أسرار القصص المكررات...

---

(١) ابن جزي، محمد بن أحمد الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، المقدمة.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١، ص ٦٤.

وأن كـــل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم، والإيجاز والتطويل، مع أنه لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها"[1].

الجانب الثاني: تنوع مسالك المفسرين إزاء القصص القرآني:

سبقت الإشارة إلى أن لكل مفسر منهجه الخاص في تفسيره، وقد كان لذلك انعكاسه في تناول آيات القصة القرآنية "فمنهم من شغل نفسه بعيداً عن الهدف الأسمى والمنهج القويم الذي رسمه الله لعباده في قصص القرآن ، ومنهم من لجأ إلى الثقافة التاريخية في عصرهم، أو إلى الإسرائيليات، وآخرون لجأوا إلى الفروض النظرية لعلها تزيل ما حسبوه غموضاً وإبهاماً في القصـــص، وبعـــدوا بأنفسهم عن مواطن الهداية، وفاتهم أن هذا القصص أسلوب دعوة وهداية"[2].

وغـــير هؤلاء كانت وقفتهم متزنة وملتزمة بحدود النص القرآني، والحديث الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ، مجلين موضحين الأهداف والعبر التي أراد القرآن بسطها في حياة الناس من خلال هذه القصص.

(١) برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنا، ط١، ١٩٩٥، ج١، ص١٦.

(٢) طه عبد الفتاح مقلد: القصص بين المفسرين والقصاص قديماً وحديثاً، بلا طبعة، المقدمة ص ١.

وموجـــزة حيـــناً آخر، ومنسوبة إلى رواة من غير تلك الطبقة، بالأسماء حيناً، وبدون أسماء حيـــناً، وصادرة عنهم أو موهمة أنها كذلك حيناً آخر، حتى يقع في نفس القارئ من فحوى عـــباراتهم وأساليب إيرادهم أحياناً أنهم يعنون أن القصص القرآنية أو بعضها على الأقل قد وردت في القرآن لذاتها، وبقصد الأخبار والماهيات والحقائق أكثر من قصد العظة والتذكير، وكثير مما أوردوه لا يتفق مع دلالات الآيات ولا تتحمله أهدافها ولا تقتضيه عباراتها، كما فيه مفارقات كثيرة، وما هو داخل في باب الخرافة منها في باب الحقائق..."[1].

ويقـــول: "ولقـــد كـــان أمرهم أن استغرقوا فيها حتى صاروا يحاولون التوفيق بين مختلف الـــروايات الواردة فيها والجدل في ذلك، بالإضافة إلى محاولات التوفيق والتلفيق والتأليف بين ما جـــاء فـــيها وبين ما يبدو من مناقضة العبارات القرآنية لبعض ما فيها، أو لما يجب من حق الله والأنبـــياء والملائكة، ويضاف إلى هذا محاولتهم أخذ بعض الأحداث القصصية كحجة لأحكام فقهـــية في الإسلام، مثل ما فعلوا في قصة أيوب واستنباط جواز الحيلة في التحلل من اليمين، لأن القصة احتوت أمراً لأيوب بضرب زوجته بضغث من حشيش بدلاً من جلدها بالسوط مئة مرة كمـــا أقسم، ومثل تجويز أن تكون أجرة الراعي صداقاً وعدم تعيين البنت التي آجر موسى نفسه مقابل نكاحها في قصة موسى وشعيب... كل هذا مؤد كما هو ظاهر إلى التشويش على الناظر في القرآن ومراميه في القصص، وعلى أهدافه السامية، وإلى غدو كتب تفسيره معرضاً للكثير من المفارقـــات والمـــبالغات والتمحلات والمجادلات والمخولات والمدسوسات، وغدو القرآن بذلك عرضـــة للعجز والجرح من قبل الأغيار أيضاً، كما أن ذلك قد أدى إلى استحواذ القصة القرآنية

---

(١) دروزة، محمد عزة: القرآن المجيد ، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢٣٣.

لذاقمـــا على أفكار السواد الأعظم من المسلمين بل وخاصتهم، وصارت عندهم كذلك موضوعاً ذاتياً ومجالاً واسعاً للأخذ والرد والسؤال والاستفتاء والاستقصاء والحجاج والاحتجاج والتصويب والمناظرة ... الخ، مما كاد يضيع معه مواضع العبرة في القصة وقصد القرآن الجوهري منها"[1].

وعـــلى الـــرغم من الإطالة فيما نقلته هنا، ومما تضمنه كلام دروزة من كلام جارح أحـــياناً، أو مما فيه مبالغة إلا أنه قد حوى كثيراً من الحقائق التي تشكل وصفاً عاماً لموقف المفسرين من القصص.

ولكي تتضح الصورة عند القارئ الكريم ، فقد صنفتُ المفسرين ، وأهم كتب التفسير التي لها خصائص وسمات بارزة ومميزة في تناول القصص القرآني كما يلي:

أولاً: من المفسرين من كان له اهتمام واضح وكبير بنقل الروايات والأخبار التاريخية في موضـــوع القصص، وقد كان لاهتمامهم هذا أثر بارز في وقوع معظمهم عن قصد أو دون قصد، في نقل الكثير من الإسرائيليات.

وقد تعددت مناهج هؤلاء المفسرين واختلفت:

١- فمـــنهم من كان يذكر الروايات مسنده، وذلك على طريقة المحدثين في ذكر أسانيد رواياقم، ومنهم من لم يهتم بذكر الأسانيد، والذين اهتموا بذكر الأسانيد كانوا على شكلين:

أ) مـــن كان يورد الروايات والأخبار ولا يتناولها بالتعقيب أو التنبيه، ومن هؤلاء الإمـــام الطبري رضي الله عنه ت(٣١٠هـــ)، وقد كان لثقافته التاريخية أثر بين

---

(١) دروزة: القرآن المجيد، ص ٢٣٣.

في الاهتمام بتفصيل الأحداث، ولعله في اكتفائه بذكر أسانيده في الروايات التي ينقلها ما جعله لا يعقب على كثير جداً من هذه الروايات، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في قصة "صخر المارد" وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ"[1][ص:٣٤]، حيث يذكر رواية واضحة البطلان ليس عليها دليل من القرآن أو السنة، بل هي تطعن في عصمة النبي سُليمان عليه السلام، حيث يشير فيها إلى أن الله ألقى شبه سليمان عليه السلام على شيطان، وسلط هذا الشيطان على مُلك سليمان كله غير نسائه ... إلى آخر هذه الرواية المكذوبة، لكن العجيب أن الطبري ذكرها مسندة دون تعقيب كما هو الحال الغالب عنده في أمثال هذه الروايات.

ب) من كان يذكر الروايات والأخبار ويعقب عليها، منبهاً عليها ومبيناً ضعفها وعدم جواز روايتها، ومن هؤلاء ابن كثير ، ت(٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى الذي يعد بحق إمام هذا الفن في التنبيه على الإسرائيليات والروايات الدخيلة في التفسير، وإذا كان ابن كثير مؤرخاً تستهويه الروايات التاريخية، وتفصيل الأحداث الماضية، فإن براعته في الحديث رواية ودراية مكنته من تبوّء هذه المكانة بين المفسرين في التنبه لهذه الروايات الدخيلة.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل آي القرآن "تفسير الطبري"، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

ومن الأمثلة على تنبيهه على الإسرائيليات ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾" [ص: ٢١-٢٤]، حيث يقول: "قد ذكر المفسرون هاهـــنا قصـــة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، و لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكـــن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده؛ لأنه من رواية الرّقاشي، عن أنس، ويزيد- وإن كان من الصالحين- لكنه ضعيف الحديث عن الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً"[1].

٢- أمـــا المفسرون الذين كان لهم اهتمام بذكر الروايات لكنهم لم يذكروا الأسانيد، ففي الغالب لم يتعقبوا هذه الروايات بالتنبيه عليها أو بيان بطلانها، ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان ت(١٥٠هـــ) في التفسير المنسوب إليه، الذي حققه الدكتور عبدالله شحاته، والخازن ت(٦٧٨هـــ) في تفسيره (لباب التأويل في معاني التنزيل)، والسيوطي ت(٩١١هـــ) في تفسيره (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، ويمكن أن ندخل في هذا الباب تفسير الثعلبي ت(٤٢٧)هـــ وتفسير البغوي ت(٥١٠هـــ) حيث لم يذكرا أسانيدها اكتفاءً بذكرها في المقدمة.

(١) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمرو: تفسير القرآن العظيم، حققه وخرج نصوصه وضبطه حسان الجبالي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٩٩٩، ص ١٤٦٤.

وممـــا هو معلوم أن تفسير الخازن مختصر من تفسير البغوي كما جاء عند الخازن في مقدمته، وتفسير البغوي مختصر من تفسير الثعلبي.

والقـــارئ في هذه التفاسير بشكل عام يجد العجاب من الروايات الإسرائيلية والأخبار الـــباطلة، وقد ذكرت وأهملت دون تعقيب أو بيان، ويكفي لمعرفة ذلك أن نقف مع قوله تعالى: "إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾" [الكهف: ١٠]، ونقرأ ما ذكره أصحاب هذه التفاسير عند تفسير تلك الآية الكريمة[1].

ثانـــياً: من المفسرين من لم يكن له اهتمام ابتداءً بنقل الأخبار والروايات والتفصيل فيها، وبخاصة ما يتعلق بالقصص القرآني، ويمكن تصنيف هؤلاء إلى صنفين:

١- مـــن كـــان يقتصـــر في تفسيره على حدود النص في تحليل ألفاظه، وبيان معاني التراكيـــب، وهؤلاء تفاسيرهم –غالباً– مبنية على الإيجاز والتوسط، ومن هنا فإن أصحاب هـــذه التفاســـير قـــد قلت عندهم الروايات الإسرائيلية إلى حدٍ كبير، كما لم نجد عندهم التفصـــيلات التي كنا نقرؤها عند أمثال الطبري وابن كثير والسيوطي وغيرهم، بل وجدنا منهم من إذا نقل شيئاً من خرافات بني إسرائيل أشار إليه ونبه عليه[2].

---

(١) وللأمانة فإن الخازن على الرغم من ذكره الإسرائيليات إلا أنه لم يكن يذكر ما يتنافى مع عصمة الأنبياء.

(٢) انظـــر: الزمخشـــري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للـــتراث، ط٢، ١٩٨٧، ج٤، ص ٨٠، في دفاعه عن داود وسليمان عليهما السلام عند تفسير قوله تعالى: "وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ" [ص: ٢١]، وانظر البيضاوي، ج٥، ص ١٧-١٨، في دفاعه عن داود وسليمان أيضاً، وذلك متابعة للزمخشري.

ومن هؤلاء المفسرين: الزمخشري ت(٥٣٨هـ)، والبيضاوي ت(٦٩١هـ) والنسفي ت(٧٠١)هـ، وأبو السعود ت(٩٨٢هـ).

ومع ذلك فقد وجدت عند بعضهم سقطات وقعوا فيها بنقلهم بعض الأخبار الضعيفة في تفسيرهم لبعض القصص[1].

٢- وصنف آخر توسعوا في تناول قضايا التفسير، والتفصيل في موضوعاها، كل مفسر حسب منهجه، فمن كان اهتمامه بالجانب الفقهي توسع في هذا الجانب، مثل القرطبي ت(٦٧١)هـ، ومن كان اهتمامه بقضايا النحو والإعراب فصل في ذلك، مثل أبي حيان ت(٧٥٤)هـ، ومن غلب عليه الاهتمام بقضايا علم الكلام، وعلوم الكون والطبيعة أوغل في ذلك، مثل الرازي ت(٦٠٦)هـ، ومن كان هدفه نقل الأقوال وتمحيصها وتحقيقها، وتحقيق المسائل وبعض القضايا المتعلقة بالتفسير اهتم بذلك وبرع فيه، مثل الآلوسي ت(١٢٧٠)هـ.

لكن هؤلاء جميعاً على توسعهم الواضح في قضايا التفسير إلا أنه لم يكن لدى أحدهم اهتمام كبير بنقل الأخبار التاريخية أو الأحداث السابقة، وبخاصة فيما يتعلق بقصص القرآن الكريم، بل منهم من وقف وقفة حازمة أمام بعض الأخبار الضعيفة في هذه القصص وفندها ورد ما فيها من شبهات[2].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود؛ محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم "تفسير أبي السعود"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ج١ ، ص ٣٤١، فيما نقل من وصف المائدة عند تفسيره لقوله تعالى: "قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾" [المائدة: ١١٥]، وانظر: التفسير ، في تفسير قوله تعالى: "إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾" [الفجر:٧].

(٢) انظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١٣، ص ١٧٧ وما بعدها، في دفاعه عن سليمان عليه السلام ورد الشبهات عنه في كثير مما روي عنه من الأخبار الإسرائيلية، وانظر القرطبي في ا لقصة نفسها.

ثالثاً: من المفسرين من كان له عناية خاصة بإبراز القيم الدعوية والتربوية والإنسانية من خلال تناوله لقصص القرآن الكريم، كما يظهر عنده التركيز على بيان السنن الاجتماعية الخاصة بالأمم والأفراد، وذلك فيما تحققه قصص القرآن في كثير من هذه الجوانب. وممن يمثل هذه الجانب الإمام محمد رشيد رضا ت(١٩٣٦م) في تفسيره المسمى "بالمنار" ويمثله أيضاً الشهيد سيد قطب ت(١٩٦٦)م، في تفسيره المسمى "في ظلال القرآن"، ولعل الحياة التي عاشها هذان المفسران، وتداعيات العصر في سقوط الخلافة الإسلامية، وسيطرة الدول الاستعمارية على كثير من البلاد العربية الإسلامية ... إلى غير ذلك من الظروف الاجتماعية السياسية، قد كان له الأثر الكبير في توجيه عنايتهما للاهتمام بجانب إبراز تلك القيم الدينية من خلال تناول قصص القرآن الكريم، وقد ساعد على ذلك أيضاً انشغالهما بقضايا الإصلاح والدعوة إلى الله، فالإمام محمد رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده ت(١٩٠٥)م، والإمام محمد عبده تلميذ الإمام جمال الدين الأفغاني ت( )، وقد كان لكل منهم دوره البارز في الدعوة والإصلاح.

وسيد قطب عاش آخر حياته في مدرسة (الإخوان المسلمين) التي تبنت في مبادئها الإصلاح والدعوة إلى إقامة الخلافة الإسلامية.

وقد كان لذلك أثره الواضح على هذين المفسرين في اهتمامهما بالقصص القرآني، وبخاصة قصص الأنبياء في إبراز خصائص الدعوة إلى الله وموقف الداعين والمدعوين على حدّ سواء ... الخ.

وهذا هو الإمام محمد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: "۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾" [البقرة: ٤٤] يقول:

"الخطاب عام لليهود الذين كان هذا حالهم وعبرة لغيرهم، لأنه منبئ عن حال طبيعية للأمـــم في مثل الطور الذي كانوا فيه، ولذلك كان القرآن هداية للعالمين إلى يوم القيامة، لا حكاية تاريخ يقصد بها هجاء الإسرائيليين، فلتحاسب الأمة نفسها في أفرادها ومجموعها لئلا يكون حالها كحال من ورد النص فيهم فيكون حكمها عند الله كحكمهم؛ لأن الجزاء على أعمال القلوب والجوارح، لا لمحاباة الأشخاص والأقوام أو معاداتهم"[١].

كمـــا نجده عند تفسير قوله تعالى: "وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾" [النســـاء: ١٦٤][٢]، يذكر بعض الحكم والفوائد من إرسال الرسل مستشهداً عليها بنصوص القرآن الكريم.

وبعـــد انتهائه من تفسير سورة "هود"[٣] عليه السلام يعقد بعض الفصول يتكلم فيها عن سنن الله تعالى في الطباع والغرائز البشرية، وعن سنن الله في الاجتماع والعمران، ويوجه كـــثيراً مـــن ذلك من خلال ما جاء في تلك السورة من قصص الأنبياء عليهم السلام وما تضمنته من التوجيهات.

---

(١) محمد رشيد رضا: تفسير القـــرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص ٢٤٠.

(٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ، ج٦ ، ص ٥٧.

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج١٢ ، ص ٢٠١-٢١٢.

وإذا نظرنا – بعد ذلك- في تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن" وجدناه ممتلئاً متفنناً في تجلــية كثير من قضايا القصص القرآني فيما يتعلق بها من توجيهات وإرشادات ودلالات وعبر.

ففي تعقيب له على قصة بني إسرائيل في سورة البقرة وكثرة ورودها في القرآن الكريم، يقــول: "ومن مراجعة المواضع التي وردت فيها قصة بني إسرائيل هنا وهناك يتبين أنها متفقة مــع الســياق الذي عرضت فيه، متمة لأهدافه وتوجيهاته... وهي هنا متسقة مع السياق قبــلها، سياق تكريم الإنسان، والعهد إليه والنسيان، متضمنة إشارات إلى وحدة الإنسانية، ووحدة دين الله المنزل إليها، ووحدة رسالاته، مع لفتات ولمسات للنفس البشرية ومقوماتها، وإلى عواقــب الانحراف عن هذه المقومات التي نيطت بها خلافة الإنسان في الأرض، فمن كفر بها كفر بإنسانيته وفقد أسباب خلافته، وارتكس في عالم الحيوان.

وقصة بني إسرائيل هي أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، والعناية بعرض مواقفها وعبرها عناية ظاهرة، توحي بحكمة الله في علاج أمر هذه الأمة المسلمة، وتربيتها وإعدادها للخلافة الكبرى"[1].

بقــي أن أقــول: إن هناك قدراً مشتركاً بين كتب التفسير، في تناول قصص القرآن الكريم، وذلك على تفاوت فيما بينها إقلالاً وإكثاراً، أو إبداعاً وإخفاقاً في تحقيق المطلوب.

من ذلك:

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج١ ، ص ٦٦.

١- تناولها آيات القصص بالتفسير والتحليل، ببيان معاني الألفاظ ودلالات التركيب.

٢- إيراد الأخبار والروايات التاريخية والأحاديث النبوية في أثناء توضيح أحداث القصص وتفسير آياته.

٣- أنها لم تخلُ – ماعدا القليل- من الروايات الإسرائيلية الباطلة.

٤- التركيز – في بعضها- على جانب العبر والعظات في القصة، وبيان ما فيها من إرشادات وتوجيهات.

كل ذلك على تفاوت فيما بينها كما سبقت الإشارة إليه.

ثالثاً: القصص القرآني عند المؤرخين:-

إن المـــرحلة التي جاءت فيها جهود المؤرخين في الحديث عن القصص القرآني لا تعد مرحلة تاريخية أو زمنية متأخرة عن المرحلة التي جاءت فيها جهود المحدثين أو المفسرين، بل تكاد تكون مرحلة متزامنة ضمن هذه الجهود الثلاثة المشتركة، وبخاصة إذا نظرنا إلى هذه الجهود في الفترة التي دونت فيها العلوم في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري.

ولـــيس أدل على هذه الحقيقة من أنك إذا جئت تتكلم عن أشهر كتاب في التاريخ وجدت "تـــاريخ الطـــبري" المسمى بـــ"تاريخ الأمم والملوك"، والطبري ت(٣١٠)هـــ هو ذاته صاحب أشهر تفسير للقرآن الكريم المسمى بـــ"جامع البيان عن تأويل آي القرآن".

وفوق هذا تجد من المحدثين من كان له هذا الاهتمام الواضح بالتأريخ وقد ألف كتاباً في هذا الفن، من هؤلاء "خليفة بن خياط" ت(٢٤٠)هـــ، وكتابه اسمه "التاريخ".

بـــل نجد من علماء المسلمين – في مرحلة ليست قريبة من بداية عصر التدوين- من كان له اهـــتمام في هذه العلوم الثلاثة الحديث والتفسير والتاريخ، والإمام ابن كثير ت(٧٧٤)هـــ واحد مـــن هؤلاء فهو حافظ محدث، ومؤرخ له في التاريخ "البداية والنهاية" ومفسر له "تفسير القرآن العظيم".

مـــن هنا فإنني إذ أتناول هذه الجهود مفرقاً بينها، فإنما هو لأجل التوضيح وحسن التقسيم، وإلا فهي جهود متزامنة متقاربة، وبخاصة في مراحل ظهورها وتدوينها.

وقد كان للمؤرخين اهتمام خاص في تدوين أخبار الأمم وأحداث التاريخ متتبعين في ذلك أدق التفاصيل، واهتمامهم الخاص هذا جعلهم يهتمون بشكل أدق بأخبار الأنبياء والرسل، على

أن مـــن مصادرهم فيها القرآن الكريم وبعض ما روي عن النبي ﷺ في هذا الشأن، وقد حقق لهم القدرةَ من الاستفادة من هذين المصدرين معرفتهُم التخصصية الدقيقة بعلم التفسير وعلم الحديث، فكان ذلك داعماً لهم، بل هو أُساس آخر اعتمدوه فوق اعتمادهم نقل السماع الذي حفظوا به أحـــداث الـــزمان الماضي فيما كانوا يسمعونه من رواة التاريخ، وهو ما يشكل المصدر الثالث لكتاب التاريخ، أضف إلى ذلك اعتمادهم روايات أهل الكتاب فيما جاء في التوراة.

والجهود التي أريد بيان خصائصها العامة في الحديث عن قصص الأنبياء هي ما كان ضمن كتـــب "الحولـــيّات"[١] التي اهتم أصحابها فيها بالظرف الزمني للحوادث والوقائع، وقد وجدت لبعض المؤرخين تأليفاً في تاريخ الأنبياء، لكنه لا يعد ضمن هذه الحوليات، بل هو كتاب مستقل يبحـــث في تـــاريخ الأنبياء، وذلك كما فعل الخطيب البغدادي ت(٤٦٣)هـــ، في كتابه "تاريخ الأنبياء"[٢].

إن اهـــتمام المؤرخين المسلمين في تدوين التاريخ "يتمثل بالبحث التاريخي نفسه، ذلك الذي يعـــنى بالحديث عن هذه الواقعة أو تلك، مكتفياً بجمع الروايات عنها حيناً، محللاً مقارناً مفسراً حيـــناً آخـــر، مما يشكل – في حقيقة الأمر– المساحة الأكثر اتساعاً في معطيات النشاط المعرفي التاريخي"[٣].

---

(١) "الحولـــيات" "هو منهج تخصصي في علم التاريخ ابتكره علماء المسلمين، وفيه خضعت المادة التاريخية لتعاقب السنين المفردة... حيث يحرص المؤرخ على جانب الاستمرارية في رواية الحديث، وتنسيق المواد التاريخية المتنوعة مـــن جانب آخر، وهو منهج الترتيب على السنين". عبد العليم عبد الرحمن خضر: المسلمون وكتابة التاريخ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٩٩٥م، من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٢) صدرت طبعته الأولى عام ٢٠٠٤م بتحقيق آسيا كليبان علي البارح.

(٣) انظر كتاب "المسلمون وكتابة التاريخ"، مقدمة الكتاب للدكتور عماد الدين خليل، ص ١٠.

وعلى الرغم من تقارب هذا الاهتمام عند المؤرخين إلا أن هناك بعض الاختلافات عندهم في مـــنهج تدوين هذه الأحداث، فالطبري مثلاً ينهج طريقة المحدثين، حيث يذكر الحوادث مروية، ويذكـــر السند إلى صاحبه، ويرتب الأحداث ترتيباً زمنياً متسلسلاً، وهو غالباً لا يبدي في ذلك رأياً، وإنك تحس أحياناً وأنت تقرأ عنده – وبخاصة ما يتعلق بقصص الأنبياء- أنك تقرأ في كتاب تفســـير، وهـــذا يؤكد اعتماده القرآن مصدراً من مصادره التاريخية، واقرأ إن شئت عنده قصة يعقوب عليه السلام وأولاده[1].

وابـــن الأثـــير ت(٦٣٠هـــ) صاحب كتاب "الكامل في التاريخ" قد اعتمد اعتماداً أساسياً تـــاريخ الطبري كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه[2]، وذكر الأحداث حسب التسلسل الزمني، إلا أنه لم يسلك في ذلك طريقة المحدثين، و لم يهتم بذكر السند، بل جمع الأحداث وسردها على طريقته الخاصة وفق تسلسلها الزمني.

وابن كثير ت(٧٧٤)هـــ وهو محدث مفسر، كانت طريقته طريقة المحدثين تماماً، حيث يورد ســـنده، مبيناً في كثير من الأحيان حكمه على بعض الروايات ودرجة ثبوتها، وقد أضفى اهتمامه بالتفســـير طابعاً واضحاً على كتابه فيما نقرأه من كثرة استشهاده بالقرآن الكريم، والإشارة إلى كـــثير مـــن الأحداث التي يسردها من خلال آيات القرآن الكريم، وبخاصة فيما يتعلق بقصص الأنبياء. ...

---

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: (تاريخ الأمم والملوك)، الشهير بتاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١، ج١، ص ٢٠٠-٢١٩.

(٢) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، المقدمة.

أما العلامة ابن خلدون ت(٨٠٨)هـ[١] فقد كان لاهتمامه بقضايا العمران ونشأة المجتمعات وانحطاطها، ولاهتمامه بقضايا علم الاجتماع كبير الأثر في تشكيل منهجية النقد في كتابه، وتسجيل مستخلصاته التاريخية التي أودعها مقدمة تاريخه، والتي اشتهرت فيما بعد بـ(مقدمة ابن خلدون).

وقد رتب تاريخه حسب التسلسل الزمني للأحداث، وقد كان صاحب منهج خاص في نقد[٢] مرويات التاريخ عنده، فإذا كانت الأخبار التي يتناولها أخباراً شرعية استعمل فيها أسلوب الجرح والتعديل، وإذا كانت هذه الأخبار أخباراً عن الواقعات فإنه يستعمل فيها أسلوب (المطابقة) حيث يحكم فهمه وعقله والمنطق العلمي والصدق التاريخي فيما يرى من خلاله أن تلك الواقعة ممكنة الوقوع أم ممتنعة.

إلى غير ذلك من الاختلافات – أو التقارب- مما تجده عند كثير من المؤرخين في طريقتهم لتدوين الأحداث...

بقي أن أسجل بعض الخصائص العامة لهذه المدونات في علم التاريخ، ومن أهم تلك الخصائص:

١- اهتمام بعضها بالسند، حيث يذكر المؤرخ سنده إلى من أخذ عنه الرواية، وجدنا ذلك عند الطبري وابن كثير.

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، وكتابه هو "تاريخ ابن خلدون) المسمى بـ (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) تحقيق د. تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١ عام ١٩٩٩م.

(٢) انظر: مقدمة التحقيق ، ص ١٩.

٢- الاهتمام بالتفصيل في نقل الأحداث والأخبار، حيث يقف المؤرخ عند بعض الجزئيات، من مثل ذكر بعض الأسماء أو الأماكن، وبعض الأحداث الجانبية التي تتخلل الحادثة الأهم، وكان هذا يوقعهم في كثير من التفريعات والتفصيلات التي نلمس فيها إضافة واضحة على حدود النص القرآني.

٣- يغلب على هذه الكتب طابع السرد التاريخي، حيث يتناول المؤرخ الأحداث التاريخية وسردها مرتباً إياها ترتيباً زمنياً متسلسلاً، وقليل ما يتم تناول هذه الأحداث بالتحليل أو التفسير أو التعليل.

٤- كان هناك اهتمام واضح بالنص القرآني، وحديث الرسول ﷺ - وذلك فيما يخص الأحداث التاريخية أو الشخصيات التي شكلت القصة القرآنية- ولعل هذا الاهتمام راجع إلى ثقافة هؤلاء المؤرخين- كما سبقت الإشارة إلى ذلك- كما ويرجع إلى اعتماد المؤرخين هذين الأساسين – القرآن ، وحديث الرسول ﷺ- مصدراً من مصادرهم التاريخية.

٥- قد أسهمت كتب التاريخ في حفظ كثير من الأحداث والتفصيلات فيما يخص الأنبياء وحياقم، ولكن يبقى اعتمادنا في الأساس على القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ في استقاء تفصيلات حياة هؤلاء الأنبياء الدعوية، وذلك لارتباط حياته بقضية توحيد الله تعالى وعصمة هؤلاء الأنبياء في تبليغ رسالات ربهم ...

يقول السخاوي ت(٩٠٢)هـ: "وبالجملة: فالمؤرخون كغيرهم من سائر المصنفين، في كلامهم الخمير والعفين، والسعيد من عدت غلطاته وما اشتدت سقطاته، فكل إنسان سوى ما

اســتدركوا يؤخذ من كلامه ويترك، وهي الدنيا لا يكمل فيها شيء، ولا يخلو مصنف من نشر وطــي، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: "حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه"[1]، ليس المعنى بوضعه إعدامه وإتلافه، إنما هو نقص فيه"[2].

رابعاً: القصص القرآني في كتب علوم القرآن والدراسات الإسلامية:

احتلــت القصــة القرآنية مساحة ليست بالقليلة في بعض الكتب التي تناولت قضايا علوم القــرآن بــالدرس والبحث، وكذلك في بعض كتب الدراسات الإسلامية التي تناولت جملة من القضايا، لم تغب عنها القصة القرآنية. على الرغم من أن (القصص القرآني) ليس من موضوعات علوم القرآن — حسب رأيي- إلا أننا وجدنا من الكاتبين من كان يحرص على الحديث عنه ضمن حديثه عن قضايا علوم القرآن ...

ولعــل عدم وجود اتفاق واضح محدد بين العلماء على قضايا ومباحث علوم القرآن — ماذا يدخــل فــيها وماذا لا يدخل- لعل ذلك ساهم في هذا التباين بين الكاتبين في دراسة (القصص القرآني) ضمن هذه القضايا.

ولعل — أيضاً- لما يراه هؤلاء الكاتبون من أهمية ومكانة للقصة القرآنية، ولرغبتهم في التوسع في الحديث عنها قد أوجد لها هذه المكانة بين بقية موضوعات علوم القرآن الكريم.

في حــين وجدنــا الكثير من الكاتبين قد التزم جانباً محدداً فيما يعرض له من قضايا علوم القرآن، لم تكن القصة القرآنية من بينها...

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقائق، باب (٣٨).

(٢) السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، بل طبعة، ص ١٦٥.

والكتـــب التي تحدثت عن القصة القرآنية كانت تتناول جوانب محددة في حديثها – سواء أكانت كتب علوم القرآن أم كتب الدراسات الإسلامية- حيث كان حديث هذه الكتب يدور حـــول قضـــايا القصة القرآنية، فقد كانت تعالج جوانب معينة في فنية القصة القرآنية، وأهدافها وخصائصها وعناصرها، و لم تكن تعرض لسرد الأحداث أو نقل أخبارها، وهذا يذكر بما قلته في حديثي عن مكانة القصة القرآنية في مقدمات التفاسير ...

وقـــد كانت الموضوعات بين هذه المقدمات وبين هذه الكتب متقاربة، غير أن المساحة التي احتلتها القصة هنا أكبر منها في تلك المقدمات ...

- **ومن كتب علوم القرآن التي تحدثت عن القصة القرآنية:**

١- منهج الفرقان في علوم القرآن، للشيخ محمد علي سلامه:

فقـــد عرض في المبحث الخامس عشر من مباحث الكتاب في الجزء الثاني منه، وهو المبحث الأخير في مباحث الكتاب، حيث عرض فيه إلى موضوع (قصص القرآن وأمثاله) فيما يقرب من تسع صفحات.

وقـــد تكـــلم عن مفهوم القصص، وعرفها بقوله: "قصص القرآن إخباره عن أحوال الأمم الماضـــية أو الأنبياء السابقة، والكائنات الواقعة"[1]، وهو هنا قد زاد في التعريف المشتهر للقصص القرآني قوله: "والكائنات الواقعة" ويقصد بها الحوادث التي وقعت على زمن النبي محمد ﷺ، وهو بهـــذا لا يعد القصص منحصراً فقط في تتبع الأحداث الماضية، وإنما يضم إليها الأحداث المعاصرة الواقعة على زمن النبي ﷺ.

---

(١) محمد علي سلامه، منهج الفرقان في علوم القرآن، تحقيق د. محمد سيد أحمد المسير، نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٢، ج٢، ص ١٥٤.

وقــد سبق أن ناقشت هذه القضية بشكل مختصر، مبيناً فيها أن المنهج الذي اخترته هو ما ســار عليه أكثر العلماء حيث لم يعدوا الأحداث الواقعة من موضوعات القصص القرآني. وهذا التعريف الذي ذكره جعله عند حديثه عن أنواع القص القرآني فذكر لها أنواعاً ثلاثة هي:-

١- أنباء الأنبياء السابقين وأنباء أقوامهم.

٢- الحوادث الغابرة التي مرت بالأمم السابقة.

٣- الحــوادث التي وقعت على زمن النبي ﷺ كقصة بدر وأحد ... الخ، وهذا النوع الثالث ما كان ليدخل في أنواع القصص لولا المفهوم الذي حدده الشيخ للقصة القرآنية.

ومــن ضمن ما عرض له الشيخ فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم، وذكر كذلك عشر فوائد هي ذاتها ما نجده مبثوثاً في الكتب، ولا جديد فيما ذكره.

وعرض بعد ذلك لفوائد التكرار في القصص القرآني، وذكر خمس فوائد، تكاد تكون مكررة عند كل من ذكر هذه المسألة، منها:

١- تمكين العبرة والعظة.

٢- ظهور الحجة على الكفار بإبراز المعنى الواحد في صور متعددة متنوعة.

٣- شدة عناية القرآن بالقصة المكررة.

٢- اللآلئ الحسان في علوم القرآن/ د. موسى شاهين لاشين[1]:

وقــد عرض لموضوع القصص في فصل مستقل فيما يقرب من أربعين صفحة، حيث بدأ بتعريف القصص لغة واصطلاحاً، ثم بدأ يذكر نماذج من قصص بعض الأنبياء عليهم السلام، مثل

---

(١) اللآلئ الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، مصر ، ص ٢٣٥-٢٩٥.

قصة آدم، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وهود، وموسى، وعرض لغيرهم كقصة أصحاب الكهف، حيـــث يعـــرض أهداف القصة ثم يعرض آيات القصة من جميع السور ويرجعها في حديثها إلى الأهـــداف الـــتي يذكرها في بداية حديثه عن القصة، وذلك كما فعل في قصة آدم عليه السلام، وأحياناً يقدم الحديث عن آيات القصة وبعد ذكرها جميعها يستخلص أهدافها، وذلك كما فعل في (قصة نوح وإبراهيم) عليهما السلام.

ومن الموضوعات التي تناولها: فوائد تكرار القصة، و لم يأتِ بشيء جديد، وتكلم عن أنواع القصص في القرآن فذكر لذلك نوعين هما:

١- قصص يتعلق بأحوال الأنبياء.

٢- قصص يتعلق بغير الأنبياء.وهذا التقسيم على هذين النوعين منسجم مع مفهومه للقصص القرآني، حيث لم يذكر فيها الأحداث التي وقعت على زمن النبي ﷺ .

وكذلـــك من الموضوعات التي عرض لها الفرق بين القصص القرآني وغيره من القصص، وبين أن اختلاف القصة القرآنية عن غيرها من حيث الموضوع ومن حيث سرد حوادث القصة، ومن حيث الهدف، ومن حيث الأسلوب.

وقـــد عـــرض أيضـــاً لموضوع الإسرائيليات والقصص القرآني، تكلم فيه عن بعض تلك الأباطيل التي نُقلت عن قصص الأنبياء، من ذلك ما في قصة آدم ونوح وإسحاق عليهم السلام... ثم تكلم أخيراً عن فوائد القصص في القرآن، وما زاد شيئاً جديداً، وبشكل عام فإن القضايا التي تناولها الكتاب قد عالجها بشكل علمي منهجي جيد.

٣- التعبير الفني في القرآن[1]: د. بكري الشيخ أمين:

في الفصـــل الســـابع من الباب الخامس في الكتاب عرض الدكتور لموضوع (القصة في القرآن) ذكر في بداية حديثه تعريف القصة الفنية كما وردت عند بعض المؤلفين، وذكر لها أقساماً أربعة من ناحية القالب والمظهر، وهي: الأقصوصة، والقصة، والرواية، والحكاية، ثم ذكر عناصرها الرئيسة وهي: الموضوع ، والشخصيات، والحوار... ثم يقرر بعد ذلك أن ما ورد في القـــرآن الكريم من قصص يخرج عن الحدود التي رسمها النقاد للقصة الفنية، وتتمرد عليها ولا تندرج تحت لوائها[2].

ويؤكد بعد ذلك :

أولاً: أن قصة القرآن ليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته.

ثانياً: قصص القرآن يهدف إلى أغراض دينية بحتة.

بعد ذلك يذكر أبرز خصائص القصص القرآني، وينتهي بالحديث عن عناصر القصة في القرآن، كل هذا في عشر صفحات، أشار منذ بداية حديثه فيها إلى أنها من كلام سيد قطب -رحمه الله- في كتابه التصوير الفني في القرآن[3].

---

(١) كان يمكن الحديث عن هذا الكتاب ضمن الحديث عن كتب الدراسات الإسلامية، إلا أن اشتماله في كثير من القضايا التي تناولها بشكل تفصيلي على قضايا علوم القرآن جعلني أضمه إلى كتب علوم القرآن .

(٢) بكري الشيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٤/١٩٨٠ انظر: ص ٢١٦.

(٣) بكري الشيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، ص ٢١٩.

٤- علوم القرآن/ محمد باقر الحكيم:

والكــتاب مجموعــة محاضرات ألقاها على طلبة كلية أصول الدين في بغداد عام ١٩٦٤م. والقسم الأول من الكتاب، وهو تحت عنوان (القرآن وأسماؤه) كان الذي كتبه محمد باقر الصدر رحمـــه الله، وقد اختار السيد محمد باقر الحكيم في حديثه عن التفسير الموضوعي في القسم الرابع من الكتاب[١] ثلاثة موضوعات لبحثها، هي: القصص القرآني – فواتح السور- خلافة الإنسان.

فهـــو بهذا يشير إلى أن دراسة القصص القرآني تحتل جانباً موضوعياً في منهج دراسة قضايا القرآن الكريم. وفي حديثه عن القصص القرآني تناول القضايا التالية:-

- الفــرق بـــين القصـــص القرآني وغيره[٢]، وقد جعل هذا الاختلاف من ناحية الهدف، والغرض الذي جاء من أجله، وهو تحقيق هدف القرآن العام في إحداث التغيير الاجتماعي.

- ثم تكـــلم عن أغراض القصة في القرآن الكريم[٣]، و لم يأت بشيء جديد، بل عزا كل ما ذكـــره إلى ما ذكره سيد قطب – رحمه الله- في كتابه التصوير الفني، وإلى رشيد رضا – رحمه الله- في تفسير المنار.

- بعدها تحدث عن ظواهر عامة في القصة القرآنية[٤]، وهذه الظواهر هي:

١- ظاهرة التكرار: وقد عزاها لسيد قطب لمزيد من التوضيح، وما ذكره كان قد أخذه عن سيد.

---

(١) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان ، ط٣، ١٩٩٥، ص ٣٦٥.
(٢) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن ، ص ٣٧٣
(٣) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن ، ص ٣٧٣.
(٤) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن ، ص ٣٧٣.

٢- ظاهـــرة اختصاص قصص الأنبياء في القرآن بأنبياء ومنطقة الشرق الأوسط[١]، حيث تحدث القرآن عن مجموعة من الأنبياء يلاحظ أنهم يشتركون في خصوصية أنهم يعيشون جميعاً في منطقة الشرط الأوسط، وأوضح بعد ذلك أن هذا لا يعني اختصاص الرسالات الإلهية بمنطقة الشرق الأوسط.

وقـــد فسر هذه الظاهرة بأن القرآن قد خص هؤلاء الأنبياء بالذكر باعتبار أن الغرض الأســـاس من القصة هو انتزاع العبرة واستنباط القوانين والسنن التاريخية منها... لذا تكون القصـــة المنتزعة من تاريخ الأمة نفسها ومن واقعها وظروفها وحياتها أكثر تأكيداً وانطباقاً عـــلى السنة التاريخية، وقد كان اهتمام القرآن بشكل خاص في مرحلة نزوله بتغيير القاعدة التي تتمثل بالشعب العربي والشعوب المتفاعلة معه فعلاً في ذلك الوقت.

٣- ظاهـــرة التأكيد على بعض الأنبياء كإبراهيم وموسى عليهما السلام، وقد بيّن أن ذلك قد يكون لأمرين:

الأول: أن بعض الأنبياء أفضل من بعض.

الـــثاني: أن لهؤلاء الأنبياء أتباعاً وأقواماً يرتبطون بهم فعلاً في المجتمع الذي كان يتفاعل القرآن معه عند نزوله.

---

(١) هذا تعبير سياسي يُقصد منه فصل هذه المنطقة عن جسم الأمة حتى يتسنى لليهود تنفيذ مخططاتهم، والواجب عدم الانسياق وراء مثل هذه الضلالات.

أقول: وإذا كان الأمر الثاني مقنعاً أو مقبولاً في تفسير هذه الظاهرة، فليس الأمر كذلك في القضية الأولى، فلم يكن من منهج القرآن الكريم التأكيد على قصص أنبياء دون آخرين لأفضليتهم، بل قد تفاوت هذا التأكيد دون ملاحظة هذه الأفضلية.

ويمكن أن نزيد تفسيراً لمثل هذه الظاهرة بأن نقول: إن قصص الأنبياء التي أكدها القرآن غير مرة نجد فيها تركيزاً واضحاً على موقف هؤلاء الأقوام من دعوة أنبيائهم، وهذه القصة تشخص بشكل واضح موقف الداعية وموقف المدعو، فكان تأكيدها تأكيداً لهذه المعاني، والله أعلم.

- ومما عرض له أيضاً أنه تناول قصة موسى عليه السلام بالدراسة والتحليل، وذلك باعتبار أنها من أكثر قصص الأنبياء وروداً في القرآن الكريم وأكثرها تفصيلاً، وقد تناول القصة فقط في تسعة عشر موضعاً من القرآن الكريم، تاركاً المواضع الأخرى التي جاءت فيها القصة على شكل إشارات وتلميحات ...

والموضوعات التي تناولها في دراسته لهذه القصة

١- دراسة القصة بحسب مواضعها في القرآن ، عرض فيه للقضايا التالية:

أ. التنبيه إلى أسرار تكرار القصة الواحدة في القرآن

ب. التنبيه إلى الغرض الذي سيقت له في كل مقام.

ج. التنبيه إلى أسرار تغاير الأسلوب في القصة بحسب المواضع.

٢- قصة موسى بحسب تسلسلها التاريخي.

٣- دراســة عامــة للقصة من خلال المراحل التي مرّ بها موسى، والموضوعات العامة التي تناولتها.

ومن الملاحظ أن السيد محمد باقر الحكيم قد تناول هذه القضايا مفصلة في كتاب آخر لــه صــدر تحــت عنوان (القصص القرآني)، وقد أشار في مقدمة كتابه هذا إلى أن هذه الموضوعات كانت مجموعة من المحاضرات التي ألقاها على طلبته في بغداد عام ١٩٦٤م، وقد فصل في كتابه هذا أكثر مما كان في كتابه (علوم القرآن).

٥- مباحث في علوم القرآن / مناع القطان[١]:

وقد عرض للموضوعات التالية:

- معــنى القصــص القرآني، وعرفه بأنه: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة.
- ولذلــك لما عرض لأنواع القصص فقد ذكر أنواعاً ثلاثة هي ذاتها التي ذكرناها عند الشيخ محمد سلامة في كتابه (منهج الفرقان).
- وذكر فوائد القصص في القرآن ، و لم يأت بشيء جديد.
- ومــن الموضــوعات الــتي تناولها تكرار القصص، وقد ذكر حكمة ذلك، وعرض لموضــوع أن القصة القرآنية حقيقة لا خيال، ثم تحدث عن أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب.

---

(١) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ص ٣٠٥-٣١٠.

كل ذلك فيما لا يزيد على خمس صفحات[1].

٦- الإحسان في علوم القرآن/ د. إبراهيم خليفة[2]:

عرض الدكتور في الموضوع الثاني عشر من كتابه لـــ (قصص القرآن) تحدث فيه عن مفهوم القصص، وعرفها لغة، وبين أنه لم يرد في القرآن إلا لفظ (القصص) بالجمع، و لم يرد اللفظ مفرداً (قصة).

---

(١)وقد أخذ صاحب كتاب (الفرقان والقرآن، خالد عبد الرحمن العك، الحكمة، دمشق، سورية) ، ط١، ١٩٩٤م كلام القطان كله ، وذكره عنده في المبحث التاسع من الكتاب، ص ٣١١-٣١٩، وممن تناول هذه القضايا أيضاً:

- د. أحمـــد العليمي في كتابه: علوم القرآن ، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١، بيروت، لبنان، ص ٩١-٩٤، وحديثه فيها لم يتجاوز الأسطر.
- عـــبدالله حشـــروف في كـــتابه: الإيضاح في علوم القرآن، دار هومة الجزائر، ٢٠٠٣، حيث عرض لبعض هذه الموضوعات في الفصل العاشر الذي خصصه للحديث عن أسلوب القرآن ، ص ١٦٥.
- د. عبد الله شحاته في كتابه: علوم القرآن، الناشر دار الاعتصام، ط٣ ، ١٩٨٥م، ص ١٥٧-١٦٧.
- د. نوح الفقير في كتابه: عبد الريحان في علوم القرآن، ط١، ٢٠٠١، عمان، الأردن، ص ٢٠٦-٢١٢.
- د. محمد محمود حجازي في كتابه: الوحدة الموضوعية في القرآن، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٧٠، ص٢٨١.
- محمد حسين فضل الله في كتابه: الحوار في القرآن قواعده وأساليبه ومعطياته، الدار الإسلاميـــة، ط١، ١٩٧٩م، ص ٢١٤.
- أديـــب العـــلاف في كتابه: البيان في علوم القرآن، ط١، مكتبة الفارابي، دمشق ، ط١، ١٩٩٩م، ص ٤٦-٥٤، والغريب أن حديثه كان عن قصة واحدة هي قصة يوسف عليه السلام، وقد حاول من خلالها بيان إعجاز القرآن الكـــريم، "باستعمال كلمات وتعابير سهلة في عددها ومبناها، ولكنهـــا واسعـــة وعظيمة في معانيها وأهدافها، ص ٤٦، ومـــع ذلـــك فلم يشر من خلال هذه الصفحات جميعها إلى شيء مما قاله أو أراد بيانه من هذه الألفاظ والكـــلمات والـــتعابير، وكل كلامه كان عن تصوير العواطف والانفعالات والمواقف دون أن يعرض لشيء من الألفاظ والمباني، و لم يزد على أن ذكر لبعض الألفاظ معناها اللغوي الواضح، ووضع ذلك في الهامش.
- هـــذا وقـــد ورد في كتاب (علوم القرآن عند المفسرين) والذي أصدره مركز الثقافة والمعارف القرآنية ، مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية رقم المقدسة، وقد ورد فيه ذكر موضوعين هما:
  - فوائد قصص القرآن: نقل فيه كلام القاسمي وابن عاشور.
  - تكرير القصص القرآني: نقل فيه كلام الطوسي وابن حزي والقاسمي وابن عاشور.

وقـــد سبق أن أشرت إلى كلام المفسرين، وإلى الموضوعات التي تناولوها في حديثهم عن القصص القرآني في مقدمات تفاسيرهم...

(٢) د. إبراهيم خليفة، الإحسان في علوم القرآن، بلا مكان طبع، ط١، ٢٠٠٢، ص ٣٠٦-٣١٨.

وقد تحدث عن ميزات للقصص القرآني، هي:

أولاً: تركيز القرآن في قصصه على الحدث والعبرة منه فحسب: فعندما عرض لعناصر القصة بين أن الحتمي الوجود في قصص القرآن هو الحدث والعبرة منه فحسب، أما بقية العناصر فلا يتم التحديد الضابط لأي منها إلا حيث تكون له أهميته الخاصة، وذلك كعنصر الشخصية بالنسبة للأنبياء.

ثانياً: واقعته الصادقة الحقة، فليس شيء منه هو نسج الخيال أو من قبيل الأساطير أو مما يكذبه الواقع...

ثالثاً: أن القصص القرآني يتفيأ أسمى الغايات ويتوخى أشرف الأهداف دائماً...

بعد هذا نقل الدكتور كلام ابن عاشور في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير) والتي تضمنت الحديث عن أهداف القصة، وفوائد التكرار.

ويمكن هنا إبداء الملحوظات التالية في منهج إيراد القصص القرآني في كتب علوم القرآن:

١- أن هذه المساحة التي احتلتها القصة القرآنية في كتب علوم القرآن تدل على أهميتها، ومدى اهتمام العلماء بالحديث عنها.

٢- أن الحديث عن القصص القرآني في هذه الكتب أخذ جانب دراسة القصة القرآنية، ولذلك لم يحفل كثيراً بنقل وسرد الأحداث، و لم نجد شيئاً من هذا السرد فيما عرضنا له من الكتب إلا ما ورد عند د. موسى شاهين لاشين، وما ورد عند السيد محمد باقر الحكيم، وما ورد عند الكاتب أديب العلاف، وقد سبق التفصيل في ذلك سابقاً.

٣- ومن أهم الموضوعات التي تم تناولها في هذه الكتب ما يلي:

أ. مفهوم القصص القرآني.

ب. أنواع القصص القرآني.

ج. فوائد ذكر القصص القرآني.

د. واقعية القصة القرآنية.

ه. أغراض القصص في القرآن الكريم.

و. عناصر القصة في القرآن.

ز. ظاهرة تكرار القصة في القرآن وفوائد ذلك.

ح. الفرق بين القصص القرآني وغيره من القصص.

٤- تعددت مناهج المؤلفين في عرضهم لموضوع (القصص القرآني) ضمن قضايا علوم القرآن:

- بعضهم يعرض لها في مبحث مستقل ، وهذا الغالب عندهم.
- وبعضهم يعرض لها من خلال موضوعات رئيسة من موضوعات علوم القرآن، وذلك مثل:

أ. أن يعرض لها في موضوع (إعجاز القرآن الكريم)، وذلك كما فعل الكاتب أديب العلاف.

ب. أن يعـــرض لهـــا في موضـــوع (أساليب القرآن الكريم) وذلك كما فعل الكاتب عبد الله حشروف.

ج. أن يعرض لها في موضوع (التفسير الموضوعي)، وذلك كما فعل السيد محمد باقر الحكيم.

٥- الموضوعات التي ذكرها الجميع تكاد تكون متشابهة عند الجميع، وليس هناك اختلاف بين المؤلفــين فيما ذكروه فيها، إلا في قضية واحدة، وقد تفرعت عنها قضية أخرى... وهذه القضية هي تعريف (القصص القرآني)، وما تفرع عنها هو (أنواع القصص القرآني).

- **أما كتب الدراسات الإسلامية التي تحدثت عن القصص القرآني:-**

فإننا نلاحظ في هذه الكتب أنها تناولت موضوع القصص القرآني من زاوية اهتمام صاحب الكتاب، لذلك فقد تنوعت هذه الدراسات بتنوع اهتمامات أصحابها...

فمن هؤلاء من كان اهتمامه بالجانب الفكري، ومنهم من اهتم بالجانب التخصصي، فتناولوا الحديــث عــنها من جانب بياني، وآخرون من جوانب تأصيلية ضمن حديثهم عن قضايا تتعلق بالقــرآن الكريم والتعريف به، وهناك دراسات منحرفة يمكن أن نعدها خارجة عن حدود الفكر الصحيح والمنهجية العلمية، وإليك بعض التفصيل:

- فمن الدراسات الفكرية:

١- دراسات قرآنية ، محمد قطب[1]:

ففد عرض تحت عنوان (قصص الأنبياء) لأهداف القصة في القرآن الكريم، وقد تطرق مــن خــلال ذلك إلى جوانب عدة من مواقف الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وأشار إلى الدروس المستفادة للدعاة من خلال تلك الأحداث، وتلك التجارب...

(١) وهو غير العالم الإسلامي المفكر المعروف محمد قطب.

وهـــو يعقـــب بعد ذلك بقوله: "ومن ثَمّ يكون القصص القرآني دروساً في العقيدة... دروســـاً في حقـــيقة لا إله إلا الله... وإن كان ثوبه ثوب القصة، وإن كان فيه من الجمال التعبيري والتصوير الفني ما يأخذ بالألباب ..."[1].

٢- المحاور الخمسة للقرآن الكريم/ محمد الغزالي:

وقـــد تكلم الغزالي في كتابه عن محاور خمسة يرى أنه قد بنيت عليها السور في القرآن الكريم، وهذه المحاور هي: الله الواحد، والكون الدال على خالقه، والقصص القرآني، والبعث والجزاء، والتربية والتشريع.

وفي المحـــور الثالـــث من هذه المحاور تكلم عن "القصص القرآني" وعده أوسع المحاور القرآنـــية، ووقف عند جانب محدود منه: "هل القصص التي رواها لنا القرآن الكريم متشابهة في سياقها وأحداثها وإفاداتها؟ أعني: هل هي لون من التكرار الذي يغني قليله عن كثيره؟

والجواب: لا ، لكل قصة في موضعها إيراد مقصود، وأثر مغاير، يحتاج إليه السامع، لتكتمل به الحقيقة التاريخية والعناصر التربوية"[2].

ثم ساق من قصة آدم عليه السلام مثلاً على تحقيق هذا الكلام...

انتقل بعد ذلك إلى عنوان جديد هو : القصص القرآني أداة للتربية ...

والحقيقة التي أراد تأكيدها من خلال كلامه في هذا المحور هي:

---

(١) محمد قطب دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٠، ص ١١١.

(٢) محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط٣ ، ١٩٩٢ص ٩٧.

لذلك فقد اختار نماذج من قصص القرآن الكريم، تحدث فيها عن جمالية التعبير القرآني، فعند حديثه مثلاً عن قصة أصحاب الجنة عند قوله تعالى: "فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٌ ﴿٢٤﴾" [القلم: ٢٣-٢٤].

يقول: " لله كم تقذف هذه الكلمة "يَتَخَٰفَتُون" من الصور والأخيلة في نفس القارئ، إنه ليتصور الهمس وعض الشفاه في تربص، وميل الرقاب في حذر، وتخفيف الوطء في قلق، ودوران العيـــون في تنبـــه كيلا يعرف أحـــد عنهم شيئاً، تتصور ذلك كله في هذا اللفظ "يَتَخَٰفَتُون" الوامض بأحفل الأضواء"[1].

ومـــن القصص التي عرض لها أيضاً قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سور الكهف، وقصة يوسف عليه السلام.

وبعـــد اســـتعراض ما فيها من جماليات البيان القرآني يقول: "نماذج ثلاثة من القصص القرآني تشملها جميعاً بلاغة التصوير، وتتابع السرد، وصدق الأداء، وقوة الإيحاء، ولئن انفرد كل أنموذج بسمات تحددها الأحداث طولاً وقصراً، والأشخاص عوجاً واستقامة، والسياق اســـتقلالاً واندماجاً فقد جاءت جميعها نمطاً من الوحي الهادف، وطرازاً من القصص الحق، ومذهباً من القول البليغ"[2].

---

(١) البيومي: البيان القرآني ، ص ١٥٤.

(٢) البيومي: البيان القرآني، ص ١٦٥.

٢- نظرات في القرآن / محمد الغزالي:

وهـــذا الكتاب سابق في التأليف على كتابه "المحاور الخمسة للقرآن الكريم" لكنه تظهـــر فـــيه المعالجـــة التأصيلية للقضايا التي تناولها، ومن هنا فقد تناول قضايا محددة وواضحة في حديثه عن القصص القرآني.

فقد تكلم عن أهداف القصة القرآنية، وذكر جملة أمور تشكل هذه الأهداف، ثم عرض لحقيقة أن قصص القرآن حق لا خيال فيها، وتكلم عن رسالة الدكتور محمد خلف الله، وما فيها من أباطيل ومزاعم، وقد كانت تشغل هذه الرسالة في ذلك الوقت جدلاً ونقاشاً واسعاً في الأوساط العلمية...

وعند حديثه عن القصص فقد عده من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رســالته، ومزج تعاليمه بالقلوب، لذلك لم يكن هذا القصص سرداً مجرداً لبعض الروايات القديمــة ... إنمــا هو تأريخ لسير الدعوة الدينية في الحياة ... وأن عظمة هذه القصص هو احتواؤه على جملة من سنن الله الكونية في قيام الأمم وفنائها[١].

٣- قصة التفسير/ د. أحمد الشرباصي:

والعــنوان الذي اختاره في كتابه دال على اهتمامه بعلاقة التفسير بالقصص القرآني، والعنوان هو (التفسير وقصص القرآن). وقد عرض لأمرين مهمين[٢]:

---

(١) انظر: محمد الغزالي، نظرات في القرآن، مؤسسة الخانجي، ص ١٠٨ ، مصر ، ط١، ١٩٥٨.

(٢) د. أحمد الشرباطي، قصة التفسير ، ص٤٠.

الأول: حيث يقول: "نلاحظ أن هناك فرقاً كبيراً بين قصص القرآن والقصص التي يوردها المفسرون، فقصص القرآن حق لاشك فيه، وأما ما أورده المفسرون ففيه الحق والباطل ...".

الثاني: فقد ذكر بعض المفسرين الذين توسعوا في إيراد القصص في التفسير، ونقل عبارة لابن خلدون يتحدث فيها عن المفسرين الناقلين للقصص والآثار...

٤- هذا القرآن ، فأين منه المسلمون ؟! محمد زكي الدين محمد قاسم:-

والكتاب تناول فيه صاحبه دراسة مختصرة حول بعض الضروريات مما يلزم معرفته عن كتاب الله تعالى كما يقول في مقدمته[1]. وقد تحدث عن القصص القرآني تحت عنوان "الإعجاز القصصي" جاعلاً ذلك ضمن حديثه عن الإعجاز التاريخي، وقد ذكر أن القصة القرآنية معجزة من جانبين:

الأول: أنها معجزة بمضامينها.

الثاني: أنها معجزة بالنظر إلى من جاءت على لسانه.

وكونها معجزة بمضامينها، فلما حوته هذه القصص من وقائع تاريخية، وأحداث اجتماعية، وتحليلات نفسية، ونظم تشريعية، وإشارات علمية ..."[2].

أما أنها معجزة بالنظر إلى من جاءت على لسانه، فلأن العلم الدقيق بالأمم والشعوب السائدة، وما جرى من الأنبياء والرسل في النبوات الخالية أمر يحتاج إلى توفر على الدراسة،

---

(١) محمد زكي الدين محمد قاسم، هذا القرآن فأين منه المسلمون ؟!، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٧م.

(٢) محمد زكي: هذا القرآن ... ص ٩٨.

وتفرغ للبحث من شخص يملك أداة القراءة ووسيلة البحث ... فيكف يكون الحال إذا جاء ذلك من رجل أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة[1] ...

• ومن الدراسات المنحرفة الخارجة عن حدود الفكر الصحيح والمنهجية العلمية:

١- الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة/ الدكتور المهندس محمد شحرور:-

وهـــو كتاب لباحث متأثر بالفكر الماركسي هدفه بث أفكاره الملوثة من خلال هذا الشعار "قـــراءة معاصرة" بما يحمله هذا الشعار من صدى رنان عند كثير من الدارسين والمثقفين يطغى به على زيف وبطلان تلك الأفكار ...

وقـــد عـــرض الكاتب (للقصص في القرآن) في الفصل الثاني من الباب الرابع في الكتاب، والعنوانات التي وضعها لهذا الفصل هي:

- تمهيد.
- الفرع الأول: نوح عليه السلام.
- الاستنتاجات المستقاة من قصة نوح عليه السلام.
- الفرع الثاني: هود عليه السلام.
- الفرع الثالث: الأنبياء والرسل.

---

(١) هذا القرآن ، ص ٩٦، ومن الجدير بالذكر أنه أخذ هذا الكلام عن كتاب الدكتور دراز "النبأ العظيم" وقد أشار الكاتب نفسه إلى ذلك.

ولو أن من غرض هذه الدراسة تحقيق المسائل والقضايا التي يعرض لها الكاتبون لاحتاج ذلـــك مني إلى بسط طويل لمسائل هذا الكتاب فيما يخص القص القرآني، وهناك دراسات وكتب عديدة صدرت تناقش قضايا الكتاب وموضوعاته.

إلا أنـــني هنا أشير باختصار إلى ما يعطي صورة واضحة عن الأفكار التي أراد الكاتب بثها، والمنهجية التي سلكها في سبيل تحقيق ذلك.

عـــندما تحدث عن قصة نوح عليه السلام ذكر كشفاً بأسماء السور وأرقام الآيات التي وردت فيها القصة، ثم سجل بعض استنتاجاته المستقاة من القصة:

١- نوح أول بشر يوحى إليه، استدل على ذلك بقوله تعالى: "إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ" [النساء: ١٦٣]، وهو يرى أن "آدم" عليه السلام المصطفى ليس نبياً ولا رسولاً حيث إن النبوة والرسالة بدأت إلى بني البشر من نوح عليه السلام، ولذلك فهو لا يرى أن أبناء آدم بالضرورة هم من صلبه، وإنما أبناؤه بالأنسنة، أي أن آدم المصـــطفى الذي هو أبو الإنسانية – كما يقول- لم يكن وحده بل كان معه بشر آخرون فاصطفاه الله منهم(١) ...

فانظر إلى هذا الزعم، وعلى أي شيء بناه.

(١) الكتاب والقرآن، ص ٦٧٧، وانظر: ص ٧٠٣، الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، د.م. محمد شحرور ، ط٢، ١٩٩٠م، الأهالي للنشر والتوزيع.

٢- إن ممـــا تـــتكون منه نبوة نوح عليه السلام تعلم البشرية ركب الماء أو اجتياز العوائق المائية: وتحت هذا العنوان يذكر الكاتب أقوالاً عجباً لا سند لها ولا أساس من اللغة أو التاريخ، إنما هي محض تخريف.

فهـــو يـــتحدث عن تطور وسائل الإنتاج، مما لا علاقة له البتة بسياق القصة أو موضوعها، ويدعي أنه لم يكن في زمن نوح حبال مصنعة ولا مسامير لربط الخشب، ويفسر الدسر بالألياف الطبيعية "أغصان طرية فيها ألياف طبيعية" وأن الفلك الذي صنعه لم يكن سفينة، وإنما طوافة على شـــكل دائري، وأن فوران التنور هو ثوران أحد البراكين، وأنه بعد الطوفان الذي يرى أنه مجرد عاصـــفة محلية كبيرة ممطرة قد جرف الماء جثث الغرقى إلى فوهة البركان، وأن ابن نوح ليس من صلبه، وأن الله وعد بنجاة أهل نوح الكافر منهم والمؤمن[1] ...

في حين لا دليل على زعمه أن قوم نوح لم يكونوا يعرفون الحبال أو المسامير، ولا أدري ما الذي جعله يقصر مفهوم (الدسر) على أنها ألياف، مع أن معاجم اللغة تشير إلى المعنيين، المسامير والألياف[2]، وفعله هذا دال على أنه لا علم له بالعربية ولا دراية.

كما أنه ليس هناك دليل لا من اللغة ولا من السياق يؤكد أن معنى الفلك الطوافة، فمن أين هذا الإدعاء؟ بل قد جاء النص صريحاً في القرآن الكريم مشيراً إلى أن المقصود بالفلك السفينة، التي تجري في البحر بما ينفع الناس "وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ" [البقرة: ١٦٢].

(١) محمد شحرور: الكتاب والقرآن، ص ٦٨١-٦٨٥.

(٢) المعجم الوسيط، ج١، ص ٢٩٣.

ثم إن المقصـــود "بالتـــنور" فرن الخبز عند الجمهور، فأي دليل عند الكاتب جعله يدعي أن المقصود به البركان؟

ونجده عند قوله تعالى: "مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا" [نوح: ٢٥]، يدعي أن النار هنا ليست نار الآخرة بل هي نار البركان، حيث دخلت جثث الذين أغرقوا في البركان من فوهته التي كانت منخفضة وعلاها الماء، ودليله على ذلك استعمال القرآن للفـــاء الـــتي تدل على السببية والتعقيب – كما يقول- وكذلك الدليل أيضاً ورود كلمة **(ناراً)** نكرة.

أقول: أما تفسيره للتنور بأنه البركان فلا دليل عليه، وأما قوله عن الفاء إنها تدل على السببية والتعقيـــب فلا يصح ، فهي إما أن تكون للسببية أو أن تكون للتعقيب؛ لأن فاء السببية غير فاء التعقيب[1]، وهي هنا للتعقيب[2].

وأمـــا ورود كلمة **(ناراً)** نكرة فلا دليل على أن المقصود بها نار البركان، يقول الآلوسي: " فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا" هـــي نار البرزخ، والمراد عذاب القبر ... ويجوز أن يُراد بها نار الآخرة... وتنكير **(الـــنار)** إمـــا لتعظـــيمها وتهويـــلها، أو لأنه عز وجل أعد لهم على حسب خطيآتهم نوعاً من النار..."[3].

---

(١) ابن هشام؛ جمال الدين: مغني اللبيب عن كتـــب الأعاريب، دار الفكـــر، بيروت ، ط٦، ١٩٨٥، ص ٢١٤.

(٢) الآلوسي، شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، مجلد ١٥، ص ١٢٥.

(٣) الآلوسي: روح المعاني ، مجلد ١٥ ، ص ١٢٥.

هذه جملة من الأفكار التي نفثها الكاتب في كتابه معتمداً على تفسيراته الخاصة، وفهمه الخاص به لهذه النصوص متجنباً الموضوعية العلمية وسلوك الطريق القويم في اعتماد الدليل.

****

ومما يمكن التأكيد عليه هنا أن هذه الدراسات القرآنية في مجملها كانت تنعكس عن زاوية اهتمام الكاتب، لذلك تنوعت هذه الدراسات بين الأشكال الثلاثة التي ذكرتها سابقاً: الفكرية والتخصصية والمنحرفة، ولقد اتضحت في هذه الجهود أفكار الكاتبين وميولهم والأهداف التي يريدون تحقيقها، وهذا أدى إلى نوع من الإثراء في هذه الدراسات على العكس مما كان في الجهود التي درسناها في كتب علوم القرآن ، حيث كانت زاوية الاهتمام عند معظمهم واحدة، تنظر لموضوع القصص من زاوية تأصيلية، بينما في هذه الجهود كانت في معظمها معالجة فكرية.

وعندما نقول – معالجة فكرية- لا نقصد تميّز هذا النوع عند أصحابه على غيره من الدراسات الأخرى، وكأنها لا أثر للفكر فيها، وإنما أقصد أن الدراسات الفكرية لها طابعها الخاص في معالجة الجوانب الإنسانية المتعلقة بحياة الإنسان وهدفه في هذه الحياة، كل ذلك بأسلوب لا يركز فيه الكاتب على معالجة القضايا المنهجية والعلمية التخصصية في المجال الذي يتحدث فيه.

خامساً: القصص القرآني في كتب مستقلة:-

لقـــد اتضح مما مرّ أن اهتمام كثير من العلماء والمؤلفين بالحديث عن القصة القرآنية قد ظهر من زوايا مختلفة، وباهتمامات متعددة، وعلى أشكال متنوعة.

وعـــلى كثرة وتنوع هذه الاهتمامات والأشكال الدراسية التي تناولت القصة القرآنية بالبحـــث، إلا أنهـــا لم ترقَ إلى مستوى الاهتمام والتنوع الذي نجده في الكتب الخاصة التي أفردت هذه القصص بالكتابة والتأليف.

ولمـــا كانت هذه الجهود، وهذه المؤلفات من الكثرة بمكان، فإنه يجب علينا أن نتناولها بالدراسة الجادة الدقيقة؛ لأنها هي التي تشكل – في الحقيقة- الجهود التي يمكن أن ننظر إليها من ناحية منهجية في اهتمامها بالقصة القرآنية والتأليف فيها...

من هنا فإنني في هذا المطلب سأقتصر في حديثي عن هذه المؤلفات على جوانب معينة، تاركـــاً الحديث عن تفصيل مناهج أصحابها واتجاهاتهم إلى الفصل الذي يعنى ببحث مناهج التأليف في القصص القرآني بشكل تفصيلي.

والجوانب التي سأتناولها هنا هي:

- تسجيل بعض الملامح التاريخية في تأليف هذه الكتب ، وأشهرها:
- الكشف عن اهتمامات هذه المؤلفات وأشكالها في تناولها للقصص القرآني:

الجانب الأول: الملامح التاريخية في تأليف هذه الكتب ، وأشهرها:

نلاحـــظ أن حركة التأليف في القصص القرآني قد امتدت عبر التاريخ الإسلامي قديماً وحديـــثاً، لكن الجهود المبذولة حديثاً تعد أضعاف أضعاف الجهود التي بذلت قديماً، وأعني بـــالجهود الحديـــثة؛ تلك التي ابتدأت مع بدايات القرن العشرين، أي من بعد عام ١٩٠٠م تقريباً...

وأكاد أقول: إن حركة التأليف الحقيقية في القصص القرآني التي احتلت مساحة واسعة في المكتبة الإسلامية، لم تظهر إلا حديثاً، بينما كانت المؤلفات قديماً محدودة ومعدودة.

ولعـــلي وأن أكتـــب هذه الكلمات أن يكون هناك أكثر من كتاب في القصص تحت الطبع الآن، وليس هذا بمستغرب، فمنذ أن بدأت كتابة هذه الرسالة وقفت على ما يزيد عن أربعة كتب صدرت في موضوع القصص القرآني.

وإذا أردنـــا أن نعـــرف أشهر هذه الكتب، وأن نتعرف إلى وقت ظهورها وانتشارها فلنستمع إلى أحد المتخصصين في هذا المجال، والذي أرخ لهذا الأمر من خلال معايشته له لا نقلاً عن غيره.

يقـــول شيخنا أ.د. فضل عباس حفظه الله: "الكتاب الذي اشتهر كثيراً بين الناس قديماً (عرائس المجالس) لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالثعلبي ت(٤٢٧هـــ)، وهذا الكتاب محشو بالإسرائيليات، وظل هذا الكتاب يقرأ حيناً من الدهر، دون أن يكون له

منافس، وذلك إلى أول الثلاثينات من هذا القرن[1]، حيث كتب العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار -وهو من كبار علماء الأزهر ت(١٩٤١م) كتاب (قصص الأنبياء) ... على أن كتاب الشيخ النجار سدّ فراغاً كبيراً، بل سد كثيراً من الثغرات في القصص القرآني، وذلك إذا وازنا بينه وبين ما كان مشتهراً بين الناس، وهو (عرائس المجالس).

ثم ظهر كتاب (قصص القرآن) لجماعة من العلماء "محمد جاد المولى وآخرين" كتب بأسلوب أدبي جيد، وكان حلاً لألفاظ الآيات القرآنية التي تحدثت عن القصة، وهو يختلف كثيراً عن سابقه "قصص الأنبياء" للشيخ النجار، فكتاب الشيخ النجار أوسع دائرة ... ويغلب على ظني أن الكتاب ألف في الخمسينات إن لم يكن قبل ذلك.

وفي هذا الأثناء في آخر الأربعينات ظهر كتاب (الفن القصصي في القرآن) لمحمد أحمد خلف الله، وهو الذي أثار زوبعة لم تهدأ إلا بعد سنين، لما فيه من تعد على كتاب الله وتحد لمشاعر المسلمين ...

وفي الستينات بدأت تظهر كتب كثيرة تتحدث عن قصص القرآن، فقد ظهر كتاب (القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه) للأستاذ عبد الكريم الخطيب – رحمه الله- ثم بدأت تظهر رسالات علمية منها (متشابه اللفظ في القصة القرآنية) للشيخ عبد الغني الراجحي – رحمه الله- ومنها (القصة القرآنية) للشيخ عبد الباسط بلبول ... ومنها (سيكلوجية القصة في

---

(١) يقصد القرن العشرين ، فقد ألف كتابه في آخر التسعينات منه، وصدرت طبعته الأولى عام ٢٠٠٠م.

القرآن) للتهامي نقره ... وفي هذا الأثناء أخذت (قصص الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، وطبعت في كتاب مستقل[1]..."[2].

ثم بعد ذلك أخذت دور الطباعة والنشر تطالعنا يوماً بعد يوم بكتاب جديد في القصص القرآني...

إلا أنـــنا – وبعد هذا- لو نظرنا للتأليف في القصص من زاوية أخرى، وذلك حسب تاريخ تأليفها قديماً، فإننا نجد أن هناك كتباً أخرى قبل وبعد عرائس المجالس، لكن لم يكتب لهـــا الاشتهار أو التداول بين الناس، وذلك لأسباب عدة ، منها: أنها لم تُطبع إلا في وقت متأخر، وبعضها لازال مخطوطاً لم يطبع حتى الآن، إضافة إلى أن بعض هذه المؤلفات كانت تعالج جوانب معينة في القصص تحت موضوعات هي أقرب للعقيدة منها إلى تفصيل أحداث القصـــص، فضلاً على أن منها ما يعد من الدراسات الباطنية المنحرفة التي واجهها المسلمون بالنقد والرد ... وسيتضح معنى هذا القول عند ذكر أسماء هذه الكتب بعد قليل.

وإذا جئنا نتحدث عن هذه الكتب وفق ترتيبها الزمني سواء المطبوع منها أم المخطوط، فإننا نرتبها حسب الآتي:

– المخطوط منها:

– بدء الخلق وقصص الأنبياء / أبو رفاعة عمارة الفارسي.

---

(١) قام بهذا العمل د. مصطفى عبد الواحد، وأصدر طبعته الأولى في جزءين عام ١٩٦٨م، ولم يشر إلى أنه أخذ الكتاب من "البداية والنهاية".

(٢) فضل عباس: قصص القرآن الكريم ، ص ١٦–١٨ بتصرف .

- نفائس المرجان في جمع قصص القرآن / أحمد بن أبي بكر الموصلي.

– المطبوع منها:

- قصص الأنبياء/ علي بن حمزة الكسائي، ت(١٨٩هـ).
- أساس التأويل[1] / النعمان بن حيون التميمي ت(٣٦٣)هـ.
- تاريخ الأنبياء / الخطيب البغدادي ت (٤٦٣)هـ.
- تنْزيه الأنبياء / ابن حمير ت (٦١٤)هـ.
- زهرة الكمام في قصة يوسف عليه السلام / سراج الدين الآلوسي ت (٧٥١)هـ.

الجانب الثاني: الكشف عن اهتمامات هذه المؤلفات وأشكالها في تناولها للقصص القرآني:–

إن هذه المؤلفات لم تقتصر على شكل واحد في تناولها القصص القرآني، بل تعددت وتنوعت اهتماماتها وأشكالها، ويمكن لنا تسجيل الملامح التالية لهذا التعدد والتنوع:

١– هناك الدراسات والمؤلفات التي اهتمت بالحديث في قضايا القصص القرآني:

وهي التي اهتمت بدراسة القضايا الفنية والأدبية، وتناولت الحديث عن أغراض القصص، وعن خصائصه وسماته ومنهجه وأنواعه، وما أثير حوله من شبهات... إلى غير ذلك من القضايا التي تدور حول القصة لا في سرد أحداثها.

---

(١) قد يقتصر البعض في نظرته لهذا الكتاب على أن يعده كتاباً في العقيدة، في حين أن النظرة المنهجية العلمية توقفنا على حقيقة أن الكتاب فوق هذا هو كتاب في القصص، وقد اهتم صاحبه فيه بالحديث عن قصص الأنبياء ليصل بعد ذلك للربط بين النبي محمد ﷺ والإمام الذي هو أساس عندهم في مبدأ الإمامة.
والكتاب موغل في التأويل الباطل. انظر: ص ١١١/ص١١٥/ص١٢٨/ص١٣١/ص١٤١/ص١٤٢/١٨١. النعمان بن حيون التميمي: أساس التأويل، تحقيق عارف تامر، طباعة لبنان.

والجهود المبذولة في هذا الجانب إذا ما قيست إلى غيرها من الأشكال والاهتمامات فإنها تعد قليلة.

ومن أهم الكتب التي تمثل هذا الجانب:

- القصص القرآني مفهومه ومنطوقه/ د. عبد الكريم الخطيب.
- القصص القرآني / عبد الباسط بلبول (رسالة دكتوراه) غير مطبوعة.
- سيكولوجية القصة في القرآن / د. التهامي نقرة.
- الفن القصصي في القرآن / محمد أحمد خلف الله.
- القرآن والقصة الحديثة / محمد كامل حسن المحامي.
- الاضمار القصصي في القرآن / كاظم الظواهري.
- القصة في القرآن / د. محمود بن الشريف
- معالم القصة في القرآن / محمد خير محمود العدوي.
- البيان القصصي في القرآن / د. إبراهيم عوضين.
- دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية / د. سليمان الطراونة.
- روائع الإعجاز في القصص القرآني/ محمود السيد حسين.
- السرد القصصي / ثروت أباظة.
- القصة في القرآن/ محمد علي قطب.

٢- هناك الدراسة والمؤلفات التي تناولت عرض أحداث القصة القرآنية:

حيث اهتمت بجمع الآيات التي تتحدث عن القصة، والوقوف مع الأحداث والشخصيات والمواقف التي تتخلل هذه القصص، وذلك بشرح الألفاظ، وبيان دلالات الآيات وتسجيل المواقف والدروس والعبر، وتحليل المواقف والأحداث.

وقد اتخذ هذا الاهتمام أشكالاً متعددة:

☒ المؤلفات التي تناولت جميع قصص القرآن (قصص الأنبياء عليهم السلام وقصص غيرهم)، ومن هذه المؤلفات:

- قصص القرآن الكريم / شيخنا العلامة أ.د فضل حسن عباس حفظه الله.
- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة / د. عبد الكريم زيدان.
- قصص القرآن / أ.د. محمد بكر إسماعيل.
- قصص القرآن دروس وعبر للدعوة والدعاة / محمد بيومي.

☒ المؤلفات التي تناولت قصص الأنبياء فقط: ومن هذه المؤلفات:

- نظرات في أحسن القصص / د. محمد السيد الوكيل.
- مع الأنبياء في القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح طباره.
- قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار.
- القصص القرآني / د. صلاح الخالدي.

☒ المؤلفات التي تناولت قصص غير الأنبياء فقط، وذلك من القصص الأخرى التي وردت في القرآن الكريم ، كقصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الجنتين...

ومن هذه المؤلفات:

- مع قصص السابقين في القرآن / د. صلاح الخالدي.
- أهل الكهف / د. أحمد علي المجدوب.
- لقمان الحكيم وحكمه: محمد خير رمضان يوسف.

☒ المؤلفات التي تناولت قصة نبي معين: ومن هذه المؤلفات:

- قصة يوسف / أحمد محمود خليل الخروف.
- تفسير سورة يوسف / د. أحمد نوفل.
- حياة يونس، حياة داود، حياة إسماعيل.../ السلسلة كاملة من تأليف محمود شلبي.

٣- هناك المؤلفات التي تناولت الجوانب الموضوعية في دراسة القصص القرآني:

وقد تعددت أشكال هذا الاهتمام ، فبعضها درس القصص في جملتها دراسة موضوعية، كما فعل الدكتور أحمد جمال العمري في كتابه (دراسات موضوعية في القصص القرآني).

وبعضـــها تناول موضوعاً محدداً درسه عند جميع الأنبياء أو عند معظمهم، وذلك كما فعـــل الدكتور محمد سالم مَكْرَم والدكتور صلاح الخالدي والدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي.

وبعضها تناول قصة نبي من الأنبياء عليهم السلام فدرسها دراسةً موضوعية وفق موضوعات وعنوانات موضوعية، وذلك كما فعل البهي الخولي في دراسته حول آدم عليه السلام، وكما فعل الدكتور عبد الرحمن حبنكة في دراسته حول نوح عليه السلام.

ومن أشهر الكتب التي تمثل هذه الأشكال على تنوعها:

- دراسات في التفسير الموضوعي / د. أحمد جمال العمري.
- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل / ربيع بن هادي عمير المدخلي.
- مواقف الأنبياء في القرآن / د. صلاح الخالدي.
- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله / د. محمد سالم مكرم.
- تــنْزيه الأنبــياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء/ أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن حمير.
- آدم عليه السلام / البهي الخولي.
- حول القصص القرآني / د. حمدي عبد الحفيظ شعيب.
- ١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف / أكر عثمان.

٤- هناك المؤلفات التي اهتمت بجانب المقارنة في القصص القرآني:

وبعــض هذه المؤلفات تناول قصة معينة فعمد إلى إجراء مقارنة لما جاء فيها بين القرآن والتوراة ، وبعضها الآخر تناول القصص جميعها – وبخاصة قصص الأنبياء- بهذه المقارنة.

وهذه المؤلفات على قلتها إلا أنها تشكل اهتماماً واضحاً من بين تلك الاهتمامات التي حددت مسار التأليف في القصص القرآني.

ومن أشهر المؤلفات:

- داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم / د. أحمد الأحمد.
- الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة – قصة يوسف- / الشيخ خليل سليمان.
- سفر التكوين في ميزان القرآن – من آدم إلى إبراهيم- جزء أول، وأولاد إبراهيم. الجزء الثاني/ د. صلاح الخالدي.
- التوراة والقرآن ، مقارنة نصية ، الجزء الأول / عادل المعلم.
- الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم / د. محمد علي البار.

هذه هي أهم الاهتمامات والأشكال التي توزعت عليها جهود المؤلفين والكاتبين في القصص القرآني في كتب خاصة، والتي تمثل أوسع جانب في الاهتمام بالقصص والتأليف فيها.

سادساً: الحديث عن القصص القرآني في المقالات والبحوث العلمية:

لا تقل جهود الكاتبين في هذا الجانب عنها فيما سبق، فقد كان لهؤلاء على اختلاف اهتماماتهم وتنوع ثقافاتهم جهود واضحة في الكتابة عن قصص القرآن الكريم، ويكفي لمعرفة حجم هذا الاهتمام – أن تعلم أنني وجدت ما يزيد على مائة مقال أو بحث في موضوع القصص القرآني في أثناء تحضيري للكتابة في هذا الجانب، بعضها قرأته قراءة تفصيلية، والآخر اطلعت عليه لأجل معرفة زاوية اهتمام صاحبه- وخلفيته وأسلوبه ومنهجه...

هذا الكم مما اطلعت عليه – وغيره كثير- يؤكد أنه قد كان للقصة القرآنية مساحة واسعة عند كتاب البحوث والمقالات.

ولم يقتصـــر هــــذا الاهتمام على الكم، بل إن تنوع هذه المقالات والبحوث قد أغنى الدراسات القرآنية التي تناولت القصص القرآني...

لقـــد تنوعت اهتمامات أصحاب هذه الكتابات في الجوانب التي يعالجون بها القصص القرآني، والملاحظة الواضحة التي يمكن تسجيلها في هذا السياق أن هذه الأبحاث والمقالات كانـــت تتناول قضايا جزئية محددة ومفصلة في دراسة القصة القرآنية، ولكي تكون الصورة واضـــحة فقـــد وجدت أن من الممكن جعل هذه الكتابات والدراسات في أشكال منهجية أربعة تكاد هذه الأشكال تنتظم جميع الجهود المبذولة في هذا النوع من الدراسات.

وهذه الأشكال المنهجية هي:

١- التأصيل والتقعيد.

٢- النقد والتوضيح.

٣- السرد والتحليل.

٤- قضايا موضوعية.

وقـــد تكون هذه الأشكال المنهجية قريبة في صورها من الأشكال التي ذكرها للكتب التي أفردت وصنفت للحديث عن القصص القرآني، إلا أننا نجد في تلك الكتب شكلاً منهجياً لم نجده هـــنا في هذه الكتابات، وهو ما تناول جانب (المقارنة) في دراسة القصص القرآني، ففي الوقت الذي احتل فيه هذا الجانب مساحة واضحة في تلك الكتب المستقلة لا نجد شيئاً من ذلك يذكر في مجال المقالات والبحوث.

وفي الوقت نفسه وجدنا في المقالات والبحوث شكلاً منهجياً لم نجده مستقلاً في الكتب التي أفردت للحديث عن القصص، وهذا الشكل هو ما تناول جانب (النقد والتوضيح)، صحيح إن هذا الجانب قد عرض له بعض الكاتبين وبخاصة في الكتب التي تناولت الحديث حول القصة القرآنية، ولذلك كان يندرج عند هؤلاء تحت منهج التأصيل والتقعيد، إلا أنه لم يفرد بكتاب مستقل، وما وجدناه لم يتجاوز بعض من ذلك كتاب: أبي آدم... للدكتور عبد العظيم المعطني، رد فيه على الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه: أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة.

وهذا جانب منهجي ملحوظ يمكن تفسيره بأن طبيعة المقالات والبحوث تشكل بيئة محددة لإبراز جوانب النقد والتوضيح، في حين قد تأتي مثل هذه القضايا في الكتب التي تتناول القصص القرآني ضمن بقية القضايا التي يتناولها الكاتب في كتابه.

وعلى كل حال سوف أذكر هنا هذه الأشكال المنهجية مع بيان مقال أو اثنين يوضحان كل شكل:

١- التأصيل والتقعيد:

حيث يعرض الكاتب في مقاله الذي يمثل هذا الشكل إلى قضايا تتصل بالقصص القرآني من حيث مفهومه وأنواعه وخصائصه ومنهجه، إلى غير ذلك من القضايا التي تشكل دراسة حول القصص القرآني لا في سرد أحداثه.

من النماذج على ذلك:

- (في القصص القرآني) محمد اليعلاوي[1]:

تكلم الكاتب عن جملة قضايا تتصل بالقصص القرآن ، تناول فيها الحديث عن مصطلح القصص في القرآن، وعن تنوع القصص القرآني...

- وفي حديثه عن (مصطلح القصص في القرآن) أشار إلى اصطلاحات ستة بيّن ما بينها مـــن فـــروق أو تقارب في الاستعمال القرآني، وهذه الاصطلاحات هي "قصص" و"خـــبر" و "أســـطورة" و "حديـــث" و "نبأ" ... وعلى الرغم من أنه تناول هذه الاصـــطلاحات بالبـــيان والتوضـــيح إلا أنه لم يشر إلى هدفه من ذكرها في تعريفه القصـــص القـــرآني، ولم يـــبين أي رابط منهجي بين هذه الاصطلاحات وعلاقتها بالقصص القرآني...
- وعـــند حديـــثه عن (تنوع القصص القرآني) بيّن أن النصوص القصصية في القرآن الكـــريم قد تنوعت باعتبارات متعددة؛ فبعضها طويل والآخر قصير، وبعضها تكرر والآخر لم يتكرر، وبعضها كان قصصاً للأنبياء، والآخر كان قصصا لغيرهم.
- وكـــنموذج على ما تكرر من القصص يذكر حديث القرآن عن عصا موسى عليه السلام، ويشير إلى الاختلافات الواردة في تعبير القرآن عن هذه العصا.

ويبدو أن الكاتب متأثر بالدكتور محمد أحمد خلف الله ، صاحب (الفن القصصي في القرآن) في نظـــرته للقصص القرآني، ففي أثناء حديث الكاتب (اليعلاوي) عن اختلاف التعبير القرآني في

---

(١) محمد اليعلاوي: في القصص القرآني، مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد/ ٢٤، سنة ١٩٨٥م، ص٢٥.

القصة الواحدة يذكر كلام الدكتور خلف الله، ويدافع عنه، ويبين أنه لم يقصد من كلامه حول القصـــص القرآني "أن القرآن ابتكره وخلق أحداثه من لا شيء، وإنما قصده أنه تصرف فيه و لم يلتزم بالمادة التاريخية، ولا بالصيغة الموحدة، بل كيّف الرواية بحسب المقاصد التأثيرية العاطفية"[1].

والكاتب (اليعلاوي) يقر – بعد ذلك- أن في القصص القرآني خيالاً وابتكاراً وخلقاً، ولا يوافق الدكتور التهامي نقرة في نفيه ذلك عن القصص القرآني[2].

ويستدل على وجود الخيال والابتكار والخلق في القصص بأن كثيراً من الأمثال القرآنية لا تشير بالضرورة إلى قصة معروفة، بل تعتمد على التشبيه والتمثيل والكناية[3].

والكاتب يستغل خلطه بين المثل والقصة، والقصة التي تساق على شكل مثل، كما في قوله تعالى: "وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلاً أَصۡحَـٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ" [يس:١٤] يستغل ذلك ليبين أن هذا النوع من القصص خيالي لا واقعي.

وهـــذا كلام باطل لا حجة عليه، وإن مما سيقت لأجله بعض القصص على شكل مثل هو زيادة تأكيد ما في دلالالتها من المعاني والعبر.

- وتحت عنوان (من التفسير الرصين إلى الخرافات الشعبية) وفي أمر العصا ذاتها، يذكر الكاتب أن قصة العصا كانت منطلقاً لسلسلة من الخرافات في شأن صفاتها العجيبة، ومآربها الكثيرة، ويذكر أن المفسرين توسعوا في ذكر مثل هذه الأقوال لأنهم احتاجوا إلى التفصيل ...!

---

(١) اليعلاوي: في القصص القرآني ، ص ٣٤.

(٢) اليعلاوي: في القصص القرآني ، ص ٣٥.

(٣) اليعلاوي: في القصص القرآني ، ص ٣٥.

- بعد ذلك يذكر خلاصة هذا التفصيل والتطويل في شأن العصا، حيث يقول: "ونرى من هــذا التفصــيل الطويــل أن القصص القرآني كان منطلقاً للإبداع القصصي، ولكن في اتجاهين:

١- اتجــاه خــرافي: كهــذا القسم الثاني من مناقب عصا موسى الذي نقله الزمخشري، أو هذا التفصيل لخبر انقلابها حية كما ورد في عرائس المجالس.

٢- اتجــاه أدبي تثقيفي وترفيهي: كالنص المعروف في منافع العصا الذي نقله الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين)"[١].

ولست مع الكاتب في نسبة هذا الإبداع القصصي – كما يسميه هو- إلى القصص القرآني، ولا أدري أيــن هو هذا الإبداع ؟ أهو في الاتجاه الخرافي، أم في الاتجاه الأدبي التثقيفي الترفيهي؟! وإن يكن، فما مسؤولية القصص القرآنية عن ذلك؟!

وعلى كل فالمقال فيه مغالطات علمية ومنهجية، وفيه كثير من القضايا التي تحتاج إلى مراجعة وتصويب وتقويم.

● مــن الدراســات التي تمثل هذا الجانب أيضاً ما كتبه الأستاذ فتحي رضوان في حلقات متسلسلة عن (القصص القرآني) في مجلة منبر الإسلام[٢]، حيث عرض في مقالين متتابعين إلى (خصائص القصة القرآنية).

---

(١) اليعلاوي: في القصص القرآني ، ص ٣٨.

(٢) منــبر الإسلام، العدد السابع ، السنة ٣٤، رجب ١٣٩٦هــ ، يوليو ١٩٧٦، ص ٣٧-٢٠١، المقاول الأول والمقــال الــثاني في العدد الثامن لسنة (٣٤) شعبان ١٣٩٦هــ أغسطس ١٩٧٦م، تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر.

- وقد دار حديثه بتفصيل طويل حول خصائص أربعة يراها للقصة القرآنية:

١. أن القرآن الكريم لا يعرّف بالشخصيات التي يدور حولها كلامه.

٢. أنه يجرد كلامه تعالى من الزمان والمكان.

٣. أنه يصطنع أسلوباً في الإيجاز التام الذي لا يعرف له نظير في آثار الأمم الأخرى.

٤. وحدة الغاية في كل ما ورد في القرآن من أنباء وأخبار وأحاديث وذكر.

وقد فصل في هذه الخصائص مع إعطاء الأمثلة وكلامه فيه جدة وجديد.

٢- النقد والتوضيح:-

ويهـــتم أصحاب المقالات والبحوث التي تتناول جوانب نقدية أو توضيحية في دراسة القصـــص القرآني فيما يثار حول تلك الأقوال والآراء من شبهات أو فيما تحمله تلك الآراء والأقوال من أخطاء ومفاهيم تحتاج إلى نقد وتوضيح وتصويب.

ولأن القصـــص القرآني كغيره من القضايا القرآنية قد عرض له أعداء الإسلام بالطعن والتشكيك، فقد تصدى لهم العلماء والمثقفون المنصفون برد طعونهم والدفاع عن كتاب الله تعالى...

وقد نجد من الآراء والأقوال مما يخص القصص القرآني قد صدر عن غير أعداء الإسلام. بـــل هي آراء ووجهات نظر تصدر عن علماء لاشك في علمهم وإخلاصهم لدينهم، لكن آراءهـــم تحتاج إلى نقد وتوضيح فينبري لهم من يقوم بذلك، ومن هذه الجهود التي تمثل هذا الجانب:

- (الإمام محمد عبده ... وقصة آدم)[1] الدكتور عبد الغني الراجحي:

- كتـــب الدكتور الراجحي هذا لمقال للدفاع عن الإمام محمد عبده مما نسب إليه في حديثه عن قصة آدم عليه السلام، ولتوضيح موقفه ورأيه في هذه القصة، وقد اشتمل مقاله على عدة نقاط منهجية واضحة، استطاع من خلالها بيان منشأ الخطأ في فهم رأي الإمـــام وتوضـــيح مقصده من كلامه، مع تأكيد إخلاص كلمته لوجه العلم والبحث والمعرفة.

- أمـــا خلاصة ما أخذ على الإمام محمد عبده فهو "انه جوز في تفسير هذه القصة – قصة آدم عليه السلام– أن يسلك فيها مسلك التأويل والخروج عن الحقيقة والالتزام الحـــرفي بانطـــباق الجمل والعبارات، والحكاية في القصة على شيء واقع في الخارج والحقـــيقة ونفس الأمر، وسمى هذا المسلك بمسلك ومذهب الخلف، وسمى المسلك والمذهـــب المقابل له بالتزام تنْزيل الحكاية والجمل والعبارات على أمور ومصادقات حقيقية في الخارج، سمي ذلك بمذهب السلف"[2].

- ويبين الدكتور أن السبب الذي لأجله ثارت الشكوك والشبهات حول كلام الإمام عـــلى الـــرغم مـــن أنه كان موجوداً في تفسير المنار من بدء القرن العشرين هو أن الدكـــتور محمد أحمد خلف الله في رسالته العلمية التي ظهرت في الأربعينات بعنوان

---

(١) عبد الغني الراجحي: (الإمام محمد عبده ... وقصة آدم)، مجلة الأزهر، تصدر عن مشيخة الأزهر، الجزء الأول، سنة الثالثة والأربعون، محرم سنة ١٣٩١هـــ، مارس ١٩٧١م، ص ٩٤٥-٩٥٢.

(٢) عبد الغني الراجحي: الإمام محمد عبده وقصة آدم، ص ٩٤٥.

(الفن القصصي في القرآن) قد استدل بكلام الإمام على رأيه حول القصص القرآن، وأن القصـــة في القـــرآن قد دخلها الخيال والرمز والتمثيل والأسطورية... من هنا توجهت الأنظار من جديد وبحده وبشدة وبغضب إلى ما قاله الأستاذ الإمام.

- وفي ســبيل توضيح رأي الإمام محمد عبده في القصة، وتوضيح معنى كلامه يؤكد الدكتور الراجحي الأمور التالية:

١-أن الإمـــام لم ينهج منهجه و لم يسلك مسلكه إلا في قصة آدم عليه السلام فحسب، لأنهـــا مـــن الأمور الغيبية لم تجر حوادثها على وجه الأرض بين بشر عرفوا بأعيانهم وذواتهم وتاريخهم، ولكنها قصة الملأ الأعلى.

٢-أن تلميذ الإمام وهو محمد رشيد رضا قد أوضح رأي الإمام في هذه الآيات وأنها من المتشابهات، وأن للمسلمين طريقتين في فهم المتشابه:

- "طـــريقة الســـلف: وهي وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله وصفاته، وعالم الغيب.

- طـــريقة الخلف: وهي التأويل، وبالتأكيد على أن النقل لا يراد به ظاهره، ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه، فينبغي طلبه بالتأويل"[(١)].

يقول الدكتور الراجحي بعد أن ساق كلام الإمام رشيد رضا في المنار:

---

(١) انظر: تفسير المنار، ج١، ص ٢٠٩-٢١٠.

"مـــن هــــذا النص يتبين اعتذار الإمام لمن ذهب في تفسير هذه القصة مذهب الخلف والتأويل، وبيان المراد المقصود من غير تقيد بتنْزيل النص على واقع خارجي.

ويتـــبين كذلك أن الأستاذ الإمام لم يمنع مذهب السلف المشهور في تفسير هذه القصة بالتزامه فقراها منْزلةً على الوقوع الخارجي مع تفويض كيفية ذلك إلى علم الله. ويتبين ثالثاً أن الإمام يقول: إنه على مذهب السلف"[1].

- ثم يحتج الدكتور الراجحي للإمام بمسلكه هذا المسلك بأمرين اثنين:

الأول: كلام رشيد رضا في السياق ذاته، حيث يقول: "لا أذكر عن أحد من المفسرين المتـــبعين للأثـــر تصريحاً بأن الأوامر في قصة آدم من أمر التكوين إلا الحافظ ابن كثير، فإنه ذهب في تفسير قوله تعالى: "قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا" من سورة الأعراف إلى أن الأمر فيه أمر قدري كوني، ومثله ما في معناه من قصة آدم ومن الآيات الأخرى في مخاطبة إبليس للرب وجوابها في شأن إغوائه للبشر، وإنذاره إلى يوم القيامة"[2].

أقول: ومعنى كونها أمراً قدرياً لا تشريعياً أن هذه المعاني الواردة في القصة لم تصور قولاً مـــن الله، بـــل صورها لنا القرآن الكريم بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب، وبأسلوب الحكاية، لما في ذلك من البيان والتأثير لكي يقرب ويوصل ذلك المعنى إلى العقول والأفهام.

---

(١) عبد الغني الراجحي: الإمام محمد عبده وقصة آدم، ص ٩٤٨.

(٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج١ ، ص ٢٣٢.

يقـــول صاحب المنار محمد رشيد رضا: "وإنما سمي أمر التكوين للتعبير عنه في التنْزيل بقوله تعالى: "إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾" [يس: ٨٢]، فهو تصوير لتعلق إرادة الربوبية بالإيجاد"(١).

الثاني: أن الإمام قد سُبق إلى هذا القول من علماء أفذاذ يحتج بقولهم، وغاية ما فعله أنه فسر ووضح، وزاد وأضاف ونمى.

من هؤلاء العلماء ابن كثير — رحمه الله- فيما قاله في تفسير آية الأعراف، وهي قوله تعالى: "قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٞۖ" [الأعراف: ٢٤](٢)، وكذلك الجمل في حاشيته على الجلالين(٣).

- ثم يختـــتم الدكتور كلامه بالتأكيد على أن الإمام قد سلك في تفسيره لقصة آدم مسلك السـلف والخلـف، ولم يجبر أحداً على اختيار أحد المسلكين، وإن كان هو قد اختار مسلك السلف، وأن الإمام مسبوق إلى القول والمسلك الذي قال به وسلكه...

وإذا كنا نشكر للدكتور الراجحي حرصه ودفاعه عن الحق وعن الإمامين الجليلين فإن ذلك لا يمنعنا من التأكيد على أن الإمام محمد عبده رحمه الله قد بالغ كثيراً في فتح باب التأويل في هذه القصـة، مما كان له أثر واضح بعد ذلك في الجرأة عند بعض الكاتبين أن يأخذوا كلامه — رحمه الله- تكأة لهم في دعم أقوالهم وتقوية آرائهم فيما ذهبوا إليه وزعموه حول القصص القرآني(٤).

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج١ ، ص ٢٣٢.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص ٦٧٠.

(٣) لم أجده في الفتوحات الإلهية، وهي حاشية الجمل على الجلالين.

(٤) انظر: مقال شيخنا أ.د. فضل حول هذه القضية في كتابه القصص القرآني، ص ١٤٤-١٥١.

• ومـــن الدراسات الأخرى التي تمثل هذا الجانب أيضاً بحث قيم للدكتور محمد بلتاجي بعنوان (التفسير البياني للقصص القرآني)[1].

عــرض الدكــتور في أوله إلى نقد الاتجاه البلاغي، أو التفسير البلاغي للقرآن الكريم المتمثل بمدرسة الدكتور أمين الخولي.

ويبين الدكتور بلتاجي أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن – وهي زوجة الدكتور الخولي وتلمــيذته- في تطبيقها لهذا المنهج وردها على ما أطلق عليه التفسير العصري للقرآن- قد انتهــت إلى نــتائج يرفضها في مجال تفسير القرآن الكريم ، ويرى أنها تؤدي إلى نتائج من الخطورة والخطأ بحيث تقتضي منه ردها والتنبيه على مواضع الخطأ فيها...

لكنه سيصرف النظر عن ذلك ليفرغ لما هو أكثر خطورة وأدخل في باب الخطأ، وهو ما حفزه حقيقة إلى القيام بهذه الدراسة كلها كما يقول[2].

مــن هــنا فقد كانت دراسته كلها حول رسالة الدكتور محمد أحمد خلف الله (الفن القصصي في القرآن الكريم).

وقد عرض لجميع النقاط التي يرى فيها مخالفة الدكتور خلف الله لمنهج الحق والصراط المستقيم، وبيّن تأثره بالمستشرقين في أقواله وآرائه.

---

(١) محمد بلتاجي: التفسير البياني للقصص القرآني، مجلة أضواء الشريعة ، كلية الشريعة بالرياض، العدد السادس، ١٣٩٥هـ، ص ٩٩-١٨٢.

(٢) بلتاجي: التفسير البياني للقصص القرآني ، ص ١٠٨.

وأخّر الرد على مزاعم خلف الله إلى نهاية البحث، وأخذ يرد عليها بالتفصيل إلى أن انتهى منها.

والبحث يمتاز بالمنهجية العلمية والدقة والموضوعية، وقد اشتمل على نقاط تفصيلية كثيرة، أنصح بقراءته والإفادة منه.

٣- السرد والتحليل:-

حيث يهتم أصحاب هذا الجانب بتناول القصة القرآنية ببيان أحداثها وتحليل المواقف وسرد الوقائع، وتوضيح الألفاظ ودلالات الآيات، ومن الملاحظ أن كل مقال أو بحث يتناول قصة معينة يدرسها دراسةً سردية تحليلية أو يأخذ جانباً محدداً من القصة، ولا يعرض صاحب المقال أو البحث لأكثر من قصة واحدة فيما يكتب، وذلك ليتناسب هذه الفعل مع طبيعة المقالات والأبحاث التي تميل إلى التحديد، وهي بطبيعتها مختصرة...

ومن النماذج على ذلك:

- **(نبي الله داود ونبأ الخصمين) عطية محمد سالم[(١)].**

عرض الكاتب كما هو واضح من العنوان إلى قصة داود عليه السلام والخصمين اللذين تسوروا عليه المحراب، وذلك في الآيات الواردة في سورة (ص) الآيات من (٢١-٢٦)، حيث تناول هذه الآيات بالتوضيح والتحليل مستعيناً بدلالة اللغة والسياق في الدفاع عن نبي الله داود عليه السلام مما نسب إليه، مبيناً في النهاية براءته من كل ذلك.

---

(١) عطية محمد سالم: نبي الله داود ونبأ الخصمين: مجلة الأزهر تصدر عن مشيخة الأزهر، الجزء الأول السنة الثالثة والأربعون، المحرم ١٣٩١هـ، مارس ١٩٧١م، ص ٩٤٠-٩٤٤.

وقد بدأ أولاً بذكر الإسرائيليات والخرافات التي امتلأت بها كتب التفسير، وأخذت تتناقلها وتـــرددها في تفســـير فتنة داود عليه السلام، وهي قصة زواجه من امرأة "أوريا" كما تزعم هذه الروايات، وتفسيرهم للنعجة بأنها المرأة.

وذكـــر رأياً آخر تردد عند المفسرين في تحديد هذه الفتنة مفاده؛ أن داود عليه السلام حكم لأحد الخصمين، وهو المدعي قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر.

وقد كرّ على هذه الأقوال بالإبطال حيث يقول: "ومن عجب أننا لو نسبنا أحد هذه الأقوال لمن يقولها عن نبي الله داود عليه السلام لما رضيه لنفسه ... لا من جهة العفة عن المرأة ، ولا من جهة العفة عن الحكم"(١).

ثم بعد ذلك أخذ يفسر الفتنة بما يوضحه السياق، حيث يرى أنها ماثلة في اعتكافه، فحقيقة فتنته أنها فتنة عبادة تؤثر على سياسة الحكم، ولا أثر للمرأة فيها البتة، ويدلل على ذلك بأمور:

أولاً: اســـتعمال القرآن لفظ **(تسوروا)** يدل على أن الناس لم يكونوا قادرين على الوصول إليه لتشديد الحرّاس عليه، وهم عاجزون عن الوصول إليه محجوزون عنه مع شدة حاجتهم لحكمه ، وذلك في الوقت الذي خصصه لنفسه للاعتكاف والعبادة، دل على ذلك قوله تعالى: "**تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ**" [ص: ٢١].

ثانـــياً: قـــول المدعي: "**وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ**" [ص:٢٣]، أي غلبني، صورة من صور التعدي والغضب المتفشي في المجتمع خارج أسوار محرابه.

---

(١) عطية سالم: نبي الله داود ونبأ الخصمين، ص ٩٤٢.

- ثم بـــدأ بســـرد الأحداث وتحليلها، ووقف أولاً عند شخصية سليمان عليه السلام وشخصية ملكة سبأ، وأراد بيان قوله تعالى"وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ"[النمل:١٦] في حق سليمان، وقولــه تعالـــى: "وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ"[النمل:٢٣] في حق ملكة سبأ، ويقـــول: "فالذي أوتيه سليمان مقرون بفضل الله وبركته من خلال رضاه، والذي أوتيته سبأ مقرون بامتحان الله بين الوعد والوعيد..."[١].
- ثم يـــتحدث عـــن (الهدهد) وكيف تغيرت صفته -عندما كلفه سليمان بأن يكون سفيراً- من عين طائر للاستطلاع إلى سفير عليه أمانة البلاغ في أخلاق السفارة عن نبي الله سليمان عليه السلام.
- وفي ســـياق ســـرده وتحليله للأحداث يشير إلى خصيصة من خصائص التعبير القرآني في القصص، حيث يقول: "والقرآن الكريم بذلك التجاوز عن ذكر ما يمكن فهمه وإدراكه، دون النص عليه من خلال السياق، إنما ينتقل إلى هدفه بذكر المواقف الفعالة في القصص القرآني الهادف، وهذا أسلوب تعجز عن بلوغه أدوات البشر من القصاصين"[٢].
- ينـــتقل بعد ذلك للحديث عن نص الرسالة، وحكمة سليمان إذ بدأ بـــ "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ"[النمل:٣٠]، والنص الموجز للرسالة "أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾"[النمل:٣١]، وهما مطلبان لا يبلغهما إلا كبير.

(١) عبد المجيد وافي: سليمان عليه السلام وملكة سبأ، ص ٨
(٢) عبد المجيد وافي: سليمان عليه السلام وملكة سبأ، ص ٩.

- ثم انتقل للحديث عن موقف الملكة مع الملأ، وما ظهر من موقفها من رجاحة العقل ومـــن السياسة لمملكتها، إذ لم تنفرد برأيها ... وواصل الحديث عن ردّ الملكة على سليمان ورده عليها...

- وعند قوله تعالى: "قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾" [النمل: ٣٨] يبين جواب العفريت، ثم يذكر أقوال المفسرين في "ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ" أهو (آصف بن برخيامن ؟ أم هو جبريل عليه السلام؟ أم هو سليمان نفســـه يُعلم العفريت أنه يستطيع أن يأتي به في أسرع من لمح البصر ليبين أن ذلك معجزة آتاه الله إياها... ولم يرجح بين هذه الأقوال.

ثم يخـــتم حديثه عن القصة ببيان استقبال سليمان لملكة سبأ واختباره لذكائها، وكيف أراهـــا فضل الله ونعمه عليه ببناء الصرح الممرد من قوارير، وكان دفاع الدكتور جيداً عما نسب لسليمان بشأن رغبته في أن تكشف ساقيها ليراهما.

٤- قضايا موضوعية:

اهـــتم بعض الكاتبين بتناول جوانب موضوعية في مقالاتهم وأبحاثهم، وهذا النوع من الدراســـات يتناســـب تماماً مع طبيعة الأبحاث والمقالات، حيث يتم تسليط الضوء من قبل الباحث على موضوع أو موضوعات معينة في القصة التي يدرسها.

وهـــذا الـــنوع من الدراسات في جانب المقالات والأبحاث يتمثل فيه جانب الموعظة والعبرة من القصة، أو إن شئت فقل: إن بعض الدراسات التي تناولت جانب العبر والدروس

يمكـــن أن تندرج تحت هذا المجال، حيث وجدت من اطلاعي على بعض المقالات والأبحاث التي يعرض فيها أصحابها إلى جانب العبرة والعظة من القصة أنهم يركزون على بعض القضايا الموضوعية في تلك القصة ...

ومما يمثل هذا الجانب المنهجي:

- **مقالة (طالوت وجالوت) و (القرآن وطريقة طالوت في الحكم)، الشيخ مصطفى الزرقا:**

وهما مقالان متسلسلان نشرتهما تباعاً مجلة التمدن الإسلامي[1].

- وقـــد تـــناول الشيخ الزرقا في مقاله الأول توضيح الأمور التالية، التي تكفلت الآيات القرآنية ببيانها:

١- كيفـــية اختيار طالوت ملكاً على قومه، وما هي مؤهلاته التي رجحته على غيره من الوجهاء الأغنياء، وذوي المراكز الاجتماعية الموروثة من الأسر الشهيرة.

٢- الطـــريقة البارعة التي اختار بها طالوت جنوده لحرب جالوت، وأساس هذا الاختيار السديد الذي كانت نتيجته انتصار الحق على الباطل...

٣- ثم إن الله تعـــالى يخبرنا بما فعل طالوت بعد توليه الملك، وكيف جهز جيشه المحارب للطغـــيان والضلال، وكيف اختار منه الصالحين الذين يوثق بهم في المواقف والمعارك الحاسمة.

- ثم بنى مقالته على توضيح ثلاث قضايا موضوعية تعطينا إياها آيات قصة طالوت:

---

(١) مجلة التمدن الإسلامي، جمعية التمدن الإسلامي، سوريا ، مجلد ٢٠، الجزء ٣٣/٣٥، ربيع الأول ١٣٧٣هـــ ص ٧٥٣-٧٥٦.

- (التحليل النفسي في القصص القرآني)[1]، د. حسن محمد الشرقاوي:

عــرض الكاتب في مقالته هذه إلى النفس الإنسانية، وبين أن فيها جبلّات أودعها الله فيها، وأن لها أوصافاً وصفات تعرف بها، وخصائص يشترك الناس فيها، وقوى تحتوي عليها وتعرف بها.

وهـــو يـــرى أن دراســـة هذه القضايا من كتاب الله وسنة رسوله تعين الباحث على الحصول على ثمار يانعة، ونتائج صادقة في مجال دراساته ا لنفسية...

ثم يقول: "إن في القصص القرآني أعظم شاهد على صدق ما نقول فيما يتعلق بدراسة الـــنفس الإنســـانية، فقد أعطانا الله نماذج عديدة من النفوس الإنسانية، منها الصالح ومنها الطالح، منها المخلص ومنها المرائي، منها الصابر والمتواضع، منها المتجبر والمغتر بنفسه أو ماله أو جاهه"[2].

وفي رأيي أن المقال كان مجرد دعوة للاهتمام بهذا الجانب وإيلائه مساحة في الدراسات والجهود المبذولة في سبيل معرفة حقائق النفس البشرية، واختلافها واكتشاف القوى المحركة فيها.

و لم يعــرض الكاتب لدراسة أي نموذج من القصص يتطرق فيه للكشف عن هذه الجوانب النفسية في شخصيات القصة القرآنية، باستثناء إلماحة سريعة جداً اتسع لها المقال تحدث فيها عن

---

(١) مجلة الفيصل ، السعودية، الرياض، العدد (٩٦)، جمادى الأخرة ١٤٠٥هـــ السنة الثامنة، آذار ١٩٨٥م، ص ٧٠-٧١.

(٢) حسن الشرقاوي: التحليل النفسي في القصص القرآني، ص ٧٠.

فـــرعون الذي كان له – كما يقول–" "نفس إنسانية، لكنها عاطلة عن الخير، قد ملكها الغرور والتجـــبر والتكـــبر، ورفضت التسليم بالحق لتشارك الله في ملكه، ثم ينتهي أمر هذا التحدي بأن يغرق فرعون وجنوده... هذه النفس يمكن أن تجد لها صوراً متعددة في عصورنا الحديثة"[1].

ويخـــتم مقاله بقوله: "إن في التحليل النفسي للقصص القرآني لآيات لقوم يريدون الحق والحقيقة، ويأملون أن يصلوا إلى فهم النفس فهماً طيباً صادقاً لا ريب فيه ولا مراء"[2].

هذه – في اعتقادي– أهم الملامح التي رصدتُ من خلالها كثيراً من جهود الكاتبين في مجال المقال والبحث، وتبقى هناك قضايا تفصيلية مجالها الدراسة التفصيلية لكل بحث أو مقال لتبيان كثير من القضايا والنقاط العلمية والمنهجية فيه، وقد بينت من خلال ما كتبته وسجلته هنا ما يتفق مع موضوع هذه الدراسة.

سابعاً: الحديث عن القصص القرآني من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة.

قصـــدت من ذكر هذا الجانب تتميم الفائدة برصد جميع الجهود التي خُدمت بها القصة القرآنـــية، فقـــد سمعنا في أيامنا هذه بعض العلماء والدعاة يتحدثون في محاضراتهم وبرامج يقدمونها في وسائل الإعلام مثل (التلفاز) عن قصص الأنبياء.

وجـــل حديـــث هؤلاء يتمثل في التركيز على الجوانب الوعظية وبيان الدروس والعبر المســـتفادة مـــن هـــذه القصص، ويتخلل حديثهم التأكيد على بعض القضايا الاجتماعية والإنسانية المعاصرة بما يتناسب وطبيعة هذه المحاضرات وهذه الدروس.

---

(١) حسن الشرقاوي: التحليل النفسي في القصص القرآني ، ص ٧١.

(٢) حسن الشرقاوي: التحليل النفسي في القصص القرآني ، ص ٧١.

وعـــلى الرغم من أن الجهود المبذولة في هذا الجانب محدودة وضيقة إلا أن لها انتشاراً واسعاً بين الناس، ولذلك تحتاج إلى مراجعات علمية ونقد علمي منهجي.

ومن الجهود التي تمثل هذا الجانب:

١- محاضرات الدكتور أحمد الكبيسي في البرنامج (التلفزيوني) الذي كانت تقدمة قناة (أبوظبي) الإعلامية تحت عنوان (أحسن القصص).

٢- محاضرات للدكتور أحمد نوفل وهي مسجلة على أسطوانات كمبيوتر (CDs).

٣- مجموعة محاضرات ودروس للأستاذ الداعية عمرو خالد وهي مسجلة أيضاً على (CDs).

٤- مجموعة محاضرات للدكتور طارق سويدان، وهي مسجلة على (CDs).

المطلب الثاني: الجهود السابقة في مناهج التأليف في القصص القرآني

أشرت في مقدمة هذه الدراسة إلى أنه قد سبقت بعض الجهود التي أسهمت في دراسة هذا الجانب في القصص القرآني، وهو جانب منهجية التأليف، وهذه الجهود السابقة هي باكورة هذه الدراسة التي قمت بها ... وهذه طبيعة كثير من الأعمال العلمية، تبدأ بإشارات هنا وهناك ثم تتنامى هذه الإشارات، وتتكامل هذه الجهود حتى تصل إلى مرحلة النضج والاكتمال، وأسأل الله تعالى أن تكون جهودي هذه مقدمات وأصولاً وقواعد قيمة تأخذ دورها للإسهام في بلورة هذا الجانب في دراسة القصص القرآني وفي إكماله ...

إن مجمل ما وجدته – من خلال قراءتي واطلاعي – في الإشارة إلى مناهج الكاتبين، أو مناهج التأليف في القصص القرآني لم يتجاوز بعض الإشارات أو اللمحات.

وأول من أشار إلى هذا الجانب هو الإمام محمود شلتوت رحمه الله في تفسيره (تفسير القرآن الكريم) الأجزاء العشرة الأولى، وذلك في بداية تفسيره لسورة البقرة تحت عنوان (مناهج الناس في فهم القصص القرآني) ثم جاء من بعده الدكتور عبد الباسط بلبلول وأشار في رسالته التي أعدها لنيل شهادة (العالمية) الدكتوراه في التفسير بعنوان (القصص القرآني)، أشار إلى ذلك تحت عنوان (مناهج المفسرين للقصص القرآني).

جاء من بعد ذلك الدكتور التهامي نقرة، وأكد هذا الأمر بتناوله لبعض قضاياه تحت عنوان (البحوث السابقة وطرقها) وذلك ضمن حديثه عن موضوع بحثه ومنهجه فيه، في كتابه (سيكولوجية القصة في القرآن).

ثم وجدنا إشارات مقتضبة من شيخنا الأستاذ الدكتور فضل عباس في كتابه (قصص القرآن الكريم) تناول فيها الموضوع تحت عنوان (الكاتبون في القصص القرآني).

وممن أشار إلى هذا الجانب في دراسة القصص القرآني السيد محمد باقر الحكيم، وذلك في كتابه (القصص القرآني) حيث ذكر عدداً من المناهج يمكن دراسة القصة من خلالها، ولكن دون أن يضع عنواناً بارزاً لهذا الموضوع، وإنما أدرجه ضمن حديثه عن قصة عيسى عليه السلام.

وأخيراً كتب الدكتور أحمد نوفل كتاباً بعنوان (مناهج التأليف في القصص القرآني) – ولازال الكتاب مصفوفاً لم يطبع– عرض في مقدماته للحديث عن مناهج التأليف في القصص القرآني، ثم أخذ يذكر بعض الكتب التي ألفت في القصص ويتحدث عنها...

وسأعرض فيما هو قادم إلى تفصيل هذا الإجمال، والكشف عن هذه الجهود، وبيان قيمتها العلمية.

أولاً: الإمام محمود شلتوت – رحمه الله– ورأيه في ذلك:–

في بداية حديث الإمام عن سورة البقرة أشار إلى ورود قصة (البقرة) فيها، وأن السورة انفردت بذكر تلك القصة ومن أجلها سُميت (سورة البقرة)، وهنا ذكر عنواناً واضحاً (مناهج الناس في فهم القصص القرآني).

وقد ذكر – رحمه الله– أربعة مناهج هي على التفصيل:

١- منهج المؤولين للقصص:

يقـــول: "هذا أحد المناهج التي عرفناها للناس في فهم القصص القرآني، وهو "صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعو إلى هذا التأويل" وصاحبه قد يُحكّم فـــيه مجرد الاستبعاد لما يؤديه الكلام من المعنى الظاهر، وكثيراً ما يقصده بعض الباحثين دفعاً لما يثيره خصوم القرآن عن القرآن ...

ويدخـــل في هـــذا القســـم تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى عليه السلام بالإحياء الـــروحي، وحمـــل النمل في قصة سُليمان على أنه قبيلة ضعيفة، وتأويل الكواكب في قصة إبراهيم بأنها جواهر نورانية نورها عقلي لا حسي ...

وهذا المنهج هو من طريقة التأويل التي أسسها الباطنية[1] في القرآن الكريم حرفوه بها عـــن دلالـــته العربية، وفيه احتفاظ بمدلول للكلام وواقع يدل عليه ولكنه صرف للفظ عن معناه الوضعي إلى هذا المعنى الواقعي الذي يزعمه المؤول مدلولاً للكلام.

والرأي في هذه الطريقة أنه يجب أن يطبق عليها قانون التأويل الذي يتلخص في أنه إذا كـــان التأويل لا يقضي على أصل ديني ولا يمس عقيدة ثابتة، وهو في الوقت نفسه يحتفظ للعبارة القرآنية بواقع تعبر عنه تعبيراً صادقاً، وكانت اللغة تسمح به، فإنه يكون مقبولاً من الوجهـــتين الدينية واللغوية، وإذا لم تسمح به اللغة فهو مرفوض من هذه الجهة، صادر عن جهـــل مـــن صاحبه بقانون التأويل، ومرفوض أيضاً من جهة ما يلزمه من الحكم بصدور

---

(١) أشرت سابقاً إلى دور الباطنية في تأويل القصص وهدفهم من ذلك، وتحدثت عن كتاب (أساس التأويل) الذي يعد عندهم أساساً في ذلك بما يغني.

التلبيس من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أما إذا كان يقضي على أصل ديني أو يمس عقيدة فإنه يكون مرفوضاً أيضاً من الوجهة الدينية"[1].

٢- منهج القائلين بالتخييل:

ويحدد الإمام العلاقة بين هذا المنهج وسابقه فيقول: "فهو يتفق مع المنهج الأول من ناحية ويخالفه في ناحية؛ إذ هو صرف للألفاظ عن معانيها الحقيقية كما في المنهج الأول، ولكن لا إلى واقع يزعم ويدعي أنه مراد، وإنما إلى تخييل ما ليس بواقع واقعاً، فلا يلزم فيه الصدق ولا أن يكون إخباراً بما حصل، وإنما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من حكايات بين أشخاص مفروضين، أو على ألسنة الطيور والحيوان، للإيحاء فقط بمغزى الحكايات من الإرشاد إلى الفضيلة، والحث عليها، أو التحذير من رذيلة والتنفير منها...

وشبيه بهذا ما فعله قوم زعموا أن ما جاء في الكتاب الكريم من الآيات الدالة على أن الله يعلم جزئيات الأشياء وتفاصيلها، لا يراد به معناه الظاهر ولا معنى آخر، وإنما سيق ليورث رغبة ورهبة في قلوب الناس"[2].

وعلى الرغم من الإمام أوضح الفرق بين هذا المنهج وسابقه حيث إن أصحاب هذا المنهج يعتقدون أن ما ورد في القرآن من قصص إنما هي خيال، لم تَجْرِ و لم تحدث على أرض الواقع، إلا أنه لم يوضح لنا من هم أصحاب هذا الإدعاء وما حقيقة زعمهم...

---

(١) محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، التاسعة ، ١٩٨٢، ص ٤٥+٤٦.

(٢) شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص ٤٤+٤٧.

وقد وجدنا فعلاً من كان يحمل لواء هذا الزعم وهذا القول مدعياً أن القصص القرآني لا ينبغي أن نفهمه على أنه حقائق ثابتة قصد القرآن إلى تقريرها، وإنما هي أنماط من الخيال الخصب والفن المدبج لما تعارف عليه الناس في عصر نزول القرآن أو جاءت تحكي ما عرفه السابقون[١] ...

٣- منهج المسرفين في قبول الروايات:

وقد جعله الإمام منهج جمهور المفسرين، وهو يقوم على الإفراط في تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة في فهم القصة القرآنية، واعتبار كل ما ورد متصلاً بالقصة بياناً وتفصيلاً لما جاء في القرآن .

ويرى الإمام أنه لا يصح منهجاً اتخاذ الروايات مصدراً في بيان القصص لأنها لم تبحث بحثاً دقيقاً لتمييز صحيحها من ضعيفها.

وهو يرى أن "هذا المنهج فيه إفراط أي إفراط، وذلك يتمثل في كثير من كتب التفسير حينما تصل إلى قصص الأنبياء مع أممهم، كما نراه في حالة بني إسرائيل في التيه، وكما نراه في وصف المائدة التي أنزلها الله"[٢].

إن اتخاذ الروايات مصدراً لبيان القصص القرآني أمر لا بد منه، بل إن من مقومات المنهج الصحيح في التعامل مع القصص القرآني اعتماد الروايات والأحاديث الواردة في ذلك بشرط صحتها.

---

(١) انظر دراسة محمد أحمد خلف الله (الفني القصصي في القرآن).

(٢) شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص ٤٧-٤٨.

وإذا أردنـــا فهم كلام الإمام في رفضه الروايات مصدراً في بيان القصص، فإنا نقول: إن السبب الذي دفعه لهذا القول أن الأحاديث والروايات الواردة في القصص لم تخدم خدمة حديثية وافية، ونحن يجب أن نفرق بين منع اعتماد الأحاديث الضعيفة لبيان آيات القصص، وبـــين رفض اعتماد كل ما هو صحيح أو ضعيف في فهم القصص وتفسير آياتها... والإمام لا يقصـــد رفـــض اعتماد الأحاديث والروايات الصحيحة في تفسير القصص وإنما يرفض الإفراط في قبول الروايات دون بيان صحيحها من ضعيفها.

وممـــا تجدر الإشارة إليه أنه قد صدرت دراسات حديثة تناولت الأحاديث والروايات الواردة في القصص القرآني، ودراستها دراسةً حديثية بينت صحيحها من ضعيفها، وجمعت ما صح منها في كتاب مستقل، من هذه الدراسات:

- الأحاديـــث الصـــحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام/ الشيخ إبراهيم محمد العلي رحمه الله.
- صحيح القصص النبوي / د. عمر سليمان الأشقر.

وإذا كان الكتاب الأول قد تناول جميع هذه الروايات والأحاديث ، فإن الكتاب الثاني لم يأخذ من تلك الروايات والأحاديث – ما يتعلق منه بالقصص القرآني- إلا ما كان على شكل قصة، وزاد عليه ما ورد عن النبي ﷺ من قصص لم يذكرها القرآن الكريم، فالكتاب لم يخصص ابتداءً لخدمة القصص القرآني من هذه الناحية، لذلك لا يذكر جميع الروايات التي تخص القصص القرآني، إنما ما كان على شكل قصة رواها النبي ﷺ.

٤- ذكر المنهج الذي يختاره وهو (التوسط دون إفراط أو تفريط):

وخلاصـــته كما يذكر الإمام: "الوقوف عندما ورد في القرآن الكريم، مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادها لواقع هي تعبير صحيح عنه، دون أن تزيد عليه، بما لم يرد فيه اعـتماداً عـــلى روايات لا سند لها كما صنع المفرطون، ودون تحقيق لمعانيها، باعتبار أن الكلام تخيـــيل لا يعبر عن واقع كما فعل المفرّطون، ودون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان أخرى، من غير صارف يمنع إجراء الكلام على ظاهره، كما فعل أهل التأويل، الذين حرفوا كثيراً من القرآن عن مواضعه، وتنكبوا قانون العربية التي نزل بها"[١].

وإن كـــان من كلمة تُقال هنا: فهي تسجيل قصب السبق للشيخ شلتوت في تسجيله هذا العنوان وذكره هذه المناهج، فهو أول من أشار إلى هذا المعنى وفصَّل فيه، ويكفي فضلاً من الله تعالى أن كلامه قد فتح باب دراسة هذا الموضوع لكل من جاء من بعده...

ثانياً: الأستاذ الدكتور عبد الباسط محمد بلبول – حفظه الله– ورأيه في ذلك:

أعتقد أن الدكتور بلبول كان بإمكانه الإفادة من كلام الشيخ شلتوت والتقدم خطوة أو أكثر إلى الإمام في سبيل إظهار هذا الجانب في دراسة القصص القرآني، إلا أننا وجدناه قد ســـلك طريقاً آخر في الحديث عن هذا الموضوع. ففي التمهيد لرسالته تحدث عن (الكتب المؤلفة في قصص القرآن قديماً وحديثاً)[٢]، وجعلها في قسمين:

---

(١) شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص ٥٠ .

(٢) بلبول: القصص القرآني، ص ٢٣-٣٢.

الأول: ما هو سرد تاريخي محقق بعيد عن الدخيل في الأعم الأغلب، ومن ذلك كتاب (قصص الأنبياء) للمرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار...

الثاني: ما اتجه نحو القصة بالدراسة والرد على الشبهات والكشف عن مضمون القصص وأهدافه، ومن ذلك كتاب (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) للدكتور عبدالكريم الخطيب.

وقبل هذا الأمر تكلم عن الجهود القديمة في التأليف في القصص القرآني والمتمثلة بالسرد التاريخي، حيث ألفت الكتب في التاريخ، وجمعت فيها قصص الأنبياء، مثل كتاب (عرائس المجالس) لأبي إسحاق النيسابوري الثعلبي ت(٤٢٧هـ).

و لم يشر الدكتور في هذا التمهيد إلى أي أساس منهجي في تفسيم هذه المؤلفات إلا ما يمكن أن يلحظ من أساس عام، وهو تقسيم هذه المؤلفات إلى قسمين: ما كان في سرد أحداث القصة، وما كان حول القصة وموضوعاتها، مع ملاحظة عدم الدقة في توزيع الكتب حسب التقسيمات التي ذكرها، فقد ذكر كتاب الثعلبي (عرائس المجالس) ضمن كتب التاريخ، وفي ظني أن الأولى أن يكون هذا الكتاب ضمن الكتب الخاصة (بالقصص القرآني).

هذا فيما يتعلق بالتمهيد، ولكننا نجده في الفصل الثالث – وهو الفصل الأخير من الباب الثالث الأخيرِ في الرسالة، نجده يعرض للموضوع تحت عنوان (مناهج المفسرين للقصص القرآني)[1].

---

(١) بلبول: القصص القرآني، ص ٤٧١-٥٠٥.

ويعرض لقضايا ثلاث:

١- **التفسير بالمأثور:** عرض فيه لمفهوم التفسير بالمأثور ومن اشتهر به من المفسرين، ثم تحدث عن الإسرائيليات، مفهومها وأنواعها وحكمها روايتها فيما يزيد على سبعَ عشرة صفحة، عرض من خلالها لبعض الروايات الإسرائيلية في بعض قصص الأنبياء.

٢- **ثم تحدث عن المفسرين بالرأي** في أسطر معدودة لم يوضح فيها شيئاً مما يخص القصص القرآني، أو يربط بين التفسير بالرأي والقصص القرآني.

٣- **المتطرفون في التفسير:** وجعلهم في ثلاثة أقسام[1]:

- قسمٌ: جانبُ التطرف والخروج عن الدليل فيه أقل، كتفسير الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا ومن على شاكلتهما.
- قسمٌ: كلُّ تفسيره يصل إلى درجة الإلحاد كالشيعة[2] والباطنية والقاديانية.
- قسمٌ: جمعَ بين التطرف والإنصاف كتفسير المعتزلة.

والجيد هنا أنه ركز في الأمثلة التي ساقها على أن تكون من تفسيراتهم لآيات القصص، فذكر جملةً من الأمثلة تبين آراء هؤلاء وأقوالهم في تفسير قصص القرآن الكريم.

وفي ظني أن منهج هؤلاء واحد في تفسير القرآن الكريم كله، سواء قصصه أو غيرها، وليس منهج كل قسم خاصاً بالقصص دون غيرها، هذا في الوقت الذي لم نجده يضع تحديداً واضحاً

(١) بلبول: القصص القرآني، ص ٤٨٩.

(٢) لست مع الأستاذ الدكتور بلبول في عده الشيعة جميعهم داخلين في هذا القسم، فهم ليسوا سواء، وكان الحق أن لا يعمم الحكم عليهم جميعاً بالإلحاد.

لهـذه المـناهج، وإنمـا – كما علمت- يذكرها تحت عنوانات عامة لا تعطي تصوراً دقيقاً عن المـناهج، ولعل عذره في ذلك كون هذه الدراسة من بدايات الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب ولم يكـن قـد اتضـحت معالمه بشكل دقيق، من هنا نلحظ عليها الصبغة التفسيرية في النظرة للكاتبين في القصص وليس النظرة المنهجية.

ثالثاً: الدكتور التهامي نقره، ورأيه في ذلك:-

أفـرد الدكتور نقره عنواناً خاصاً لهذا الموضوع سماه (البحوث السابقة وطرقها)، وقد تقدم في حديثه على سابقيه أكثر من خطوة، حيث وجدنا تفصيلاً محدداً وتسمية واضحة لما سمـاه (طريقة)، كما وجدنا تصنيفاً لبعض الكتب التي تحدثت عن القصص، وهذه خطوات لم نجدها عند الشيخ شلتوت أو عند الدكتور بلبول.

إلا أن تسمية الدكتور لمناهج أصحاب هذه المؤلفات بـ(الطريقة) يدل على أن فكرة الـدرس المنهجي لجهود هؤلاء الكتاب لم تكن قد تفاعلت في الوسط العلمي والثقافي الذي كـان يعيشه الدكتور نقرة، أو أنه لم يكن حريصاً على تسميتها بـ(المناهج) حتى لا يكون مضـطراً لتحديد المعايير والأسس المنهجية لكل منهج أو طريقة كما يسميها، مع أنه ذكر كـلمة (مـنهج) في حديثه عن (طريقة التحليل)[1]، مما يشير إلى حضور هذا المعنى في هذا النوع من الدراسات.

---

(١) الـتهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، وأعتقد أنه يقصد (البسط) وليس التبسيط، لأنه ذكر بعد قليل في الطـريقة الثالـثة (التبسـيط والتيسير) وهما متقاربان، أما ما ذكره تحت (طريقة التبسيط والتفصيل) فيناسبها (البسط).

وعـــلى كـــل فقـــد ذكر الدكتور نقرة طرقاً أربعة تنتظم الأبحاث السابقة لبحثه في موضوع القصص القرآني، وهي:

١- طريقة التبسيط والتفصيل[1]:

"وذلك باستقصاء ظروف القصة وجزئياتها وكل ما يتصل بها من مواقف وأحداث مع تحديد زمانها ومكانها وتعيين أشخاصها.

وجلّ من سلك هذا المسلك من المؤرخين والمفسرين كان همه الاستقصاء والإحاطة؛ لإشـــباع رغبات المتطلعين إلى هذا القصص الديني، وخاصة ما يتعلق منه بتاريخ بدء الخليقة والأنبـــياء والأمم الغابرة، دون أن يتحرى فيما يروى من أخبار، ويجمع من نقول امتزجت في أكثر الأحيان بالخرافات والأساطير والإسرائيليات"[2].

وذكـــر من المصنفات حسب هذه الطريقة كتباً في التفسير وفي التاريخ وكتباً مفردة، فمن كتـــب التفسير (جامع البيان في تفسير القرآن: للطبري)، ومن كتب التاريخ (الكامل في التاريخ: لابن الأثير)، ومن الكتب المفردة (عرائس المجالس في قصص الأنبياء: لأبي إسحاق الثعلبي).

٢- طريقة التحليل في حدود النص القرآني:

"وذلـــك بتوضـــيح مـــا في القصة من إشارات وعبر، والإجابة على ما أثير فيها من مشكلات وشبهات، وإجلاء عوامل التأثير في أسلوبها البياني، أو حججها العقلية، أو لمساقا الوجدانية.

---

(١) انظر: التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٣١.

(٢) انظر: التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٢٩.

وأصـــحاب هـــذا المنهج يعتمدون غالباً طريقة تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة والأثر الصـــحيح، وإذا أوردوا بعـــض الأخـــبار في القصة عن أصحاب السير، فإما لأنها متواترة مشهورة[1]، تلائم حقائق القرآن والسنة، وتلقي الأضواء على ما يحتاج إلى الإيضاح والبيان، وإما لأنها مزيفة تحتاج إلى الرد والتنبيه"[2].

ومن المؤلفات التي ذكرها تخص هذه الطريقة من كتب التفسير (تفسير القرآن العظيم: لابـــن كثير)، ومن كتب التاريخ (البداية والنهاية: لابن كثير)، ومن الكتب الحديثة لقصة واحـــدة (قصـــة موسى: لأحمد الجبالي) ولموضوع واحد (دعوة الرسل إلى الله: لمحمد أحمد العدوي).

ومن الملاحظ هنا أن الدكتور نقرة ذكر كتاب (قصص القرآن: لمحمد أحمد جاد المولى وزملائه) وكتاب (قصص الأنبياء: لبعد الوهاب النجار) ضمن كتب التاريخ، وإذا كان من الممكـــن أن نســـلم له هذا الأمر في كتاب النجار فلا نسلم له ذلك في كتاب جاد المولى وزملائـــه، فلا أسلوب الكتاب ولا منهج أصحابه ولا حجم المعلومات فيه ولا هدفهم من تألـــيفه – كمـــا يظهر من مقدمة الكتاب- لا شيء من ذلك يسمح أن يكون له مكان في كتب التاريخ.

---

(١) هذا ادعاء من الكاتب غير دقيق ، بل لا يصح أبداً، فليس من مقومات (طريقة التحليل) التزام الكاتبين بالروايات الصحيحة أو المتواترة المشهورة، بل هناك عند أصحاب هذا المنهج روايات باطلة ومرويات إسرائيلية، ومما يؤكد هذا أنه ذكر من أصحاب هذه الطريقة (محمد جاد المولى وزملاؤه في كتابهم: قصص القرآن) وهذا الكتاب فيه روايات إسرائيلية كثيرة واضحة البطلان، فضلاً عن مخالفتنا الدكتور في عده كتاب جاد حول المنهج التحليلي.

(٢) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص٣١.

على أن كتاب النجار أقرب إلى منهج الدراسات القرآنية منه إلى الدراسات التاريخية، على الرغم من أن الشيخ النجار من علماء التاريخ، ومن أن كتابه قد عرض لكثير من قضايا التاريخ، إلا أن كتابه – كما قلت- أقرب إلى الدراسات القرآنية.

وهناك أمر آخر أردت الإشارة إليه، وهو أن تصنيف الدكتور نقرة لكتب التاريخ والتفسير وفق هذه الطرق ليس دقيقاً ولا يسلم من نقاش، وفي ظني أن لكتب التاريخ ولكتب التفسير، وللكتب المفردة في القصص القرآني، لكل من ذلك مناهج خاصة بها تميزها عن غيرها من حيث شكلها ومن حيث مضمونها[1]...

٣- طريقة التبسيط والتيسير:

"وذلك بعرض القصة القرآنية في أسلوب بسيط، ولغة سهلة لا يحتاج إلى جهد من الفهم، حتى تكون في متناول الأطفال ومن لم ينل حظاً كبيراً من الثقافة.

وكثيراً ما يعنى أصحاب الطريقة بإبراز الجوانب الأخلاقية والتربوية في القصة، والقضايا البسيطة فيها، وما يغرس الشعور الديني"[2].

ومن الكتب التي ذكرها تمثل هذه الطريقة (سلسلة من القصص القرآني: لسيد قطب، وعبدالحميد جوده السحار)، و (مجموعة قصص الأنبياء: بإشراف محمد برانق)...

---

(١) راجع بتوسع ما ذكرته في هذه الرسالة عن هذا الموضوع عند الحديث عن الجهود السابقة في التأليف في القصص القرآني.

(٢) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٣٤.

٤- طريقة الدراسة للقصص القرآني:

"وذلك بتحليل منهجه، وإبراز خصائصه، والبحث عما أثير فيه من قضايا وشبهات، وما قدمه بعض المستشرقين وغيرهم من تساؤلات واعتراضات: كمصدر القصص القرآني، ومطابقته للتاريخ، وما يبدو فيه من تعارض"[١].

والدكتور يقصد بهذه الطريقة الدراسات التي كتب في قضايا القصص القرآني لا في سرد أحداثه.

وأرى أن هذه الدراسات لا تعد في شكلها منهجاً أو طريقة يصح أن توضع في مقابل تلك الطرق التي ذكرها الدكتور، فإذا كانت الطرق الثلاثة الأولى تخص أحداث القصص وسرد وقائعها، وقد تشكلت لذلك طرق ثلاثة كما يذكرها الدكتور نقرة، فكان الأولى أن تحدد طرق لهذا الشكل الثاني من دراسة القصة القرآنية وهو دراسة قضاياها.

من هنا أرى أن ما ذكره الدكتور قد يكون شكلاً منهجياً يتضمن تناول دراسة القصص القرآني من زاوية معينة، وقد يكون فيه أكثر من منهج أو طريقة - كما يسميها الدكتور نفسه- فكان الأولى إبراز هذه الطرق أو المناهج، وهو ما سأقوم به في هذه الدراسة في مكانه إن شاء الله تعالى.

ومن الجهود التي ذكرها الدكتور تمثل هذه الطريقة، منها ما كان كتاباً مفرداً مثل كتاب (الفن القصصي في القرآن الكريم: لمحمد أحمد خلف الله)، ومنها ما كان فصلاً في

---

(١) انظر: التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٣٥.

كتاب أو مقالاً في مجلة، من ذلك (مناهج الناس في فهم القصص: من كتاب (تفسير القرآن الكـريم للشيخ محمود شلتوت) و (القصة ومنهجها في القرآن: للتهامي نقرة) وهو بحث في حلقات متتابعة نشرت في مجلة (جوهر الإسلام).

رابعاً: شيخنا الأستاذ الدكتور فضل عباس ورأيه في ذلك:

وقـد تحدث شيخنا عن (الكاتبين في القصص القرآني)[1] ولم يتطرق لتحديد عنوان خـاص بدراسة مناهج هؤلاء، وإنما اقتصر على بيان أن القصة القرآنية قد تناولها بالدراسة فئات كثيرة من العلماء منهم المفسرون وعلماء التاريخ، ومن أفردها بالكتابة والتأليف.

ثم تـناول مجموعة من الكتب التي أفردت القصص القرآني بالكتابة والتأليف، وصف فـيها الكـتاب ومنهج صاحبه فيه، وماله وما عليه، مع مناقشة بعض القضايا الرئيسة التي تشـكل رأي الكاتـب وتصوره في دراسة القصص القرآني مناقشة علمية موضوعية ناقدة هادفة.

والكتـب الـتي تناولها شيخنا بالدراسة تعد في مجملها من أشهر الكتب المتداولة في موضـوع القصص القرآن،ي وإن كان غيرها مما لم يتطرق إليه شيخنا أيضاً مما اشتهر بين الناس.

وهذه الكتب التي تناولها هي: (قصص الأنبياء: للشيخ عبد الوهاب النجار)، (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: لعبد الكريم الخطيب) و(القصص القرآني من العالم المنظور وغير

---

(١) محمد باقر الحكيم: القصص القرآني ، ص ١٥-٤٢.

المنظور: لعبد الكريم الخطيب) أيضاً و (سيكولوجية القصة في القرآن: للدكتور التهامي نقرة)، و (نظرات في أحسن القصص: للدكتور محمد السيد الوكيل) و (الفن القصصي في القرآن: لمحمد أحمد خلف الله).

وكنا نتمنى لو أن هذه الدراسة متكاملة في بيان مناهج التأليف عند هؤلاء وعند غيرهم، لكن عذر شيخنا أنه لم يخصص كتابه لهذا الغرض.

خامساً: السيد محمد باقر الحكيم ورأيه في ذلك:

تحدث السيد الحكيم عن أبعاد كثيرة يمكن تحديدها لدراسة القصة في القرآن الكريم، من أهمها: "البعد الأدبي والتصوير، وكذلك البعد الذي يرتبط ببيان أغراض القصة في هذا الموضع أو ذاك، إضافة إلى الجانب التاريخي، أو السنن التي يمكن استنتاجها من القصة، أو المفاهيم الاجتماعية والفكرية والأخلاقية التي يمكن استنباطها منها"[١].

من هنا فإن هناك عدداً من المناهج التي يرى إمكانية دراسة القصة القرآنية من خلالها، وقد ذكر من هذه المناهج:

"١- المنهج (التقليدي) الذي سار عليه المفسرون باستعراض آيات القصة في القرآن الكريم وتفسيرها، وذكر الحوادث المرتبطة بها، مع بيان الآراء المتعددة فيها.

٢- المنهج (التحليلي) للمواضع التي وردت فيها القصة من ناحية الهدف العام والخاص، وأسباب التكرار والأسلوب.

---

(١) محمد باقر الحكيم، القصص القرآني، دار التعارف للمطبوعات، العراق، ط١، ١٩٩٩م، ص ٧٩.

٣- المـــنهج (النظري) الذي يحاول أن يستخلص النظرية العامة في القصة من خلال تحليل مفرداتها والجمع بينها في تصوير نظري متكامل.

٤- والمـــنهج (الاجـــتماعي) الذي يحاول من خلال دراسة القصة تصور الحركة التغييرية السياسية والاجتماعية التي يقوم بها.

٥- والمـــنهج (الـــتاريخي) الذي يحاول عرض الأحداث التي ذكرتها القصة مرتبة حسب تسلسلها الزمني وكوقائع تاريخية"(١).

وهو يرى إمكانية دراسة القصة الواحدة على أكثر من منهج، أي الجمع بين أكثر من منهج في دراسة القصة الواحدة.

والذي أراه أن (السيد الحكيم) لم يفد كثيراً من كلام من سبقه في هذا الجانب — إن كان قـــد اطلـــع عليه- على أن في كلامه تحديداً أدق في تصور هذه المناهج وارتباطها بدراسة القصة القرآنـــية، حيـــث كان تركيزه من خلال ذكر هذه المناهج على نوعية الدراسة المنهجية للقصة القرآنية والتي تنتظم فيما بعد جهود المؤلفين، بمعنى أن المؤلف الواحد قد يتناول دراسة قصة معينة مـــن خلال أكثر من منهج من هذه المناهج، فيكون التركيز حينها على المنهج الذي درست به القصة لا على منهج الكاتب نفسه.

ومـــع هذا فإن القارئ قد يلحظ أحياناً عدم الدقة في توضيح (السيد الحكيم) لطبيعة المنهج، فمثلاً عند ذكره للمنهج (التاريخي) يبين أنه الذي يحاول عرض الأحداث التي ذكرتها القصة مرتبة حسب تسلسلها الزمني وكوقائع تاريخية.

---

(١) محمد باقر الحكيم: القصص القرآني، ص ٧٩- ٨٠ .

مـــع أن هـــذا ليس هو تحديد مفهوم المنهج (التاريخي)؛ لأن الطريقة التي ذكرها تعد شكلاً منهجياً يسلكه صاحب المنهج (التقليدي) أو (التحليلي) كما يسلكه صاحب المنهج (الـــتاريخي)، والـــذي أراه أن المـــنهج (الـــتاريخي) يجـــب أن يحدد من خلال التصورات والاهتمامات التي تحكم جهد الكاتب، ومن خلال المعلومة التي يهتم بها صاحب هذا المنهج وأسلوبه في وتدوينها...

سادساً: الدكتور أحمد نوفل ورأيه في ذلك:

أعـــد الدكـــتور أحمد نوفل دراسةً مستقلة تحت عنوان (مناهج التأليف في القصص القـــرآني) وهـــي الدراسة الأولى التي أفردت هذا العنوان بتأليف مستقل، والكتاب لا يزال مصـــفوفاً، وبين يدي منه الجزء الأول، وقد علمت أن الدكتور قد أعد جزء آخر تتمة لهذا الجزء.

والجـــزء الأول يقع في ما يقرب من مئتين وخمسين صفحة (٢٥٠) من القطع الكبير، تحدث عن المناهج مفهومها وأنواعها، في ثماني عشرة صفحة هي مقدمات الكتاب، والباقي كان في استعراض بعض كتب القصص القرآني بلغت خمسة عشر.

وسوف أستعرض هنا جهد الدكتور نوفل في كتابه مبيناً منهجه وماله وما عليه، فإن هذا الكتاب ألصق ما يكون بهذه الدراسة التي أقوم بها.

بعـــد تعريف الدكتور نوفل لكلمة (المنهج) في اللغة والاصطلاح، وحديثه عن أهميته، عـــرض لبيان مناهج التأليف في القصص القرآني كما يراها هو، ثم تكلم عن رأي الدكتور

الـــتهامي نقـــرة وعن رأي الشيخ شلتوت ورأي الأستاذ الدكتور فضل عباس في بيان هذه المـــناهج فنقل عنهم آراءهم وأقوالهم[1]. ويهمنا هنا بيان رأيه في هذه المناهج ودراسته التي تناول فيها بعض كتب قصص القرآن.

أما المناهج التي يراها فهي:

١- المـــنهج الســـردي: ومعنى السرد: "الحكاية أو القص المتتابع، أي الاعتماد على رواية القصة بشكل مسترسل متتابع من البدء إلى المنتهى"[2].

- وهـــو يرى أن هذا المنهج له نصيب الأسد من حيث العدد، ومن حيث القدم والانفراد بالساحة قروناً طويلة.

- ويرى أن الكتّاب وفق هذا المنهج قد اضطروا إلى اللجوء إلى الإسرائيليات لأمرين اثنين:

الأول: ملء ما توهموه فراغاً ونقصاً في المشاهد القرآنية.

الثاني: ربط الحلقات تقديماً وتأخيراً.

ثم يقول: "وإن تسمية هذه الطريق بالمنهج فيه قدر كبير من (التجوز) والتسمح، فليس هـــذا بمنهج فيه علمية، ولا يحقق نتائج متوخاة، ولا يتبع طرائق البحث السوية، فما هو إلا نقـــول عمن لا تصح رواياتهم ولا تتصل أسانيدهم، ولا تستقيم أخبارهم مع عقل ولا نقل ولا واقع ولا تاريخ"[3].

---

(١) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، ج١، د. ، مصفوف، ٢٠٠٢ ولم يطبع بعد.

(٢) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، ص ٤ .

(٣) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، ص ٥ .

والذي أراه أن الدكتور قد بالغ كثيراً في تحميل هذا المنهج وتحميل أصحابه المسؤولية عن دخول الإسرائيليات، وكأنه قد حصر مفهوم هذا المنهج في رواية الإسرائيليات والاستزادة منها، وهذا – في اعتقادي- خطأ علمي لا ينبغي إغفاله، كما أنني أعترض أن يكون ترتيب أحداث القصة منذ البدء إلى الختام أمراً خاصاً بالمنهج السردي، لأننا وجدنا هذا الأمر طريقة سلكها كل من كتب في القصص على اختلاف مناهجهم، فهو ليس أمراً خاصاً بالسردي دون غيره.

- ويبين الدكتور نوفل أن هذا المنهج قد بدأ منذ بدء التأليف في التفسير والقصة القرآنية، وأن القصص القرآني قد ابتدأ بهذا المنهج، وظل هو المسيطر على ساحة التأليف فيه حتى هذا اليوم[1]، ويؤكد على أن هذا المنهج ليس هو الأليق بالقصة القرآنية.
- ثم ذكر الدكتور جملة من الكتب يرى أنها تمثل هذا المنهج، وأنها (معتمدة على الإسرائيليات)، من ذلك (عرائس المجالس: للثعلبي) و(قصص القرآن: لمحمد جاد المولى ورفقائه) ... الخ، والملاحظ على المؤلفات التي ذكرها الدكتور نوفل أنها لا تنتظم جميعها تحت هذا المنهج، بل قد تتعدد مناهجها، وقد يكون بعضها ليس وفق المنهج السردي.

فمثلاً ذكر الدكتور نوفل أن كتاب الدكتور محمد وصفي: الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل) يدخل في المنهج السردي، وفي اعتقادي أنه لا يدخل تحت هذا المنهج، فمن يقرأ الكتاب يدرك أن صاحبه قصد فيه إلى تجلية عقيدة كل نبي وعناصرها التي دعا قومه إليها، وهو

---

(١) هذا تعميم فيه مبالغة وتجنٍ على بعض الجهود المعاصرة القيمة.

وإن كان يورد بعض الأخبار والتحقيقات التاريخية هنا وهناك إلا أنها لا تأخذ مساحة أبداً لتشكل منهجاً سردياً.

كمـــا يُلاحظ أيضاً أن الدكتور نوفل قد عدّ من الأمثلة والشواهد على هذا المنهج "مكتبة القصة القرآنية كلها إلا استثناءات طفيفة هنا وهناك"(١)، وهذا فيه كثير من التعميم والمبالغة.

٢- المنهج التحليلي:

ويقصد به الدكتور كما يقول هو: "المنهج الذي يتعاطى مع النص القرآني المتعلق بالقصص، ثم لا ينشغل بالروايات، التي هي من خارج النص، وإنما هي محض إسرائيليات، بل يجعل همه هو النص كلماته وحروفه وترتيبه ومراميه ودلالاته وإشاراته وما يستنتج منه من دروس وعبر"(٢).

ويقسم الدكتور هذا المنهج إلى قسمين أو شعبتين – كما يقول:-

- قسم ينشغل بالدراسات المتعلقة بالقصة القرآنية: أغراضها وخصائصها وعناصرها وما إلى ذلـــك مما يتعلق بها، ومن الأمثلة عليه (التصوير الفني: لسيد قطب) و(سيكولوجية القصة في القرآن: د. التهامي نقرة)، ويستثنى كتاب (الفن القصصي في القرآن: للدكتور محمد خلف الله) بدعوى أنه دَرَسَ ما ظاهره القصة القرآنية، وليس في الحقيقة كذلك.
- قسم يتعاطى مع النص ألفاظه وحروفه وتراكيبه وما يتضمن من دلالات، ولعل خير من مـــثل هذا المنهج – كما يراه الدكتور نوفل- كتاب (الدكتور حسن باجوده: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف) و (نظرات تحليلية في القصة القرآنية: لمحمد المجذوب).

---

(١) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، ص ٦.

(٢) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، ص ٦.

كمـــا ويوضح الدكتور "أن (المنهج التحليلي) عموماً ليس شيئاً واحداً، أو يتم وفق مـــنظور واحد، وإنما ينصبغ توجه صاحب المنهج بتخصص الدارس"[1].فقد ينصبغ باللون اللغـــوي والبـــياني، أو بالتحليل العقلي والتاريخي والفكري والفلسفي، أو يمكن أن تغلب الدراســـات الاقتصادية والإدارية على التحليل، أو قد تغلب الناحية الجغرافية والمكانية على وجهة التحليل، أو قد تغلب الناحية التاريخية كذلك...

وهذا التفصيل أو التوضيح جيد ومقبول لولا أنه لا يزال يحمل عموماً واضحاً، والأمر يحتاج إلى تفصيل وبيان أكثر، فإن هناك مناهج أخرى لها شخصيتها الواضحة ومعالمها البينة تحـــتل مكانها في المؤلفات التي كتبت في القصص القرآني، ولا يمكن أن نجعلها جميعها تحت لـــواء التحليلي، فإن هذا يفقدها، بل ويفقد المنهج التحليلي ... أن يكون لكل منها معالمه وحدوده، وهناك مناهج تفصيلية لا يمكن تجاهلها مثل الموضوعي والمقارن... وسيأتي تفصيل هذه المناهج إن شاء الله تعالى.

٣- منهج السرد تحليلي:

ولا يذكر له الدكتور حدوداً واضحة ويكتفي بالقول: "فهو آخذ من كلا المنهجين، مســـتمد من الطريقتين"[2]، ومن المؤلفات التي يرى أنها تمثل هذا المنهج حق التمثيل: كتاب (مؤتمـــر تفســـير ســـورة يوسف: للعلامة الشيخ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي) وكتاب (قصص الأنبياء: للشيخ عبد الوهاب النجار).

---

(١) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، ص ٧.

(٢) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، ص ٨.

كما ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن ثمّ فرقاً بين الاختصار (التلخيص) وبين الدراسة النقدية الكاشفة، وقد قصد الدكتور نوفل من دراسته تلك إراحة القارئ من عبء القراءة الطويلة حيث يقول: "فرأيت أن أقوم بدراسة للمكتبة القصصية القرآنية على الجملة، وأُعرف بها كتاباً كتاباً، يجمع بين التعريف بالكتاب عن طريق تلخيصه وإيجازه للقارئ فكأنما قد قرأه، وبيان منهج الكاتب في تأليف كتابه، وأبين كذلك رأيي فيما أقرأ"[1].

وقد جاء استعراضه حتى الآن لخمسة عشر كتاباً في مئتين وخمسين (٢٥٠) صفحة تقريباً، فكيف يكون الأمر إذا تم استعراض جميع الكتب؟

وختاماً لهذا المطلب لا بد من ذكر بعض الملحوظات التي تعطينا تصوراً عن القيمة لهذه الجهود التي أسهمت في رسم الخطوط الأولى لهذه الدراسة المنهجية للتأليف في القصص القرآني.

فإن هذه الجهود تشكل البدايات ... وغالباً ما تكون بدايات كل شيء – وبخاصة في الدراسات العلمية والفكرية– غالباً ما تكون قضاياها غير متبلورة وغير كاملة، بل تجدها في غالب الأحيان متداخلة غير محددة.

وقد وجدنا – من خلال ما تقدم معنا من استعراض هذه الجهود السابقة– أنه لم يكن هناك قدر كبير أو واضح من الاتفاق على مقومات هذه الدراسة المنهجية، فبعضهم سماها

---

(١) أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، المقدمة ، ص أ.

(مـــناهج الناس في فهم القصص القرآني) فقد جعلها عامة عند (الناس) كما جعلها أيضاً في (فهم) القصص وليس الكتابة فيها أو التأليف.

كمـــا أن آخـــر أطلق عليها (طرق) مع أن مصطلح (منهج) كان حاضراً عنده وقد استعمله وأشار إليه...

وقـــد تـــلمس أيضاً وأنت تستعرض هذه الجهود شيئاً من الاختلاف في تحديد تصور واضح حتى للقضية الواحدة، فقد حصل أن ذُكر المنهج الواحد عند أكثر من كاتب وكان كل واحد يقصد به شيئاً غير الآخر، وذلك كما وجدناه في تحديد السيد محمد باقر الحكيم والدكتور أحمد نوفل لمعنى (المنهج التحليلي).

مـــن هـــنا كـــان لابد من الإفادة من كل ما تقدم، مع الشعور بحاجة هذا الموضوع للدراســـة الدقيقة المحددة للمشاركة في تقديم خدمة جليلة لكتاب الله تعالى ولدراسة قصص القـــرآن الكـــريم، وهو ما سنعرض له فيما هو قادم مبتدئين بالحديث عن منهج القرآن في عرض أحداث القصة، ثم اتجاهات المؤلفين في التأليف بالقصص.

المبحث الثاني

قضايا منهجية في دراسة القصص القرآني

المطلب الأول

منهج القرآن في عرض القصة

المطلب الثاني

اتجاهات دراسة القصة القرآنية

المطلب الأول: منهج القرآن في عرض القصة

لابد من الحديث عن منهج القرآن في عرض القصة، في إطار توضيح بعض القضايا المنهجية التي تتعلق بدراسة القصة القرآنية، وبخاصة أن دراستنا في الأساس موضوعها المناهج.

والقـــرآن الكريم لحمة واحدة في غايته وأهدافه وتحقيق هدايته وإرشاده ، وهو كذلك بناء وحده في خصائص التعبير والأسلوب المعجز.

وقد تعددت وتباينت طريقة القرآن في تناول موضوعاته تبعاً لتعدد سوره وتفرد كل منها بخصائص ذاتية انفردت بها.

وفيما يخص القصص فإن القرآن الكريم لم يلتزم طريقاً واحداً في ذكرها، بل جاءت موزعة على سوره، متباينة في طريقة عرضها، وفق ترتيب منهجي حكيم.

هدفنا هنا أن نبين هذا التوزيع وهذا العرض المنهجي، وأن نتلمس شيئاً من حكمته.

ونحن نعلم أن القصة في القرآن "تمتزج بموضوعاته امتزاجاً عضوياً لا يدع مجالاً للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بل إن هذه القصة تجيء أبداً في معرض الاستشهاد على الأمر الـــذي تعـــرض له السورة، في العقيدة أو في التشريع، أو غير ذلك، وتتعدد أساليب القرآن في الـــتخلص إلى القصة والخروج منها، وطريقة عرضها في ثنايا الموضوع، غير أن القصص جميعه لا يخرج عن الغاية المرسومة، وتلك هي الخصيصة الكبرى البارزة فيه: التناسب وغايات التنْزيل"[1].

---

(١) كاظم الظواهري: بدائع الاضمار القصص في القرآن، دون دار للنشر أو تاريخ للطبع، ص٢٧.
وقوله: (التناسب وغايات التزيل) هي فحوى عبارة سيد قطب: خضوع القصة للعرض الديني.

وأهم القضايا التي سنعرض لها في هذا المطلب هي:-

أولاً: منهج القرآن في ترتيب القصص في السور.

ثانياً: منهج القرآن في مرات إيراد القصة .

ثالثاً: منهج القرآن في مراعاة حجم القصة

رابعاً: منهج القرآن في طريقة عرض القصة.

أولاً: منهج القرآن في ترتيب القصص في السور:

نحن نعلم أن مجموع سورة القرآن الكريم أربع عشرة سورة ومائة، وأن مجموع السور التي ورد فـيها القصـص بلغ أربعاً وخمسين سورة. هذا من حيث العدد، أما من حيث الحجم فإن القصص القرآني قد احتل مساحة الربع من القرآن الكريم تقريباً، أي ما يزيد على ١٥٠٠ آية.

هذا الحجم وهذا العدد لهذه السور له ترتيب خاص متعلق بالمكي أو المدني، ومتعلق بما ذكر فيها أكثر من قصة أو قصة واحدة، ومتعلق بما ذكر فيها بإيجاز أو بتفصيل... ومتعلق بترتيب هذه القصص في السورة الواحدة تقديماً أو تأخيراً ... إلى غير ذلك كما سنعرض له هنا.

يقول محمد قطب: "والملاحظة الجوهرية على القصة القرآنية أنها جاءت متوزعة على سور القـرآن، فلم تأت قصة -غالباً- وقد اكتملت منذ البدء حتى المنتهى فيما عدا قصة يوسف عليه السلام[1]، وهذا التوزع لحلقات القصة مرتبط بإبراز الغرض الديني، وهو في نفس الوقت متناسق تناسقاً تاماً ومبدعاً مع الموقف السياقي الذي وردت فيه الحلقة المسرودة من القصة المحكية"[2].

---

(١) هذا إذا اقتصرنا على قصص الأنبياء، واستثنينا القصص القصيرة التي لم ترد إلا مرة واحدة، كقصة ابني آدم، وأصحاب الجنتين، وأصحاب الأخدود ... الخ.

(٢) محمد قطب عبد العال: القصة في القرآن.

- **توزيع القصص القرآني في السور المكية والمدنية:-**

لقد كان للقرآن الكريم سمته الخاصة في نزوله منسجماً على الأحداث الوقائع وفق الحكمة الإلهية في تفريق هذه الآيات وتوزيعها.

وقـــد كـــان للقصص القرآني دوره البارز في مواجهة أحداث الحياة حين نزول القرآن الكريم، إسهاماً في تربية الفرد المسلم والجماعة المسلمة حسب نماذج بشرية تعددت حالاتها واختلفت أحوالها.

يقـــول سيد قطب – رحمه الله– "وهكذا نجد القصص في القرآن يواجه مقتضيات الحركة والمعـــركة مع الجاهلية في مراحلها المختلفة مواجهة حية فاعلة، شأنه شأن بقية السور التي تجيء فيها، ونجده في الوقت ذاته متناسقاً مع سياق السورة وجوهرها وموضوعها، متوافياً مع أهدافها، مصدقاً في عالم الواقع لما تقرره من توجيهات وأحكام وأبحاث تقريرية[١]".

ويقـــول "وقد كان القرآن – ولا يزال– يربي المؤمنين بهذا النموذج ... أو ذاك ... وفق الحـــالات والملابسات، ويعد نفوس المؤمنين لهذا وذاك على السواء، لتطمئن على الحالتين وتتوقع الأمرين، وتكل كل شيء لقدر الله يجريه كما يشاء"[٢].

هـــذا وقد احتلت القصة القرآنية مكانها في العهد المكي والعهد المدني على حدٍّ سواء، مع تفرد واختصاص كل منهما عن الآخر.

وإذا نظرنا في العهد المكي نجد أن مساحة القصة فيه أوسع منها في العهد المدني، وعلى وجه التحديد أقول:

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ١٨٤٣/٤.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٩٠٤/٦.

١- السور المكية أوسع استعمالاً للقصص منها في السور المدنية، كما وتمتاز القصص فيه بالطول مقارنـــة مع القصص في السور المدنية، ونجد أيضاً أن أكثر ما جاء في السور المكية هو من القصـــص الـــذي ذكر أكثر من مرة، في حين أن أغلب قصص السور المدنية من القصص القصيرة التي لم تذكر إلا مرة واحدة إذا استثنينا قصة أبينا آدم عليه السلام، وحديث سورة البقرة عن بني إسرائيل، وخبر يحيى وعيسى عليهما السلام في سورة آل عمران.

٢- السمة الغالبة على القصص في العهد المكي هي البسط والتفصيل، حيث أخذ القرآن الكريم بإبـــراز مجالات الصراع بين الرسل والأنبياء وبين أقوامهم، وانصب فيه اهتمام القرآن على بيان أحوال هذه الأمم وجدالها أنبيائهم، وبيان مصائر هذه الأمم.

بينما لم يكن الأمر كذلك في العهد المدني، حيث أخذ القرآن بالإيجاز في ذكر ما تناوله من هـــذه القصـــص، فما ذكر في السور المدنية كان جلّه من القصص القصيرة التي لم تذكر إلا مرة واحـــدة، وغيرها من القصص التي سبق ذكرها في المكي، فقد كان من المناسب أن ترد في المدني هـــذه القصـــص مختصرة، حيث إن معظم أحداثها قد سبق ونقلته لنا السور المكية، فكان يكفي لتحقيق العبرة منه أن ترد الآيات مركزة على موضع الشاهد في ذلك.

غير أننا نجد بعض الكاتبين ذهب إلى غير هذه الوجه، فالكاتب محمد قطب عبدالعال يرى أن السمة الغالبة للقصص في العهد المكي هي الإيجاز، وفي العهد المدني البسط والتفصيل.

يقول: "ولعل الإيجاز هو السمة المميزة لما نزل من القصص القرآني في بداية الدعوة، ذلك أن الله ســبحانه جعــل لأهل مكة قصصاً مميزة تتلاءم مع البيئة، فالبيئة وثنية، والقوم يعبدون الأصنام، وطال عهدهم بها ومصاحبتهم لها... وامتازت هذه القصص بالحدث الموجز، واللفظ الموقع، والرنين الصوتي،

والـنقل السـريع حتى يحدث تأثيره في النفوس... وساق مثالاً على ذلك بداية سورة الفجر، ثم يقول: وحيـث تطورت الدعوة واشتجر الصراع قوة وعنفاً... ودخل الناس في دين الله، وانتقلت الدعوة إلى مكـان آخر بعد الهجرة... أبرزت القصة القرآنية مجالات الصراع كاملة بين الرسل والأنبياء وبين أممهم ... وبـرز الحوار واضحاً جلياً، والقصة تسرد في تمهل وأناة، وتصور الصراع، وتتضمن الجدل، وتعبر عن الشخصية، وتميل إلى البسط والتفصيل..."(١).

والعجيـب أنه ساق مثالاً ليؤكد فيه ما يدعي حول خصائص المدني من قصة موسى عليه السـلام في مشهد ثباته أمام فرعون، وذلك من سورة الشعراء، الآيات (١٠-٦٨)، وكأنه غاب عن باله أن هذه السورة مكية، وأن ما فيها من خصائص وسمات تخص القصة القرآنية، إنما تتعلق بالعهد المكي لا المدني.

ولعله فيما ذكر أخذ إشارة الدكتور التهامي نقره الذي قال: "وتجدر الإشارة إلى أن ما نزل مـن القصـص القرآني في أوائل الدعوة كان جله يمتاز بعرض أحداث القصة في منتهى الإيجاز، بالفواصل القصيرة، والجرس اللفظي، والاقتصار على ذكر من نزل عليهم العذاب، دون التعرض غالباً إلى أسماء أنبيائهم، وما دار بينهم من حوار..."(٢).

إلا أن كـلام الدكـتور نقـره كان منصبّاً على بداية العهد المكي، وهي ملاحظة دقيقة وصحيحة منسجمة مع خصائص وأسلوب القرآن المكي في بداياته.

والـذي يؤكـد أن الكاتب محمد قطب لم يتنبه لهذه الحقيقة، أن الدكتور نقرة ذكر بعد كلامـه الذي نقلناه قبل قليل ما نصه: "وحيث تتطور الدعوة، ويدخل الناس في دين الله، ويحتد

---

(١) محمد قطب عبد العال: القصة في القرآن، ص ٤٠٧-٤١٠.

(٢) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٩١.

الخصـــام ويشتد الصراع، ويبرز عنصر الحوار في موضوعات الدعوة... فتظهر أسماء الرسل وهم يحـــاورون أقوامهم، وتمضي القصة في أناة ومهل تصور الحياة، وتعبر عن الشخصية، فتكون أكثر تبسطاً وتفصيلاً"[1].

وعلى الرغم من أن الكاتب محمد قطب قد نقل كلام الدكتور نقره، بل ذكر المثال نفسه الـــذي ذكره الدكتور نقره من قصة الشعراء، إلا أنه لم يتنبه لهذا الأمر، بل زاد في كلامه أن هذا سمة فارقة بين المكي والمدني، في الوقت الذي لم نجد في كلام الدكتور نقرة إشارة إلى أن البسط والتفصيل من خصائص المدني، بل كلامه على عكس ذلك.

بعد هذا الذي نقلناه نقول: إن الآيات القرآنية شاهد على خطأ ما ذهب إليه بل إن المثال الذي ساقه من قصة موسى تؤكد عكس ما قال.

يقول الكاتب كاظم الظواهري: "وقد كانت القصة في القرآن المكي أطول منها في القرآن المدني، وأكثر احتفالاً بالحوادث، وأقرب إلى الشكل الفني للقصة التي تبدأ بمقدمة وتعرُّف وعقدة وحـــل يـــؤدي إلى نجاة عناصر الخير، وهلاك عناصر الشر المناوئة أو اندحارها، ثم بدأت القصة تـــتقلص في أخـــريات العهد المكي؛ لأن معظم حوادثها قد ذكرت وباتت معروفة، فيسهل على الســـامع استخلاص المغزى وفحوى القصة من إشارة عابرة، أو أن يؤدي الغرض بعرض مواطن الشـــاهد في القصة منفصلاً عن سائرها، واستمرار هذا في العهد المدني، فكانت سمة الانتقاء فيه أكثر منها في سابقه"[2].

---

(١) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٩١.

(٢) كاظم الظواهري: بدائع الاضمار، ص ٤٣.

٣- الغالـــب على موضوعات القصص في العهد المكي التركيز على موضوع العقيدة في جوانب إثبات صدق الرسل، وحقيقة البعث، ووجوب التوحيد، كما ركزت على جانب الدعوة إلى الله، وبــيان تكذيـــب الأقوام السابقة لرسلهم وأنبيائهم، في الوقت الذي بينت فيه تأييد الله تعالى لرسله وأتباعهم، ومدى صبرهم على تحمل أعباء دينهم وإيمانهم.

بيـــنما القصص في العهد المدني أخذت تؤكد ما يحقق للأمة المسلمة الوعي الكامل في تحمل أعباء الخلافة، والتبصر بحقيقة بني إسرائيل الذين نكصوا على أعقابهم، وضيعوا هذه الأمانة.

"ويخـــتلف الغرض من تناول القصة، وطريقة توظيفها لتحقيق الغاية في القرآن المكي عنه في المـــدني، حيث غلب على السور المكية تناول أمور العقيدة، فكان قصص القرآن فيها منصباً على الأمم التي كذبت أنبياءها ورسلها في شأن التوحيد وعبادة الله وحده وترك عبادة شركاء أو أولياء من دونه، ويتجلى هذا بصورة واضحة في سورة الأنعام وسورة الأعراف وفي سورة يونس وهود ويوســـف وإبراهيم والحجر والكهف ومريم وطه والأنبياء والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص ويـــس والصافات وص وغافر وفُصِّلت والزخرف والدخان والأحقاف والذاريات والقمر والقلم ونوح والنازعات.

أمـــا الســـور المدنية فيغلب على الخبر والقصة فيها القصر، والتناسب الموضوعي مع أهداف التشـــريع وأمـــوره التي غلبت على القرآن المدني، مع استمرار الدعوة إلى التوحيد وسائر أمور العقيدة بالإضافة إلى ذلك، ولكن بصورة أقل مما كان عليه الأمر في القرآن المكي في عهده الأول، كما بيناه، بخلاف القرآن المكي المتأخر، فقد كان مرحلة وسطاً بين هذا وذاك.

والخبر في السور المدنية في الغالب موظف لبيان عناد الأمم السابقة ولاسيما بني إسرائيل لأنبيائها وعصيانهم لهم، واختلافهم عليهم وعدم المسارعة إلى تنفيذ ما يؤمرون به من أمور الشريعة، بالإضافة إلى أمور العقيدة حتى بعد إيمانهم، وأبرز مثال على هذا سورتا البقرة والمائدة المدنيتان"[1].

٤- استأثر القرآن المكي بذكر السور جميعها التي سُميت بأسماء الأنبياء ، إلا سورة "محمد" صلى الله عليه وسلم فقد ذكرت في المدني.

كذلك الحال بالنسبة لبقية السور التي سُميت بأسماء أشخاص فكلها مكية إلا سورة "آل عمران".

(١) كاظم الظواهري: بدائع الاضمار، ص ٣٣/٣٤.

- **ترتيب القصص القرآني في السور:-**

إن ترتيب السور القرآنية على النحو الذي هي عليه – كما نعلم أمر توقيفي- تكشف منه لكثير من العلماء والمفسرين إشارات لطيفة، وفوائد بديعة، ودلالات بينة على إعجاز القرآن وسمو نظمه وبديع ترتيبه، ولا يزال يتكشف.

وإن ترتيـــب موضوعات السورة وما فيها من أحكام وتشريعات وتوجيهات وتناسق ذلك كله لأمر عجيب، ترد عليه كل يوم عقول العلماء وقلوبهم فلا تشبع منه.

وإن قصـــص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة – شأنها شأن أي موضوع آخر من موضوعات القـــرآن، وموضوعات السور- لها ترتيب عجيب بديع، يبدأ من حيث السور التي اشتملت على القصـــص والسور التي لم تشتمل، ويتناول القصص التي ذكرت، والقصص التي لم تذكر في كل ســـورة مـــن هذه السور المشتملة على القصص، ويتناول ترتيب هذه القصص في كل سورة من حيث تقديم بعضها أو تأخيره[1].

---

(١) من الملاحظ أن القرآن الكريم لم يُعنَ كثيراً بالسرد التاريخي أو الترتيب الزمني في حديثه عن الأنبياء أو أقوامهم، ففـــي الوقت الذي يراعى فيه هذا الترتيب في بعض السور كما جاء في كل من السور التالية: (الأعراف، هود، المؤمنون، القمر) نجد أنه لم يراع ذلك في السور التالية: (الحجر) حيث يذكر أصحاب الحجر وهم قوم صالح بعد ذكـــر إبراهيم ولوط عليهم السلام، وفي (الشعراء) نجد الترتيب التالية: (موسى- إبراهيم- نوح- هود- صالح- لوط – شعيب).

وفي (النمل) يذكر حسب الترتيب التالي: (موسى – داود- سليمان – صالح – لوط). وفي (العنكبوت) يؤخر ذكر هود وصالح على ذكر إبراهيم ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

وفي (الصافات) يؤخر ذكر لوط على موسى وهارون وإلياس عليهم السلام.

انظـــر تفصيل ذلك في : القصص القرآني: بلبول، ص ٨٧-٨٩، ويمكن أن نضيف إلى السور التي ذكرت أقوام الأنبـــياء لكنها لم تذكرهم على الترتيب سورة (الحاقة) حيث قدمت ذكر "ثمود" قوم "صالح" على "عاد" قوم "هود" وذلك لأجل ملحظ بياني بديع، فقد فصّل القرآن في عذاب قوم "هود" عليه السلام، ومن منهج القرآن أنه يؤخر للتفصيل.

كمـــا ويتناول المشاهد المختارة من كل قصة في كل سور من هذه السور، ويتناول أيضاً مـــنهج الســـورة الواحدة في ترتيب قصصها، وقد تعددت وتنوعت ... إلى غير ذلك من هذه القضايا، انتهاءً بتناسب كل قصة مع سياقها الذي جاءت فيه.

إن تناول هذا الجانب في دراسة القصص القرآني – في ظني- أمر في غاية الأهمية، ينبغي أن تـــتوجه إلـــيه الجهـــود للبحث الدقيق فيه، وسوف تتكشف من خلاله كثير من القيم والمعاني والإشارات والدلالات البينة الواضحة في إعجاز نظم هذا القرآن الكريم.

ولما لم يكن هدفنا هنا البحث في هذا الجانب بشكل أساسي فسوف نشير إشارات سريعة لكنها واضحة وكافية في إعطاء تصور دقيق عن ترتيب القصص القرآني في السور القرآنية، وهدفنا البحث في الجانب المنهجي لهذا الترتيب ووصفه لا الوقوف مع دلالات ذلك والبحث في لطائفه، فهذا موضوع مستقل.

والناظر في ترتيب هذا القصص يظهر له[1]:

١- أن بعـــض القصص القرآني موزعٌ على القرآن مكيّه ومدنية، وإن كانت مساحته في العهد المكي أوسع منها في العهد المدني، كما سبق وأشرنا قبل.

٢- أن هـــناك سوراً قرآنية لم يذكر فيها شيء من القصص، كما أن هناك سوراً ذكرت فيها قصة واحدة، ولو أننا استقرأنا القرآن الكريم لوجدنا أن نصف السور المكية تقريباً لم تخل من ذكر هذا القصص، سواء أكان ذلك موجزاً أم مفصلاً. أما السور المدنية فإن بضع سور

---

(١) جلّ ما جاء تحت هذا العنوان أفدته من كلام شيخنا العلامة أ.د. فضل عباس في الفصل الخامس من كتابه: قصص القرآن الكريم، مع كثير من التصرف وقليل من الزيادات والتفصيلات

فقط هي التي ذكر فيها شيء من القصص بإيجاز، اللهم إلا إذا نظرنا إلى ما ذكر من أخبار بني إسرائيل في سورة البقرة.

٣- أنّ هذا القصص كان موزعاً توزيعاً موضوعياً على السور القرآنية، فسورة آل عمران مثلاً فُصِّل فيها نبؤهم، وسورة مريم فُصل فيها نبأ إبراهيم عليه السلام وبنيه، وذريته ومنهم مريم – بالطبع- وقصص الأنبياء العرب فصل أكثر ما فصل في السور المكية، هذا على سبيل الإجمال.

أما من حيث التفصيل فنقول:

إن السبع الطوال التي تبدأ بسورة البقرة وتنتهي بسورة براءة كانت أكثر سورة فيها نالت نصيباً من القصص سورة الأعراف؛ وذلك لأنها جاءت تعالج موضوع العقيدة من حيثُ تاريخُها البعيد، لذلك نجدها ابتدأت بقصة آدم عليه السلام، ثم ذكرت قصة نوح عليه السلام بعد فصول كثيرة من الآيات، وبعد قصة نوح عليه السلام مباشرة ذكرت قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وموسى عليه السلام مع فرعون ومع بني إسرائيل، ونلحظ أن القصص في سورة الأعراف عدا قصة آدم كانت جميعها حديثاً عن الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وما لقي هؤلاء من أولئك من شدة وعنت.

أما السورة المكية الثانية في السبع الطوال فهي سورة الأنعام، وهذه جاءت تتحدث عن العقيدة من حيث رد الاقتراحات التي اقترحها المشركون، وعلاج الشبهات التي أثاروها، وما يتصل بذلك من أدلة الوحدانية والرسالة والبعث، ومن حيث ما حرمه المشركون على أنفسهم دون دليل، ومن هنا لا نجد في هذه السورة سوى قصة إبراهيم عليه السلام؛ ولكنها ذكرت من حيث استدلاله عليه السلام على الإله الحق، وهو متسق تماماً مع موضوع السورة الكريمة.

قلت: وبقية السبع الطوال كلها سور مدنية، ويلاحظ فيها ما يلي:-

١- أن ســـورة الأنفال هي السورة الوحيدة من السبع الطوال التي لم يذكر فيها أي شيء من قصص الأنبياء والأمم السابقة.

٢- أن الحديـــث عن القصص في هذه السور المدنية – من السبع الطوال- قصير وقليل، وهذا يتناســـب تماماً مع ما قلناه سابقاً من أن أكثر حوادث القصص قد ذكرت وباتت معروفة بعـــد أن ذكـــرت في العهـــد المكي، فكان يكفي ذكر إشارات تؤدي الغرض المتسق مع موضوع السورة.

٣- أن موضـــوع أكثر القصص الوارد في هذه السور كان منصباً للحديث عن بني إسرائيل في مراحل متقدمة، وأحداث مختلفة.

٤- أن أول هذه السور هي سورة البقرة، ويظهر من خلال حديثها عن بني إسرائيل أنها أرادت تذكيرهـــم بالنعم التي منَّ الله عليهم بها و لم يشكروها، لذلك جاء الحديث عنهم هنا على شـــكل مقاطع وفقرات في التذكير بها، وقد كان أول ذكر لهم في هذه السورة تذكيرهم بهذه النعم (يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ) [البقرة: ٤٠] ، ثم جاء في وسط الحديث عن هذه النعم تذكير بها أيضاً، وذلك في قولـــه تعالى: (يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ) [البقرة: ٤٧] ، وفي خواتيم الحديث عن هذه النعم وقبل الانتقال للحديث عن إبراهيم عليه السلام جاء كذلك قوله تعالـــى: (يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ

عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ) [البقرة: ١٢٢]، كل هذا الحديث عن بني إسرائيل جاء في هــذه الســورة الــتي عنيت بتربية الأمة الجديدة أمة الإسلام على حمل لواء هذا الدين والدفاع عن عقيدته في الوقت الذي قصرت فيه أمة بني إسرائيل عن ذلك.

جــاءت هــذه الأحداث من حياة بني إسرائيل لتمتزج مع موضوع السورة وما فيها من أحكــام وتوجــيهات وتشريعات تخص المجتمع المسلم وتنظيم علاقاته الداخلية والخارجية أفراداً وجماعات.

ومــن خلال هذه الأحكام وهذه التشريعات تعرض السورة لأحداث ومقتطفات من حياة بني إسرائيل تتناسب وجو هذه الأحكام.

مــثلاً تعرض السورة لموضوع الجهاد والأمر بالقتال في قوله تعالى: (وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾) [البقرة: ٢٤٤] ، فتأتي قبله بحدث من حياة بني إسرائيل دعاهم فــيه نبيهم إلى القتال ففروا خشية الموت فأماتهم الله ثم أحياهم (۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ) [البقرة: ٢٤٣].

وتــأتي بعده – أي بعد الأمر بالقتال– بحدث آخر أيضاً من حياة بني إسرائيل كله حديث عن القتال، وذلك في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ

﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [الآيات ٢٤٦-٢٥١].

وهكذا يظهر التناسق في انسجام أحداث القصة مع موضوع السورة في السياق الذي ترد فيه هذه الأحداث.

وبعـــد سورة البقرة يأتي الحديث في سورة آل عمران في محاجة أهل الكتاب عموماً، وفي مواجهة شبهات النصارى، ما يتعلق منها بعيسى عليه السلام على وجه الخصوص، كل ذلك في سياق الدفاع عن عقيدة التوحيد وبيان الدين الحق، لذلك كان أول بيان فيها في تصدير القصص بيان وحدة هذا الدين وارتباط جميع الأنبياء بعقيدة واحدة ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

وهكذا في بقية السور في هذا القسم تأتي الأحداث هنا وهناك في انسجام وتناسق عجيبين مع موضوعات السورة، وأستطيع هنا أن أقرر أن بحث التناسب بين أحداث القصة وموضوعات السورة والسياق في السور المدنية يحتاج إلى عناية أكثر، وإلى جهد وتأمل وتدبر أكبر، على غير ما هو الحال في السور المكية، حيث غالباً ما تكون أوجه التناسب واضحة جلية.

يقـــول شيخنا حفظه الله: فإذا تجاوزنا السبع الطوال وجدنا أن سورتي يونس وهود تحدثنا عن بعض القصص، وإن كان نصيب الثانية أكثر من نصيب الأولى، فسورة يونس حدثتنا حديثاً موجزاً عن نوح عليه السلام، وقد بدأت به السورة، ثم حديثاً فيه بعض التفصيل عن قصة موسى علـــيه الســـلام مع فرعون، لكن سورة هود بدأت بالحديث عن قصة نوح عليه السلام مفصلة

تفصيلاً تاماً، ثم جرت على هذا الترتيب التاريخي فذكرت قصة هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام وأشارت إشارة موجزة لقصة موسى عليه السلام، ولكن قصة إبراهيم عليه السلام في سورة هود لم تكن عما جرى بينه وبين قومه، وإنما عما كان بينه وبين الرسل من الملائكة، وكأنما ذُكرت مقدمة لقصة لوط التي فصلت الحديث عنه مع قومه بعض التفصيل، ثم جاءت سورة يوسف وهي كما نعلم خاصة به عليه السلام، لكن سورة الرعد خلت من ذكر هذا القصص القرآني.

وتأتي سورة إبراهيم، وفيها إشارة موجزة لقصة موسى، وشيء من نبأ إبراهيم عليهم السلام.

لقد حدثنا القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام، بأنه أمّة وأنه أب الأنبياء؛ لأن أكثر الأنبياء الذين أرسلهم الله من بعده من ذريته، إن لم يكونوا جميعاً وما نعرف ممن قص الله علينا نبأهم بعده عليه السلام، أقول: ما نعرف واحداً ليس من ذريته ابتداءً بإسماعيل وإسحاق، وختماً بسيد البشر سيدنا محمد ﷺ.

وسورة إبراهيم السورة التي سُميت باسمه أرادها الله أن تكون أمة في السور، كذلك فلها من اسمها نصيب، من أجل ذلك وجدنا هذه المحاضرة والمحاورة التي تنسب إلى الرسل، وما كان بينهم وبين قومهم، و لم نجد مثلها في غير هذه السورة الكريمة، إنهم تجمعوا ولكن في هذه السورة كما يتجمع الأبناء في بيت الأب – وهذا يعلم الله- حريٌّ بمثله أن يدرس وأن توجه إليه العناية، إنه لمن عجيب أمر هذا القرآن وعلو شأنه !!.

إن الإشارة في قصة موسى عليه السلام في سورة إبراهيم كانت لبني إسرائيل دون فرعون، وجميل أن يذكر في قصة إبراهيم عليه السلام بنو إسرائيل الذين ينتسبون إليه دون فرعون وليس هذا فحسب، بل إنّ ما يدعو للإعجاب حقاً ويطرب له كل فؤاد أن الرسل الذين جاءوا بعد إبراهيم هم أبناؤه وذريته، ولنستمع إلى ما تقصه علينا سورة إبراهيم عليه السلام:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُۥ

وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

[إبراهيم: ٩-١٧].

تلك محاورة بين رسل الله أهل الحق، وبين أهل الباطل.

وهذه المحاورة بين الرسل الكرام يختار لها المكان اللائق، بيت الأب، بيت الشيخ، بيت الأب العظـيم، سورة إبراهيم عليه السلام، وهذا يدل على أن الأنبياء جميعاً أمة واحدة مهما اختلفت أزمنتهم وأمكنتهم، وأن أهل الباطل كذلك زمرة واحدة.

أمـا سـورة الحجر، فبعد أن ذكرت قصة آدم عليه السلام انتقلت بعد فاصلٍ قصيرٍ إلى الحديث عن إبراهيم عليه السلام، لكن لا من حيثُ ما كان بينه وبين قومه، وإنما من حيث مجيء الرسل وتبشيرهم له، ثم تحدثت عن قصة لوط عليه السلام، وأشارت إشارتين موجزتين خاطفتين إلى أصحاب الحجر الذين سُميت السورة باسمهم وأصحاب الأيكة، ولكن بإيجاز كما قلت.

سـورة الحجر إذن أشارت إلى هذا القصص بهذه الطريقة فلم تحدثنا عما كان بين الأنبياء وبـين أقوامهـم، اللهم إلا ما كان بين لوط عليه السلام وبين قومه. وإذا جاز لنا أن نقسم ما حدثـت عنه السورة تقسيماً جغرافياً فإن الذين حدثتنا عنهم سورة الحجر كانوا جميعاً في منطقة واحدة، وأمكنة متقاربة، فقرى قوم لوط وثمود ومدين في شمال الجزيرة. وكأن الحديث عنها كان تذكرة لأهل مكة؛ لأنهم يمرون بطريقهم على هؤلاء الأقوام، وعلى هذه الأمكنة.

أمـا سورة النحل، وهي سورة النعم، فلم نر فيها شيئاً من هذا القصص، اللهم إلا بعض الآيات ثناءً على إبراهيم عليه السلام.

وتأتي سورة الإسراء، ولا نقرأ فيها إلا لمحة عن قصة آدم، وهذا يتلاءم مع موضوع السورة، ثم إشارة متلائمة أيضاً مع موضوع السورة إلى الآية التي أعطيتها ثمود، وإشارة كذلك إلى الآيات التي أعطيها موسى عليه السلام لفرعون. سورة الإسراء إذن: هي سورة الآيات فقط، وما ذكر فيها من إشارات لبعض القصص إنما ذكر من خلال الآيات التي تتسق مع آية الإسراء.

ثم تأتي سورة الكهف، وقد انفردت هذه السورة بقصص ثلاث لم تذكر في غيرها، وهي قصة أهل الكهف، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين، والذي يبدو لنا – والله أعلم بما يتزل- أن ذلك إيحاء للمسلمين ليدركوا العناصر الرئيسة التي لا بد أن تتوافر في شخصيتهم: فقصة أهل الكهف تمثل عنصر العبادة والعقيدة، ولما كان أكثر ما يزلزل هذه العقيدة في النفوس، ويفسد هذه العبادة أمران اثنان هما: طغيان المال، وإغواء الشيطان ذُكرا بعد هذه القصة مباشرة حتى يستطيع المسلمون أن يحصنوا عقائدهم ويحافظوا على عباداتهم، فذكرت قضية المال وما يسببه من طغيان في قوله سبحانه: (۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ)[الكهف: ٣٢]. وذكر الأمر الآخر وهو احتيال الشيطان للناس في قوله تعالى: (وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ) [الكهف: ٥٠].

وبعد ذلك ذكرت القصة الثانية، وهي قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع العبد الصالح، وهذه القصة إنما تبين عنصراً آخر لابد أن يتوافر للمسلم، وهو عنصر العلم، ذلك أن العبادة بلا علم لا يأمن صاحبها على نفسه من أن يضل ويطغى، وتزل قدم بعد ثبوتها.

أما القصة الثالثة فهي قصة ذي القرنين، وهي تمثل العنصر الثالث في حياة المسلم، وهو عنصر الجهاد.

وهكـــذا رأينا هذه السورة الكريمة تحدثنا عن القضايا الأساسية التي لا بد للمسلمين مـــنها: العقيدة والعلم والجهاد، ولذلك يُسنُّ قراءتها في يوم الجمعة، وهو أول أيام الأسبوع عند المسلمين.

أما سورة مريم، فلقد بدأت الحديث عن زكريا عليه السلام وبشارته بيحيى عليه السلام، ثم جاءت قصة مريم، وهذا على عكس ما جاء في سورة آل عمران حيث بدأ الحديث عن مريم؛ لأن السورة الكريمة سُميت باسمهم، وبعد الحديث عن زكريا وابنه عليها السلام ومريم وابنها عليهما السـلام حدثتنا السورة عن إبراهيم وأبيه وبنيه وموسى وأخيه عليهم السلام، ولكن لا من حيثُ مـا كـان بينهم وبين أقوامهم، وإنما هي إشارات ثناء على أنبياء الله عليهم السلام، ونلحظ أن الذين حدثتنا السورة عنهم كانوا من ذرية إبراهيم عليه السلام، اللهم إلا ما جاء في إشارة موجزة عن إدريس عليه السلام إذا لم نقل إنه إلياس عليه السلام[1].

وتأتي سورة طه، ويكون الحديث فيها عن موسى عليه السلام، وعن أكثر من جانب في حـياته: رسـالته وإرساله إلى فرعون وخبره مع بني إسرائيل. ثم وبعد فاصل من الآيات الكريمة تحدثنا عن قصة آدم عليه السلام.

أما سورة الأنبياء، ولها من اسمها نصيب، فلقد كان الحديث فيها عن الأنبياء – عليهم السـلام- ثناءً منه وفضلاً... ولكن كان الحديث فيها موجزاً إيجازاً تاماً، بدأ الحديث فيها عـن موسـى – عليه السلام- بآيتين اثنتين، وهكذا كان الحديث عن لوط ونوح وداود

---

(١) ورد أن إلياس هو إدريس عليه السلام، وذلك كما ذكر القرطبي عن ابن مسعود رضي الله عنه في مصحفه "وإن إلياس. بدلاً من يونس" في قوله تعالى: "وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ"[الصافات:١٣٩]، انظر: تفسير القرطبي، ١١٥/١٥.

وســـليمان وأيوب عليهم السلام وغيرهم. كان كله موجزاً مركزاً، والرسول الوحيد الذي فصـــلت عنه السورة الكريمة سورة الأنبياء كان إبراهيم – عليه السلام-... وليس في ذلك شــــيء من العجب؛ فإبراهيم – عليه السلام- هو أبو الأنبياء، وحريٌ أن يفصل عن الأب وأن يُعطى من الحديث والإشارات ما لا يُعطى الأبناء.

وتأتي سورة الحج، فلا نقرأ فيها شيئاً من القصص، ولعل اسمها يشير إلى الحكمة في ذلك، أما ما ذكر عن إبراهيم عليه السلام فإنما كان حديثاً ذا صلة بالحج.

وتـــأتي ســـورة المؤمنون، والمؤمنون تكفيهم الإشارة فتحدثنا السورة بإيجاز يكفي المؤمنين للعبرة عن نوح وهود، ولمحة عن موسى وهارون عليهم السلام،وجعل ابن مريم عليه السلام وأمه آية. إن ذلك متلائم مع اسم السورة الكريمة وموضوعها.

أمـــا ســـورة النور، فنظن أن موضوعها الذي جاءت تتحدث عنه جعلها خالية من هذا القصص، وسورة النور هي السورة المدنية بين سور مكية.

أمـــا ســـورة الفـــرقان، فلقد جاءت علاجاً للشبهات التي أثارها المشركون حول الرسالة والرســـول، ومـــا ذكر فيها من إشارة عن السابقين لم يكن عما جرى بين الأنبياء وأقوامهم من حوار وجدال، وإنما كان بياناً لما حل بأولئك بعبارات قصيرة موجزة.

وتأتي آل طس الثلاث: الشعراء والنمل والقصص.

أمـــا ســـورة الشعراء: هي أكثرها تعداداً لقصص الأنبياء، فلقد ابتدأت الحديث بعد ذكر القرآن والنبي وأهل مكة، ابتدأت الحديث عن موسى – عليه السلام- مع فرعون، وفصلت بعض التفصيل تفصيلاً لا نكاد نجده في غير سورة الأعراف أعني في شأن فرعون، وبعدها تنتقل السورة

للحديث عن إبراهيم – عليه السلام–، ولكن هذا الحديث يكون أكثر ما يكون عن تمجيد إبراهيم عليه السلام لربه. ثم تحدثنا السورة عن قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، ثم تنتقل إلى القرآن الكريم، وتنْزيله بالحق: (وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾) [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

أما سورة النمل، فبعد أن تُحدثنا عن القرآن والنبي تذكر شيئاً عن قصة موسى – عليه السلام– ومبدأ رسالته، ولكن بإيجاز، ثم تذكر داود وسليمان عليهما السلام وتفصل الحديث عن سُليمان وما كان من ملكة سبأ. ثم تُحدثنا عن ثمود وقوم لوط، ولكن بما ليس فيه تفصيل، وإنما هو أقرب إلى الإيجاز.

أما سورة القصص: وهي آخر ال طس، فالحديث فيها إنما هو عن موسى – عليه السلام– منذ ولادته إلى أن أرسل إلى فرعون. حتى ما جاء في آخر السورة كان حديثاً عن قارون الذي هو من قوم موسى، لكن السورة تبدأ بالحديث عن القرآن، وتنتهي كذلك. ونلحظ أن– آل طس وطه: كان الحديث فيها بادئ بدء عن موسى –عليه السلام– وقد كان للحديث عن القرآن الكريم فيها شأن كذلك.

وتأتي سورة العنكبوت، والإشارات إلى الأنبياء فيها موجزة، وقد حدثتنا عن نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام، وآية واحدة جمع فيها عاد وثمود، وآية واحدة عن قارون وفرعون وهامان، وإشارة موجزة لمدين. سورة العنكبوت سورة الدعاة، ولا أدل على ذلك من بدايتها وخاتمتها، أما بدايتها: (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

يُفۡتَنُونَ ۝٢ [العنكبوت: ١-٢]. أما خاتمتها، فهي قول الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩) [العنكبوت: ٦٩]. إذن ذكر فيها ما تدعو إليه الحاجة، ولا ننســـى أنها نزلت متأخرة، فكان أكثر ما فيها تلخيصاً لما مرّ في كتاب الله من قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- مع بعض الزيادات.

أمـــا سورة الروم، فقد اكتفت أن يُشار فيها إلى الروم، وغلبتهم، و لم يذكر فيها شيء من القصـــص، وكذلـــك السورة التي بعدها سورة لقمان اكتفت أن تحدثنا عن وصية لقمان لابنه، وكذلـــك ســـورة السجدة لم تحدثنا عن شيء من هذا القصص، اللهم إلا بدء خلق الإنسان من طين.

وتـــأتي سورة الأحزاب المدنية ونعم ما ذكرته لنا من نصر الله المؤمنين وقد ابتلوا وزلزلوا زِلزالاً شديداً فالله نصرهم على الأحزاب، والحمد لله أولاً وآخراً.

وتأتي سورة سبأ، وسبأ كما نعلم كانت لها شهرتها (لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ۝١٥) [سبأ: ١٥]، ولكـــنهم أعرضـــوا فأرسل عليهم سيل العرم، وبُدِّلوا بجنتيهم ذواتي الثمر الزكي الشهي، بدلوا بجنتيهم جنتين أخريين ذواتي أُكُلٍ خمط وأثل، وشيء من سدر قليل، (ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ۝١٧) [سبأ: ١٧].

سورة سبأ هذه ذكرت فيها قصة واحدة قصة داود وسليمان عليهم السلام، ومن عجيب شـــأن القرآن وروعة نظمه وبديع صنعته، وجميل موضوعاته، ورائق معانيه أن تجد هذا الترتيب

المحكم. آية إعجاز ودليل صدق، وبرهان حق، ذكرت فيه قصة داود عليه السلام ثم أُتبعت بقصة سبأ، ولكن هل تعلم أن قصة داود في سورة سبأ ذكرت من حيثية يهدف لها القرآن، إن الله ذكر داود عليه السلام في سورة سبأ ليبين أنه أنعم الله عليه فشكر: (ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾) [سبأ: ١٣]. أظنك بدأت تدرك الروعة وتتذوق الحلاوة. بعد قصة داود عليه السلام ذكر أهل سبأ الذين أنعم الله عليهم فلم يشكروه، فجازاهم الله (وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾) [سبأ: ١٧]. وهكذا نجد هذا التلاؤم والاتساق، فسورة سبأ تذكر لنا فريقين من الناس أنعم الله عليهما، لكن منهم من شكر النعمة، ومنهم من كفرها. ولهذا يذكر عقب هاتين القصتين قول الله تعالى: (وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾)[سبأ: ٢٠].

أما سورة فاطر، فكان الحديث فيها عن آثار فاطر السماوات والأرض، و لم يأت فيها شيء من القصص.

أما سورة يس، فلم يذكر فيها إلا المثل لأصحاب القرية (إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾) [يس: ١٣-١٤].

لكن سورة الصافات ذكر فيها الأنبياء من حيثُ الثناء عليهم -كما مر معنا في سورة الأنبياء- والنبي الذي فصل خبره هو إبراهيم - عليه السلام- وقد عللنا ذلك حينما تحدثنا عن سورة الأنبياء.

وتـــأتي سورة (ص)، فلم يكن الحديث فيها عما جرى بين الأنبياء وبين أقوامهم، وإنما عن بعض ما ابتلي به بعض الأنبياء كداود وسُليمان وأيوب عليهم السلام كل ذلك كان تسلية للنبي ﷺ وثناءً بإيجاز على إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذي الكفل عليهم السلام.

أما سورة الزمر، فلم يذكر فيها شيء من قصص الأنبياء - عليهم السلام-.

وتـــأتي آل حم السبع فيكون الحديث في السورة الأولى وهي: سورة غافر (المؤمن) عن نبأ موسى عليه السلام، وتفيض في الحديث عن مؤمن آل فرعون.

أما سورة فُصِّلت ففيها إشارة - في معرض الحديث عن أهل مكة ووعيدهم إن أعرضوا- إلى عاد وثمود.

وأما سورة الشورى فليس فيها شيء من القصص القرآني.

وتـــأتي سورة الزخرف، وفيها إشارة عن إبراهيم عليه السلام تتلاءم مع موضوعها، وشيء عن خبر موسى عليه السلام مع فرعون، وما كان من اعتزاز فرعون وفخره بنفسه وبملكه، وهو متلائم مع موضوع السورة كذلك.

وتأتي سورة الدخان فتحدثنا شيئاً عن خبر فرعون متسقاً مع ما أصيب به أهل مكة حينما دعا النبي ﷺ عليهم بسنين كسني يوسف.

لكن سورة الجاثية نجدها خالية من القصص، اللهم إلا إشارة موجزة عن بني إسرائيل وما خصَّهم الله به، ولكنهم اختلفوا.

وتأتي سورة الأحقاف، وهي السورة الأخيرة في آل حم، وفيها إشارة إلى ساكني الأحقاف وهم عاد.

ثم تأتي ثلاث سور مدنية وهي: سورة سيدنا محمد ﷺ ، وسورة الفتح المبين الذي أكرمه الله به، ثم سورة الحجرات لا يكون فيها شيء من هذا القصص.

ويبدأ المفصل فنجد إشارة موجزة في بعض سوره كما في سورة (ق) والذاريات، والقمر، وما جاء من ذكر موسى عليه السلام وقومه في سورة الصف، ومن خبر أصحاب الجنة وصاحب الحوت في سورة (ن)، ومن إشارات في سورة الحاقة.

والسورة الوحيدة في المفصل التي فصل فيها، كانت سورة نوح، حيث كانت كلها حديثاً عنه – عليه الصلاة والسلام–.

كما جاء في سورة المزمل وسورة الفجر والشمس والبروج عن أصحاب الأخدود.

وهناك سورتان كان فيهما بعض التفصيل عن بعض الأنبياء وهما: سورة الذاريات، حيث فصلت في نبأ إبراهيم عليه السلام، وبعض إشارات إلى قوم لوط وفرعون وعاد وثمود، وسورة النازعات التي أجملت الحديث عن خبر موسى – عليه السلام– مع فرعون.

وأكتفي بهذا التفصيل، ومن أجال النظر، ونظم الفكر، وأكرمه الله بثاقب البصر، ستلوح له النجوم الزهر لوامح أخر. اللهم إنا نسألك فتحاً تكرمنا به بفهم وعلم، واجز اللهم سيدنا محمداً ﷺ الذي أنزلت عليه هذا القرآن خير ما تجزي نبياً عن أمته وآل سيدنا محمد وصحبه.

ثانياً: منهج القرآن في مرات إيراد القصة:

لم يحظ جميع القصص القرآني بدرجة واحدة في مستوى اهتمام القرآن الكريم بذكر هذه القصص، بل تفاوت هذه القصص فيما بينها تفاوتاً ملحوظاً من حيث عدد مرات ذكرها.

ففي الوقت الذي نجد فيه بعض قصص الأنبياء ذكرت أكثر من مرة، كان هناك الكثير من القصص التي لم تذكر في القرآن كله إلا مرةً واحدةً.

ولاشـك أن هـذا الترتيـب منهج مقصود أراد القرآن به التأكيد على القضايا الرئيسة، والأهداف العظيمة التي اشتملت عليها هذه القصص جميعها.

ويمكن لنا أن نبين منهج القرآن في عدد مرات إيراد القصة على النحو التالي:-

١- القصص التي ذكرت في أكثر من مرة هي قصص بعض الأنبياء فقط، وذلك مثل قصة آدم، ونوح، وهود وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، عليهم الصلاة والسلام.

٢- بعض أحداث قصص هؤلاء الأنبياء توزع على أكثر من سورة، و لم يذكر إلا مرة واحدة، كما هو الحال في قصة موسى مع العبد الصالح، وقصة سليمان مع سبأ، وقصة داود وأيوب علـيهم السلام جميعاً. وهذا النوع من القصص لا نعده مما ذكر أكثر من مرة؛ لأن القرآن الكـريم أخـذ باختيار مشاهد متعددة من حياة هؤلاء الأنبياء وبثها في السور، فكان كل حدث أو مشهد مستقلاً في تسجيل مرحلة معينة، أو حادثة محددة.

٣- إن القصص الذي ذكر أكثر من مرة نجد أن القرآن الكريم أعاد ذكر الأحداث ذاتها في اكثر من سورة، لكنه في كل مرة يضيف شيئاً جديداً، أو يأتي بفائدة لم تذكر من قبل.

٤- إن شيئاً من قصص غير الأنبياء لم يذكر أكثر من مرة ، بل اكتفى القرآن بذكرها مرة واحـدة، وذلك مثل قصة قارون، وذي القرنين، وأصحاب الجنة، وصاحب الجنتين، وابني آدم، وأهل الكهف ... الخ.

٥- لقد كان لاختيار القرآن الكريم هذه الطريقة في إعادة ذكر بعض المشاهد والأحداث أو الاقتصار على ذكرها مرة واحدة، وفي توزيع هذه المشاهد والأحداث بالشكل الذي جاءت عليه في القرآن، هدف ... بل أهداف وقيم تربوية وإيمانية وفنية تحتاج إلى من يقف عليها ويكشف لنا عن ثمارها...

وفي العموم "فالقصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة والدعاة إلى الله تعالى.

أما التي ذكرت مرة واحدة فمع سمو الحقائق التي قررتها، وما فيها من مناهج تربوية، وغايات رائدة، إلا أنها لم تكن تتحدث عن مجال الدعوة، وعما كان بين الأنبياء - عليهم السلام- وأممهم، وما لاقاه هؤلاء من أولئك. إنما كان حديثها في مجالات اجتماعية، وجوانب إنسانية، وقيم خلقية تمد الباحثين والعلماء بقبس لا يخبو على مدى الدهر... وهي تؤدي الغرض الذي سيقت من أجله من غير أن تذكر أكثر من مرة.

والقصة الوحيدة التي خرجت عن هذه القاعدة، فذكرت أكثر من مرة وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة، قصة آدم، ولكن إذا عرفنا أن قصة آدم أبي البشر جاءت تحدثنا عن النواحي الفطرية، والجوانب الرئيسة في حياة الإنسان، وعن الاستعدادات والغرائز التي تتكون منها طبيعته، إذا عرفنا ذلك أدركنا السر الذي ذكرت من أجله قصة آدم في أكثر من سورة"[1].

---

(١) انظر: فضل عباس: قصص القرآن، ص ٧٥-٧٦ بتصرف بسيط.

ثالثاً: منهج القرآن في مراعاة حجم القصة:

"نـــرى أن القـــرآن يبســـط بعـــض قصصه بسطاً مطولاً، ويقتضب في بعض آخر اشدّ الاقتضاب، أو يبسط القصة في موضع ويقتضبها في موضع آخر، أو يذكر القصة مجملة ثم يشرع في تفصـــيلها، أو يبسط بعض مجريات القصة ويفصل أحداثها، ثم يجمل بعضاً آخر منها أو يقفز فوقه قفزاً.

ولكـــل واحـــدة مـــن هذه الحالات علة تتفق والغرض من القصة ومقاصد القرآن العامة والخاصة بالقصة أو السورة"[1].

لذلك تسرد القصص ولا يكون هدفها الأساس مراعاة الأحداث أو الوقائع وترتيبها، وإنما تحقيق الغاية والهدف الذي جاءت من أجله.

"إن القـــرآن يذكـــر القصة في مواطنها بأساليب متغايرة، أو في صور متقاربة، ولكل منها مغزى لا يؤديه غيره، ومرمى لا يصيبه سواه"[2].

وقد أكد الشهيد سيد قطب – رحمه الله- أن "القصة تعرض بالقدر الذي يتفق مع الغرض الديني منها"[3]، موضحاً بذلك أن شكلها الفني يخضع أساساً للهدف الديني الذي سيقت من أجله.

هـــذا هـــو منهجـــنا في الـــنظر إلى حجـــم القصة القرآنية، لكننا وجدنا لبعض الكاتبين والباحـــثين[1] تقســـيمات ذكـــروها فـــيما يخـــص القصة القرآنية من حيث أنواعها، متأثرين بالاصطلاحات الفنية والأدبية، فإذا كان بعض هؤلاء يرى أن للقصة أنواعاً، ويذكر ذلك متوافقاً

---

(١) كاظم الظواهري: بدائع الاضمار، ص ١٠١.

(٢) بكري الشيخ أمين: التعبير الفني، ص ٢١٧.

(٣) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٦٨.

إلا أنه ذكر لها من حيث المضمون ما يزيد على خمسة وعشرين نوعاً، ولو استعرضنا هذه الأنواع فإننا نكاد نجد لكل قصة ذكرت في القرآن نوعاً خاصاً بها تندرج تحته، بل إن بعض هذه التقسيمات تَدَاخَــل حتى كانت بعض القصص تمثل أكثر من نوع، وقد أطنب وفصل بما جعل من الممكن أن نعد جهــده في جانب التصنيف الاستقصائي، وليس الترتيب المنهجي، حيث لم نجد أساساً منهجياً واضحاً اعتمد في هذه الأنواع، وهذه التقسيمات التي ذكرها.

عــلى أن مــن اعتمد في تقسيم القصة في القرآن على أساس منهجي بالنظر إلى حجمها، فجعــل منها القصة الطويلة والقصة متوسطة الحجم، والقصيرة، وزاد البعض فجعل منها متناهية القصــر، وقصص يُشار إليها ولا يذكر عنها شئ[1]، وقصص حافلة بالتفصيل، وقصص قصيرة بحتة، والقصص القصيرة جداً[2].

أقــول: على الرغم من ذلك إلا أننا لم نجد معياراً واضحاً في تحديد الحجم الذي يتم على أساسه تقســيم وتصنيف كل قصة. وفي اعتقادي أن هذه قضية تخضع إلى التقريب، وليس هناك تصور واضح ومحدد لهذه الأنواع.

عــلى حين إذا زعمنا أن هذه الأمور قد اتضحت، أو قد تتضح بشكل أدق فيما هو قادم، فإننا نجــد أن المعيار المنهجي الذي اعتمده الكاتبون في تصنيف كل قصة تحت قسم أو نوع من الأنواع التي ذكــرت عندهم، قد روعي فيه جانب أحداث القصة الواحدة مجتمعة لتقرير الحجم الذي على أساسه يــتم التصــنيف، فمثلاً عند إرادة تصنيف قصة "نوح" فإنهم ينظرون إلى مجموع ورودها وحجمها في القــرآن كلــه، هــذا هو المعيار الذي يتضح لكل ناظر في التقسيمات التي نجدها في بعض الكتب التي

---

(١) انظر: سيد قطب، التصوير الفني، ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) انظر: محمد قطب: القصة في القرآن، ص ٤١٤-٤١٥.

اهتمـــت بهـــذا الشأن، على أنه يمكن أن نسلك في نظرنا إلى ذلك معياراً منهجياً مغايراً... مع إقرارنا وتقديرنا للمسلك الأول.

إن الهـــدف الـــذي أريد تحقيقه وتجليته هنا أن أضع تصوراً واضحاً، ومعياراً منهجياً دقيقاً لمـــنهج القرآن في مراعاة حجم القصة، على أن لا يخضع هذا التصور أو هذا المعيار فقط لحجم الأحـــداث التاريخـــية المذكورة، ومقدار ما فيها من تفصيلات، ولا للمساحة الزمانية أو المكانية الممتدة في القصة القرآنية، وإنما يقوم على مراعاة التناسب بين القصة والسياق الذي وردت فيه، وهذا أساس منهجي في التعامل مع القصة القرآنية لإبراز هدفها وفنيتها لا يمكن تجاوزه بحال من الأحوال.

ومادام هناك اتفاق على أنه ليس من غرض القرآن الأساسي سرد الأحداث التاريخية التي مر بهـــا الأنبياء، فبالضرورة يجب أن لا يكون غرضنا الأساس جمع هذه الأحداث التاريخية وتصنيفها وسردها، وقياس القصة على أساسها، وإن كان هذا العمل في ذاته مهماً لا بد من مراعاته.

إننا في نظرتنا لتوضيح منهج القرآن في مراعاة حجم القصة لن ننظر إلى موضوع القصة في تحديـــد معـــيار ذلك، حتى لا نحتكم إلى الأحداث مجتمعة متسلسلة، بمعنى أنه لن يكون تقسيماً للقصة، ولنقل قصة موسى عليه السلام مثلاً على أنها من القصص الطويلة لأنها ذكرت أكثر من مرة، أو لأنها ذكرت حياة موسى عليه السلام منذ مولده وحتى وقوفه بقومه أمام الأرض المقدسة.

فـــإن ذلك لا يعد – في نظري- منسجماً مع منهج القرآن الكريم في ذكر هذه القصص، ذلـــك أن المعيار الحقيقي يجب أن يكون في النظر إلى حجم القصة التي يسوقها القرآن في سياقها

الخاص بها، دون النظر إلى تجميع الأحداث وترتيبها، وهذا في اعتقادي منسجم مع منهج القرآن نفسه في الانتخاب والانتقاء والتوزيع.

وعلى ذلك تكون هناك القصة الطويلة والمتوسطة والقصيرة، ولا يمنع أن تكون القصة الواحدة قد وردت بهذه الحالات الثلاثة أو باثنتين أو بواحدة، بما يتفق مع سياقها الذي وردت فيه، والغرض الذي جاءت من أجله، أول مثال على ذلك قصة موسى عليه السلام، فيمكن أن نعدها في سورة "القصص" و"الأعراف" من القصص الطويلة، وفي سورة "الفرقان" من القصص القصيرة، في حين كانت وسطاً في سورة "يونس"، وعلى ذلك ينظر في هذه القصة بشكل منهجي لبيان الجوانب التي تكشف عنها هذه القصة في كل سياق وردت فيه، بما يفسر هذا التفاوت في الحجم، والاختلاف في الأحداث والوقائع التي اختيرت في كل سياق دون الاخر.

هذا من الجانب المنهجي، أما من حيث التقسيم فأرى أن نجعل القصص من حيث حجمها في أقسام اربعة: الطويلة، متوسطة الحجم، القصيرة، ذات الشارات.

فالطويلة: كقصة موسى في سورة القصص. وقصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف.

ومتوسطة الحجم: كقصة آدم، وقصة مريم عليهم السلام.

والقصيرة: كقصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم جميعاً السلام.

وذات الشارات: كالتي وردت عن إدريس واليسع وذي الكفل عليهم السلام، وما ورد عن يوسف عليه السلام في سورة الأنعام، وغافر، ونحن نسمي هذه الإشارات قصصاً تجوزاً وإلا فهي إشارات فحسب.

وكما قلنا: قد لا يكون هناك معيار واضح منضبط لتحديد حجم كل قصة، ولكننا ندرك في النهاية أن "القصة القرآنية تتنوع من حيث الشكل الفني تنوعاً يتراوح بين الإجمال والتفصيل، وفي كل حالاتهما يتلاءم النوع مع السياق والنسق التعبيري والغرض الديني"(١).

رابعاً: منهج القرآن في طريقة عرض القصة

لقد كان للقرآن الكريم طريقته الخاصة في تناول القصص، وكذلك فقد تعددت طرقه وتنوعت أساليبه في عرض أحداث هذه القصص، وفي اختيار الجزء أو الأجزاء التي يعرضها منها دون غيرها، وتوزيع هذه الأجزاء على بعض السور دون الأخرى.

والتفصيل في هذا الجانب قد يأخذنا للخروج عن الأمر المنهجي الذي نقصده من موضوعنا هذا الذي نكتب فيه، ويدخلنا في الحديث عن جانب - لا يقل أهمية عما نحن بصدده- وهو البحث بشكل تفصيلي وشامل عن أسرار هذا الترتيب، وهذا المنهج الفريد في أسلوب القرآن وطريقته في تناول قصصه...

إلا أننا لن ندخل في هذا التفصيل، ونشير إشارة وحسب، لعلها تكون ملهمة لجهود الباحثين والكاتبين، ليكون في جهودهم هذه حظ لهذا الجانب في دراسة قصص القرآن الكريم، يقفون فيه مع عناصر هذا الموضوع للبحث في مجال تنوع طرق القرآن في عرضه للقصص من جوانب متعددة، يكون منها على سبيل المثال:

تناسب القصة مع موضوع السورة، تناسب القصة مع سياقها الخاص بها، تناسب القصص في السورة الواحدة التي تعرض لأكثر من قصة، البحث في أسرار التنويع في عرض القصة الواحدة،

(١) محمد قطب عبد العال: القصة في القرآن، ص ٤١٥.

البحث في أسرار توزيع هذه القصص، واختيار جوانب دون أخرى، وتوزيعها على المواطن التي جاءت فيها في هذه السورة... إلى غير ذلك من الجوانب المتعددة التي يمكن أن تتكشف للباحث المتفحص في تنوع طرق عرض القرآن للقصص.

ومما هو معلوم أن بعض الكاتبين[1] قد عرض لبعض هذه الجوانب، ومعظمهم استند إلى فكرة سيد قطب -على عمومها- عندما أشار إلى أن ذلك من آثار خضوع القصة للغرض الديني[2]، وحاول هؤلاء التفصيل في هذا الجانب، غير أنني أعتقد أن الموضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة شاملة، تكون مبنية على أصول منهجية واضحة وثابتة[3].

ونحن سنعرض هنا لجانبين اثنين في الحديث عن منهج القرآن في عرض القصة: جانب عام يتصل بالأسلوب، وآخر تفصيلي يتصل بالشكل التي تعرض فيه هذه القصص.

أما ما يتصل بالأسلوب:

"فمعلوم أن الأحداث في القصة الفنية تتحرك بطريقتين:

طريق السرد[4]: وهو وصف الأحداث والأشخاص والمشاعر والانفعالات والأماكن والأزمنة وغيرها.

---

(١) انظر: التهامي نقرة: سيكولوجية القصة، ص٩، وص ٤٥٦، وانظر: محمد قطب: القصة في القرآن، ص٤٠٤ و ص٤١٦، وانظر: كاظم الطواهري: بدائع الاضمار، الفصل الأول: تناسب القصص القرآني وغايات التنزيل، ص ٢٥-٣٨، وكلامه جيد.

(٢) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٥٥ وما بعدها.

(٣) انظر بعض اللفتات التربوية والبيانية التي أشار إليها شيخنا — حفظه الله- في كتابه: قصص القرآن، وانظر تحديداً ما ذكره عن مناسبة قصص سورة الكهف، ص ٧٧.

(٤) نجد أحياناً بعض الكاتبين يطلق كلمة "السرد" على مفهوم آخر، يقصد بها طريقة عرض القرآن للقصة بما يشمل الحوار وغيره، انظر مثلاً كلام محمد قطب: القصة في القرآن، ص ١١٠.

وطريق الحوار: الذي ينطق به أشخاص القصة.

ومعيار الجودة في كلٍ أمران:

الأول: القدرة على تحريك الحدث وتصعيده في مراحله المختلفة.

الثاني: الإفصاح عن المعاني بدقة، ودون إخلال بتقصير أو إملال بتطويل.

وهـــناك أمـــور أخرى جانبية تتعلق بالتصوير والبراعة في إدارة الحوار وسهولة الأسلوب وغيرها، وهي أمور تتفرع على المعيارين السابقين، أو تتعلق بالبناء الفني للقصة"[1].

كما وإن أسلوب القرآن لا يفضل طريقاً على آخر سواء السرد أم الحوار، بل هو يستند إلى كـــل واحـــد منهما، أو لهما معاً، لتحقيق غايته في نقل الواقعة وتصوير الأحداث والتأثير بذلك لتأكيد الغرض من القصة.

- وقـــد يـــنقل لنا القرآن الكريم حادثة معينة بطريق السرد دون أن يكون في ذلك شيء من الحوار، ومثاله ما جاء في سورة الفجر (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾) [الفجر: ٦-١٤].

- وأحـــياناً يمزج القرآن بين الحوار والسرد، فيكون السرد فاصلاً لتحديد التغير في الحدث، أو للربط بـــين الأحداث، أو لوصف حدث لا يريد القرآن تحويله إلى حوار، وذلك كما جاء في قوله تعالى

---

(١) كاظم الطواهري: بدائع الاضمار، ص ٧٣.

في سورة يوسف: (فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾)[يوسف: ١٥-١٦]، وذلك بعد الحوار الـــذي دار بين أخوة يوسف مع أبيهم لإقناعه بإرسال يوسف معهم، وقبل الحوار الذي دار بيــن الطرفين بعد أن عادوا يخبرونه به عن مآل يوسف عليه السلام.

ومثال آخر: ما جاء في سورة يونس في بداية الحديث عن قصة موسى عليه السلام، حيث بـــدأ الأسلوب القرآني بالسرد بقوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾)[يونس: ٧٥]، ثم بدأ بالحوار من قوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾) [يونس: ٧٦] إلى آخر القصة.

- وأحـــياناً أخـــرى نجد القرآن يغلّب طريق الحوار على السرد، فينقل الأحداث ويصورها لنا بطـــريق الحوار دون السرد، وينتقل من مشهد إلى آخر بأسلوب حواري عجيب لا تجد فيه نـــبوة، رغم اختلاف المكان والزمان والأشخاص، وخير شاهد على ذلك قصة يوسف عليه الســـلام وتعـــدد الأحداث فيها، واختلاف الأماكن، والانتقال من حدث إلى حدث، ومن مكان إلى مكان، ومن شخص إلى شخص... كل ذلك بأسلوب حواري.

والـــذي نلحظه في أسلوب القصص القرآني - عموماً- أنه اعتمد بشكل واضح طريق الحوار[1]، في الوقت الذي احتل فيه السرد مساحة أقل، وهذا يؤكد أهمية المحاورات وشأنها "من حيث قدرتها على بـــيان مدى المقاومة بين أطراف الحوار، تلك المقاومة التي لا بد من توافرها لكي ينشأ "الموقف" الذي

---

(١) انظر شيئاً من التفصيل حول موضوع الحوار كتاب: سيكولوجية القصة في القرآن للدكتور نقرة، ص ٤١٠-٤٢٠، وانظر: الظواهري، بدائع الاضمار، ص ٧٥-٩٨.

يجســـم صراعاً بين قوى مُريدة وأخرى مانعة قاهرة، والمغالبة بين هذه القوى هي التي تؤدي إلى تصعيد الحدث إلى ذروة تنتهي بتغلب إحدى القوتين أو المجموعتين على الأخرى لتحدد نهاية القصة"[١].

يقــول الدكتور عبد الكريم الخطيب: "والحوار هو وحده من بين أساليب القول هو الذي يعتمد عليه فنّ القصص، في خلق الحركة وتلوينها وتنويعها، فبالحوار تتبادل الشخصيات مواقفها، وتزايل أماكنها، وتبدل أحوالها وأشكالها"[٢]. ويقول: "الحوار الذي يعتمد على الحكاية إن لم يقع ليد صنّاع خبير حاذق، كان مزيفاً يسقط به العمل القصصي ويثقل ويبرد"[٣].

ثم يضـــيف: "إن حبكة الحوار، واختيار الكلمات المناسبة لكل حال يتلبس بها المتحاورون هـــو الذي يبعث الحياة والحركة في القصة، وهو الذي يجعل للكلمات دلالة ذاتية تستغني بها عن التشخيص والتمثيل، وعن تهيئة الجو المناسب للحركة المسرحية التي تنقل الأحداث وتجسمها"[٤].

ولنستمع الآن إلى شيء من الحوار مما ورد في قصة آدم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

---

(١) الظواهري: بدائع الاضمار، ص ٧٥.

(٢) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ١٢٠.

(٣) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ١٢٥.

(٤) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ١٤٤.

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾)[البقرة: ٣٠-٣٩].

هذا هو الجانب الأول الذي يتصل بالأسلوب، والذي أحببنا توضيحه ...

أما الجانب الثاني الذي نعرض له هنا فإنه يقتصر على تشكيل ووصف الجانب المنهجي في عرض القرآن لهذه القصص، وسأعرض لذلك من خلال الجوانب التالية:

١- من حيث الابتداء بالقصة.

٢- من حيث الجوانب التي يهتم القرآن بإبرازها.

٣- من حيث ختمها.

٤- من حيث التوجيهات التي تعرض فيها.

ولا أدعـــي الإبداع والابتداع في هذا الجانب، ولكنني أخذت من كل من سبق وحاولت ترتيب بعض الأمور وعرضها بصورة واضحة.

- **أما من جانب الابتداء بالقصة:**

فإننا نجد أن القرآن الكريم قد نوع في هذا:

١- فمرة يمهد لذكر القصة قبل البدء بتفصيل أحداثها؛ وذلك كما ورد في التمهيد لقصة "آدم" عليه السلام في سورة "طه" في قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾)[طه:١١٥]، وبعدها بدأ بالحديث عن القصة من لحظة الأمر بالسجود.

ومرة يكون التمهيد بالإشارة إلى عاقبة القصة ومغزاها،وذلك كما جاء قبل الحديث عن قصة "موسى" عليه السلام في سورة "القصص" يمهد لها بقوله تعالى: (نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾)[القصص:٣-٦].

٢- ومـــرة يـــبدأ القرآن بذكر القصة دون التمهيد لها، وذلك كما ورد في قولـــه تعالـــى: (وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾) [مريم: ٤١].

- **ومن حيث الجوانب التي يهتم القرآن بإبرازها:**

فإن ذلك ينشأ من التركيز على هدف القرآن من ذكر القصة، واهتمامه بتجلية هذا الهدف مـــن خلال مشهد دون آخر، فعند حديث القرآن عن الأنبياء ودعوتهم نجده يهتم بإبراز جوانب ثلاثة:

١- فهـــو مرة يهتم بإظهار البدايات الأولى للشخصية التي تنشأ حولها القصة، وينصب الاهتمام على إبراز هذا الجانب لما يكون له من شأن في الكشف عن الهدف الذي تساق أجله القصة.

"فقصة آدم (منذ خلقه) فيها مظهر لقدرة الله، وكمال علمه ونعمته على آدم وبنيه.

ومثل مولد عيسى بن مريم: وهو يعرض بتفصيل كامل، ذلك أن مولده هو الآية الكبرى في حياته، وحول هذا المولد قام الجدل كله، وعنه تفرعت كل قضايا المسيحية قبل الإسلام وبعده ...

وقصة مريم: فقد نُذرت لله وهي في بطن أمها، وتولى كفالتها زكريا ... ثم تطوى حلقاتها حتى تأتي حلقة ميلاد عيسى، وهي الحلقة الهامة الثانية في حياتها.

وقصة موسى: لأن لمولده في عهد اضطهاد بني إسرائيل، وتذبيح الذكور من أطفالهم، ونجاته هو من ذلك مع وجوده بين آل فرعون أنفسهم ... قيمة خاصة في بيان رعاية الله له وإعداده إعداداً خاصاً للمهمة التي سينهض بها، ثم تذكر من حياته حلقاتها ذات المغزى.

وإسماعيل وإسحاق: تعرض حلقة مولدهما؛ لأن في هذا المولد عبرة، فأولهما رزقه إبراهيم على الكبر، وأسكنه -على الرغم منه- بجوار البيت المحرم، والثاني بُشر به وامرأته عجوز، وقد بلغ من الكبر عتياً.

وكذلك يذكر مولد يحيى وزكريا؛ بعد أن وهن العظم واشتغل الرأس شيباً"[1].

٢- ومرة يهتم بإبراز الأحداث التي مرت بها الشخصية في مراحل متأخرة عن الولادة أو الطفولة، حيث يظهر منها معالم التكوين الأولى لشخصية هذا النبي، أو من يعده الله ليكون نبياً.

ويظهر ذلك في حديث القرآن عن "يوسف" عليه السلام، حيث يبدأ الحديث من لحظة ما يرى الرؤيا واعياً لها ويقصها على أبيه، وهي – أي الرؤيا- موضوع القصة جميعها.

---

(١) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٦٣/١٦٤.

ويظهـــر أيضـــاً ذلك في حديث القرآن عن داود عليه السلام من لحظة أن كان جندياً في جيش طالوت ويقتل جالوت، ومن هنا تبدأ قصته.

٣- ومرة أخيرة نجد أن القرآن يهتم بإبراز مرحلة الرسالة ودعوة هؤلاء الأنبياء أقوامهم إلى دين الحـــق، ولا نعـــرف عن هؤلاء الأنبياء إلا هذه المرحلة، يظهر ذلك في قصص نوح ، هود، وصالح، ولوط، وشعيب، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام جميعاً.

- أمـــا غير هذا من القصص، فإن القرآن يذكر لنا منه موضوع العبرة والعظة، ويكون التركيز على الشاهد في ذلك، وهذا يشمل جميع القصص التي كان التركيز فيها على الحدث بشكل واضـــح كمـــا هو الحال في قصة الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقصة قارون، وقصة صاحب الجنتين ... الخ.

- **ومن حيث ختم القصة:**

ســـبق وأشرنا في الحديث عن البدء بالقصة أن القرآن يمهد لبعض القصص وأحياناً لا يمهد لها، ونجد الأمر ذاته في ختمه للقصص.

١- فمـــرة نجده كما مهد للقصة يعقب عليها، وذلك كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام في سورة "ص" فقد مهد لقصة داود بقوله: (وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾) [ص:١٧]، وفي قصة سليمان مهد لها بقوله: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾)[ص: ٣٠]. وقد عقبت الآيات بعد هذه القصة بقولـــه تعالـــى: (هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾) [ص:٣٩-٤٠].

٢- ومـــرة نجده يعقب عليها دون أن يكون قد مهد لها ، مثاله ما جاء في سورة هود عن قصة "نوح علـــيه السلام، حيث عقب عليها و لم يكن قد مهد لها، وجاء التعقيب في قوله تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾) [هود:٤٩].

وفي سورة العنكبوت عقب على كل ما ذكر فيها بقوله تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾) [العنكبوت: ٤٠].

٣- ومـــرة أخرى نجده لا يعقب على القصة بشيء سواء أمهد لها أم لم يمهد: يقول الدكتور بلبول: "قد يذكر قصصاً لا يعقب عليه لأن العبرة بدت واضحة من خلال النص الكريم"[١].

من ذلك ما جاء في سورة الأعراف في قصة موسى عليه السلام، وقصة داود وسليمان في سورة النمل.

- **من حيث التوجيهات التي تعرض فيها:**

يقول سيد قطب: " وكان من أثر خضوع القصة للغرض الديني أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبلها وبعدها وفي ثناياها كذلك"[٢].

(١) بلبول: القصص القرآني، ص ٨١.

(٢) سيد قطب: التصوير الفني، ص ١٦٨.

١- فما كان قبلها، كما جاء في التمهيد لقصة يوسف[1] بقوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾)[يوسف:٤].

٢- وما جاء بعد انتهاء القصة كما في التعقيب على قصة مريم في سورة آل عمران بقولـــه تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾) [آل عمران: ٤٤].

٣- وما جاء في ثنايا القصة مثاله ما جاء في قوله تعالى في قصـــة يوسف: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾) [يوسف: ٢١].

وتجـــدر الإشارة هنا إلى أن الشهيد سيد قطب قد ذكر من النماذج على هذا النوع الذي تأتي فيه التوجـيهات في ثـــنايا القصة ما قاله الهدهد عندما عاد من عند بلقيس، وذكر أيضاً كلام يوسف عليه السلام وهو في السجن عند حديثه مع السجينين اللذين معه.

ولعـــلي لا أتفق مع الشهيد سيد قطب – رحمه الله- فيما ذهب إليه هنا؛ ذلك أن هذا الذي ذكره لا يعـــد من التوجيهات التي فيها معنى التعقيب، وإنما هذا كان جزءاً من الحدث وجزءاً من الحوار الذي جـــرى في ذلك الوقت ونقله لنا القرآن الكريم، ولو صح أن نجعله من توجيهات وتعقيبات القرآن لصح أن نجعل جميع كلام الأنبياء توجيهات، وأين الحدث والحوار والسرد حينها.

---

(١) ولست أرى هذا توجيهاً إنما هو نوع من التمهيد.

المطلب الثاني: اتجاهات دراسة القصة القرآنية:

لقد مر في بدايات هذه الدراسة التعريف بـ(الاتجاه والمنهج) ، وأوضحت هناك الفرق بينهما فيما أراه الوجه المناسب، واعتماداً على ذلك حرصت أن أتناول في دراستي هذه توضيحاً مؤصلاً وشكلاً مفصلاً للاتجاهات التي عكست ثقافة واهتمام الكاتبين في القصص القرآني، والتي تحددت على أساسها مجموعة الآراء والأفكار التي أراد هؤلاء بثها وتحقيقها من خلال تناولهم القصص القرآني.

بعد ذلك، كان لا بد من بيان مسالك وطرق هؤلاء الكاتبين والمؤلفين في إيراد الأحداث وتفسير المفردات وبيان الدلالات...

وقد تعددت هذه وتنوعت بتعدد وتنوع الكاتبين والمؤلفين أنفسهم، فكان لابد من تحديدها ووضعها في إطار منهجي يحكمها ويضبطها.

من هنا فقد اهتمت هذه الدراسة بإبراز هذين الجانبين بشكل أساسي:

- بيان (اتجاهات) المؤلفين في التعامل مع القصة القرآنية باعتبار أن جهود هؤلاء المؤلفين يحكمها إطار فكري وعلمي يعكس ثقافته واهتمامه.
- بيان (مناهج) هؤلاء المؤلفين، بحيث يتم الاهتمام بالكشف عن تعدد مسالكهم وطرقهم في تحقيق القضايا الكلية التي أرادوها من خلال دراستهم لهذه القصص.

ولما كانت (الاتجاهات) يحكمها إطار وصفي عام، فقد تحدثت عنها في هذا المطلب، فجعلتها تحت مبحث (القضايا المنهجية في دراسة القصص)، مبيناً أنواع هذه الاتجاهات، ومفهوم كل واحد منها، وقضاياه التي تشكله وتحكمه، مع ذكر أهم ما يمثل كل اتجاه.

أمـــا الجانب الآخر وهو (المناهج) والذي يشكل الجانب التطبيقي عند هؤلاء المؤلفين، فقد جعلته في فصل مستقل، وذلك لتعدد وتنوع هذه المناهج وما يخصها من المؤلفات التي تمثلها.

وقـــد كـــان من الممكن أن أقوم في دراستي هذه بذكر (الاتجاه) ثم ذكر ما يخصه من (المـــناهج)، وذلك كما تعودنا في بعض الدراسات التي بحثت في موضوع مناهج المفسرين، لكـــنني وجدت أمر الحديث عن التأليف في القصص يختلف عن غيره في هذا الجانب، فإن تنوع الكتب وكثرتها أدى إلى كثرة وتعدد المناهج، كما أدى إلى تداخل في كثير من القضايا التي تخص موضوع الاتجاهات والمنهج.

كمـــا قـــد وجدت من الصعب وضع مناهج محددة لاتجاه معين، لأنك قد تجد المنهج الواحـــد تكـــرر في أكثر من اتجاه، كما هو الحال في المنهج (المقارن) الذي تجده في الاتجاه (الفني) وفي الاتجاه (التفسيري).

وقد يسلك صاحب الاتجاه (التفسيري) سبيل المنهج (التحليلي) أو (السردي) ويسلكه كذلك صاحب الاتجاه (المنحرف).

هـــذا ما دفعني لإفراد (الاتجاهات) في مبحث مستقل عن (المناهج) حتى أعطي التصور الواضح الدقيق لكل منها، وقد تعودت في دراستي هذه أن لا أحتكم إلى تصور واحد ملزم في مـــثل هـــذه التقسيمات مادامت عملاً عقلياً يسعف العقل في تصورها على شكل آخر، فسلكت ما أراه يحقق الغاية من هذه الدراسة، ولكل وجهة هو موليها.

- أما الاتجاهات التي أراها تمثل جهود الكاتبين والمؤلفين في القصص القرآني فهي:-

١- الاتجاه الفني.

٢- الاتجاه التفسيري.

٣- الاتجاه التوجيهي الإرشادي.

٤- الاتجاه المنحرف.

أولاً: الاتجاه الفني:

- وهو الذي يهتم بالحديث عن القصة القرآنية من حيث مفهومها وأهدافها وأغراضها وأسلوبها وخصائصها الفنية... أي أنه يتناول القضايا التي تدور حول القصة القرآنية وليس في عرض أحداثها، من هنا فإن هذا الاتجاه يمثل ما يمكن تسميته بالجانب (النظري).

والاتجاه الفني إذ يتناول القصص القرآني من هذا الجانب فإنه يركز على إبراز القيمة الفنية للقصة القرآنية بالدرجة الأولى، بحيث يعرض للجوانب التي تبرز هذه القيمة، وذلك في مقابل ما تكون عليه القصة الأدبية من عناصر تبرز فنيتها، مع ملاحظة استقلال القصة القرآنية بطابعها الخاص وشخصيتها المتميزة عن القصة الأدبية.

ولذلك فإننا نجد بعض الاهتمام الذي قد يندرج تحت هذا الاتجاه بالحديث عن القصة الأدبية أو القصة الحديثة بإجراء بعض المقارنات، كما في كتاب (نظرات أدبية في القصة القرآنية: عبد الفتاح سلامه).

كمـــا قد نجد تفصيلاً واضحاً في جانب التأصيل والتقعيد للقصة القرآنية بالحديث عن قضايا ثابتة تخص هذا الجانب كالحديث عن مفهوم القصة القرآنية، والحديث عن خصائصها وعن الشبهات التي قيلت عن القصص القرآني بشكلٍ عام.

وهناك جانب آخر يهتم بإبراز القضايا البيانية وتمثيل جانب الإعجاز القرآني فيما يخص نظـــم القصـــص القـــرآني، كمـــا في كتاب (بدائع الاضمار القصصي في القرآن: كاظم الظواهري).

أما إبراز الجانب الدعوي من خلال هذا الاتجاه فيظهر في جانب محدد يرتبط بالحديث عن أغراض القصة القرآنية وأهدافها، من هنا فقد كانت مساحته في هذا الاتجاه محدودة ولا تتجاوز بعض النقاط التي تذكر تحت هذا العنوان.

- ومن أهم القضايا التي تم تناولها تحت هذا الاتجاه هي:

١. مفهوم القصة القرآنية.

٢. أهدافها وأغراضها.

٣. خصائصها.

٤. عناصرها.

٥. أنواعها.

٦. الشبهات التي أثيرت حولها.

وقد تم تناول قضايا فرعية تحت هذه العنوانات، لكنها مهمة وعميقة في علاقتها بالقصص القرآني، وذلك كالحديث عن (واقعية القصة القرآنية)، والحديث عن (التكرار في القصة القرآنية).

وبعض هذه القضايا ألفت فيها كتب مستقلة[1]، وهناك كتب أخرى تناولت هذه القضايا جميعها بالبحث مثل (القصص القرآني) لعبد الباسط بلبول.

- لقد أسهمت الجهود المبذولة في هذا الاتجاه في إبراز القيم الفنية والجمالية للقصة القرآنية، كما أسـهمت في الدفـاع عنها في كثير من الطعون التي وجهها المستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام.

ويكـاد يكـون الجانب التحليلي — الذي يبرز المعلومة ويحلل عناصرها ويبين قيمتها— هو الغالـب في مثل هذا النوع من الدراسات، أما الجانب النقدي فإنه لا يزال متأخراً فيما يمثله هذا الاتجاه من دراسات وجهود.

ومـا نجده أحياناً لا يتجاوز كونه جانباً نقدياً لكتاب معين، كما هي بعض الدراسات التي كتبـت حـول كتاب (الفن القصصي في القرآن: للدكتور خلف الله)، أو أن يكون نقداً لبعض الآراء التي ترد هنا وهناك، كما هو الحال في الحديث عن (نظرية دارون) من خلال قصة آدم فيما يـتعلق بـنظرية (النشـوء والتطور)، و لم يشكل هذا الجانب النقدي منهجاً متكاملاً تقوم عليه الدراسات الفنية.

ومما يقل، أو يكاد يغيب عن (الاتجاه الفني) منهج (المقارنة)، فإذا كنا قد وجدنا بعض الدراسات القلـيلة الـتي تمثل منهج المقارنة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية أو القصة الحديثة، كما هو الحال في

---

(١) انظر: النقطة الخامسة من المطلب الأول من المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الرسالة، فقد ذكرت هناك أسماء هذه الكتب بما يغني عن إعادتها هنا.

كتاب (محمد كامل حسين: القرآن والقصة الحديثة)... فإننا بالمقابل، لم نجد أي دراسة تعتمد منهج المقارنة بين القصة القرآنية والقصة في العهد القديم، لا أقصد من حيث الأحداث، وإنما من ناحية الأسلوب والفنية والجمالية، وأكثر ما تجده إشارات عامة تحمل عبارات المدح والثناء للقرآن الكريم، وليس هناك دراسة تعنى بإبراز قيمة المعنى وصدق الحقيقة التاريخية مقارنة بين القرآن والعهد القديم.

ثانياً: الاتجاه التفسيري:

وهو الاتجاه التي يعنى بالنص القصصي القرآني حروفه وكلماته وآياته، وذلك بتتبع آيات القصة في مواطن ورودها في القرآن الكريم، وتوضيح مفرداتها، وبيان دلالات آياتها، وتسجيل حوادثها وظروفها وجزئياتها، وما يتصل بها من مواقف وأحداث.

وقد احتل هذا الاتجاه أكبر مساحة بين الاتجاهات، تمثلت من خلاله جهود كثير من الكاتبين والمؤلفين في القصص.

وقد أسهمت طبيعة النص القصصي القرآني وخصائصه في التعامل مع وقائع القصة ونقل أحداثها، أسهمت في تنوع وتعدد مناهج الكاتبين تحت هذا الاتجاه، ويمكن رجع هذا التنوع والتعدد إلى شكلين اثنين:

الأول: الإسراف في قبول الإسرائيليات وملء مبهمات القصة بها.

فنحن نعلم أن هدف القرآن من ذكر القصة ليس الجانب التاريخي، كما لم تكن -تبعاً لذلك- عنايته بالدرجة الأولى بتسلسل الأحداث التاريخي[1]، ومن هنا فإنه لم يعن بكثير من التفصيلات والتفريعات.

---

(١) راجع المبحث المتعلق بخصائص القصة القرآنية.

إلا أننا وجدنا من المفسرين والكاتبين من كان له شغف واهتمام واضح بربط الأحداث والتكلف لملء فجواتها، حتى لو ألجأهم ذلك إلى الاعتماد على الإسرائيليات والروايات الضعيفة، وبعضهم كان شغفه بهذه الروايات يتجاوز حدود ما يملأ به مبهمات القرآن، بل كان يذكرها على سبيل توضيح وتجلية المعنى فيما هو وارد من أحداث ومواقف ذكرها القرآن الكريم.

وقد تحدث الشيخ شلتوت عن (منهج المسرفين في قبول الروايات)[1]، وجعله منهج جمهور المفسرين، وبين أنه يقوم على الإفراط في تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة في فهم القصة القرآنية، واعتبار كل ما ورد متصلاً به بياناً وتفصيلاً لما جاء في القرآن الكريم.

الثاني: الالتزام بحدود النص القرآني والحديث الصحيح:

والذي التزم فيه أصحابه وجه الحق، والمنهج القويم في التعامل مع هذا النص الكريم، فاقتصروا عليه متدبرين مفسرين له، مستنبطين منه، مستعينين بالروايات الصحيحة في توضيح بعض المواقف وتجلية بعض الأمور.

وأريد التأكيد هنا على أمر مهم، وهو أننا إذ نسمي هذه الاتجاه بـ(التفسيري) فإن هذا لا يعني التقليل من شأنه، أو من شأن التفسير، بل لشمول هذا الاتجاه وسعته سميته بذلك، وهو في الحقيقة يشتمل على مناهج متعددة مما سأبينه عند الحديث عن (مناهج التأليف في القصة القرآنية) وذلك كالمنهج (السردي) والمنهج (التحليلي) وهو الذي يعده

---

(١) شلتوت، محمود: تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٩ ، ص ٤٧.

البعض في مقدمة مناهج دراسة القصة القرآنية، كما ويشتمل أيضاً على المنهج (الموضوعي) الـــذي بدأ الاهتمام به يظهر بشكل واضح مؤخراً، وهو المعول عليه -حسب رأيي- لإبراز القيم الحقيقية للقصة القرآنية.

- ولأن هـــذا الاتجاه يتعاطى مع ذات النص القرآني حروفه وكلماته ودلالات آياته، فإن أصحاب قد عنوا ببيان جملة من القضايا والموضوعات عرضوا لها على تباين وتفاوت في درجة الاهتمام وفي التفصيل.

وأهم هذه القضايا والموضوعات هي:

١- تجميع آيات القصة الواحدة وترتيبها مع مراعاة التسلسل الزمني للأحداث، أو مراعاة ترتيب السور أحياناً أخرى.

٢- بيان معاني الألفاظ ودلالات التركيب.

٣- تحليل الأحداث والمواقف وشخوص القصة.

٤- الاهتمام بالروايات التي لها علاقة بالقصة، سواء أكانت صحيحة أم ضعيفة.

٥- تناول بعض الجوانب في توضيح وتحليل بعض الأحداث والمواقف فيما يتعلق بالمتشابه اللفظي وتكرار بعض المواقف.

٦- التركيز أحياناً على جانب من الموضوعات الدعوية والاجتماعية والأخلاقية مما يتناوله أو يعرض له القصص القرآني.

- ويدخل تحت هذا الاتجاه معظم كتب القصص القرآني، ومن ذلك.

١- قصص القرآن الكريم/ أ.د. فضل عباس.

٢- القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث/د. صلاح الخالدي.

٣- القصة في القرآن / محمد سيد طنطاوي.

٤- قصص القرآن/ أ.د. محمد بكر إسماعيل.

٥- مؤتمر تفسير سورة يوسف/ العلامة الشيخ عبد الله العلمي.

- ولا بـد لإبـراز القيمة العلمية الحقيقية لهذا الاتجاه من أن يكون الحكم على نتاج هذا الاتجـاه المتمـثل في تلـك الثروة العلمية الكبيرة التي ينتظمها، وهي متعددة ومتنوعة، وسيكون الحكم أدق وأصح عندما نحكم على هذه الثروة من خلال الحديث عن مناهج مؤلفيها، فكل منهج له وعليه.

وفي العمـوم، فـإن هـذا الاتجاه يمثل الأساس في هذه الدراسات التي خدمت القصة القرآنـية عـلى تعددهـا وتـنوعها، والتي أسهمت كثيراً في تجلية الأحداث وبيان المعاني والـدلالات، وفي إبراز كثير من القيم التي جاءت لأجلها القصة القرآنية، بل إن الأساس في هـذه الجهـود مهمـا تنوعـت اتجاهاتها وتعددت مناهجها فإن الأساس فيها هو (الاتجاه التفسيري).

غـير أن هـذه الخدمة لا تعني أن تلك الجهود قد وصلت إلى النهاية في خدمة القصة القرآنـية، بل هناك مجالات واسعة لا تزال بحاجة إلى من يطرق بابها، وينفذ من خلالها إلى جوانب أوسع وأعمق في دراسة القصص القرآني.

ثالثاً: الاتجاه التوجيهي الإرشادي:

ويهتم أصحابه بالكشف عما في القصة، أو القصص القرآني، من سنن وتوجيهات وإرشادات لمعالجة قضايا الحياة، ولإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع والأمم، والتركيز من خلال هذه التوجيهات على الجوانب النفسية والتربوية والإيمانية والدعوية، انطلاقاً من قول الله تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ" [يوسف: ١١١].

وقد يبرز هذا الاتجاه من خلال تناول قصة معينة والوقوف على مواطن العبرة فيها وتسجيل الدروس المستفادة منها.

ويبرز أيضاً من خلال النظر إلى مجموع القصص القرآني لاستخلاص قواعد عامة، وقضايا كلية في توجيهاته وما يعرض له هذا النص من دروس وعبر ومواقف دعوية وجهادية وإنسانية.

غير أننا لم نجد –حتى الآن– دراسة مستقلة تعالج هذه الجوانب بشكل متكامل – أقصد في كل القصص بشكل تكاملي– ولا شك أنها تحتاج إلى جهد مكثف وعمل موسوعي، ولو وجدت لكان لها دور كبير جداً في تحقيق كثير من أهداف القصص القرآني.

- وقد نجد أحياناً من الدراسات الموضوعية ما تناولت بعض هذه الجوانب، وهي لاشك خدمة لها قيمتها في سبيل إثراء هذا النوع من الدراسات.

كما نجد من هذه الدراسات ما تنوع بين الدراسات المبسطة التي تعرض لقضايا أولية في توجيهات القصة القرآنية، وبعضها تناول قضايا أعمق في دراسة هذه القصص.

ويدخـــل في هـــذا الجانب كثير من الكتب التي عنون لها أصحابها بموضوع (الدروس والعبر)، ويدخل أيضاً بعض المؤلفات التي أعدت للأطفال والناشئة، والتي تركز في كثير من جوانبها على تحقيق بعض التوجيهات والإرشادات التي تتناسب وهذه الفئة.

- ومن أهم الكتب التي تمثل هذا الاتجاه:

١- المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة/ د. عبد الكريم زيدان.

٢- مدرسة الأنبياء، عبر وأضواء/ محمد بسام رشدي الزين.

٣- الآباء والأبناء في القرآن/ إبراهيم محمد الجرحي.

٤- القصص القرآني تفسير اجتماعي/ راشد البراوي.

- أما أهم القضايا التي تندرج تحت هذا الاتجاه فهي:

١- بـــيان تفصـــيل ما في كل قصة من العبر والدروس، كل قصة بشكل مستقل، بالنظر تحديـــداً إلى ذات القصـــة لا إلى موضوعاتها، أما النظرة إلى الموضوعات فإنها ترتبط ارتباطاً واضحاً من خلال التعامل مع القصص في مجموعه، ولذلك تبرز من خلال هذه الـــنظرة أمور أخرى يجليها هذا الاتجاه، وهي متممة لما تقدم ذكره، ويمكن تسجيلها حسب النقاط التالية:

٢- بـــيان أحـــوال الإنسان وأسباب كفره وطغيانه، وحالاته التي يكون فيها بين الشك واليقين، وبين الكفر والإيمان.

٣- بيان مناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله وصبرهم وثباتهم في هذه الدعوة، وبيان مواقفهم الدعوية ذات الدلالات.

٤- بيان مواقف الثبات على الحق والصبر على تحمل أعباء الدعوة كما يظهر في مواقف كثير من شخصيات القصة القرآنية سواء الأنبياء أم غيرهم.

٥- بيان ما في هذه القصص من السنن الإلهية التي تخص الأفراد والجماعات، فيما يتعلق بالنصر والهزيمة والرقي والانحطاط ... إلى غير ذلك.

٦- بيان ما في هذه القصص من قضايا تخص الطبيعة والكون، وما فيه من نباتات وحيوانات وجمادات.

- وقد يتم تناول بعض هذه القضايا ضمن الاتجاه التفسيري على ما ذكرنا من أنه أوسع هذه الاتجاهات على الإطلاق، وذلك فيما تتقاطع فيه خطوط المنهج التحليلي مع المنهج الموضوعي.

إلا أن تناول بعض هذه القضايا تحت الاتجاه التفسيري بقي في حدود ضيقة لم تصل إلى حد التوسع أو التفصيل، مما سمح أن تكون مساحة الاهتمام بهذه القضايا تتشكل في جهود مستقلة هي ما سميته الاتجاه التوجيهي الإرشادي.

والذي أراه أن هذه الاتجاه على أهميته التي يمكن أن يحققها في سبيل خدمة القصة القرآنية، إلا أنه لم يأخذ مكانه المناسب في هذه الدراسات القرآنية، وما تحقق منه حتى الآن مما ذكرناه في بعض الكتب والمؤلفات، لا يعدو أن يكون بدايات ومقدمات لدراسات يجب أن تكون أصيلة ومتقنة في هذا ا لجانب.

ولا يــزال التركــيز عــند كثير من أصحاب هذا الاتجاه على قضايا فردية وإيمائية في مســتواها القريب، ولما تأخذ عند بعضهم جانب الاهتمام بالقضايا الكبرى التي تهم المجتمع المسلم والأمة الإسلامية والعالم كله...

رابعاً: الاتجاه المنحرف في تفسير القصص القرآني:

قــد يكون في إطلاق هذا الاسم حكماً على نتاج هذا الاتجاه ابتداءً بالرفض وعدم القبول، فــنكون بذلك قد أعلنا موقفنا منه مسبقاً قبل الوقوف على عناصره وأهم قضاياه، إذ الأصل أن يكــون الاسم وصفاً للحال لا حكماً عليه، لذلك ففي هذه التسمية — سواء فيما ذكرته أم فيما ذكرته قبلي كثير من الدراسات فيما تسميه (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن)- في ذلك قدر من الاستباق، وهو مسموح به هنا، إذ أن الحكم بالقبول أو الرفض المطلق لجهد معين يكون نابعاً من تحديد اتجاهه، ما دامت الآراء والمواقف ضمن هذا الاتجاه واضحةً بينة.

ولمــا كانت هذه المواقف متعددة، والآراء متنوعة، فإن أصدق ما توسم به من وصف جامع لها هو انحرافها وبعدها عن المنهج الحق، ومن هنا جاء هذا الاسم، قاصداً به الميل عن المنهج المستقيم في فهم الآيات وتحريفها عن موضعها، وحملها على المحامل الباطلة.

ويمكــن القول: إن الاتجاه المنحرف هو الذي يقوم على الخطأ والهوى المقرر مسبقاً، وعــلى الابتداع والتحريف في فهم آيات القرآن الكريم ما يخص القصة تحديداً، وتوجيهها توجيهاً خاطئاً، وفقاً لمعتقدات وآراء مغلوطة مقررة عند أصحابها.

وقد حاول أصحاب هذا الاتجاه تحقيق ضلالهم وانحرافهم وغاياتهم من خلال فهمهم الخاص وتعاملهم مع آيات القرآن، والذي يعنينا من ذلك تحديداً هو موقفهم من آيات القصص، والسبب الذي دعاهم للاهتمام بها بشكل خاص.

يقول شيخنا الأستاذ الدكتور فضل عباس حفظه الله: "ويظهر أن القصة القرآنية إنما كانت الهدف؛ لأنها الموضوع الذي يستطيعون أن يتسربوا من خلاله إلى الموضوعات القرآنية الأخرى، هـذا أولاً. وأما ثانياً: فلأنهم ظنوا أن التمويه في قضية القصة قد يسهل عليهم أكثر من غيره من بقية الموضوعات.

وأما ثالثا: فقد رأوا أن هناك عوامل مشتركة بين القصة القرآنية والقصة الحديثة، ومن هنا يمكنهم التخليط، كما يمكنهم أن يدسوا سمومهم وهم يتظاهرون بتطبيق قواعد القصة الحديثة على القصة القرآنية بحسن نية دون أن يثير عليهم أي عاصفة من قبل المسلمين المؤمنين بكتاب الله"[1].

وإذا كـان الهدف في هذه الدراسات أن نقف مع هذه الانحرافات، فإنه لا يسع أن نعرض لتأويلات وانحرافات جميع الفرق التي ظهرت على مدى التاريخ الإسلامي فيما يخص موقفها من القصة القرآنية، وذلك لأكثر من سبب:

١- أننا لم نجد دراسة مستقلة خصصت للحديث عن القصص القرآني عند إحدى تلك الفرق، وما وجدناه فقط كان عند (الإسماعيلية)، وقد عرضت له في المبحث الأول من الفصل الثاني، عند الحديث عن كتاب (أساس التأويل) للنعمان ابن حيون التميمي المغربي، ت(٣٦٣هـ).

(١) فضل عباس: قصص القرآن الكريم ، ص ٥٢.

٢- أنـــنا لم نجد موقفاً خاصاً لهذه الفرق في تأويلاتهم وانحرافاتهم يتعلق بالقصص القرآني تحديـــداً، وإنمـــا امتدت تلك الانحرافات والتأويلات على مساحة القرآن الكريم كله، فكان للقصة نصيب منها كما كان لغيرها من الموضوعات.

ولكنني سأذكر بعض الأمثلة التي تدل على موقف بعض هذه الفرق في تأويلهم لآيات القـــرآن الكـــريم، وتحديداً فيما يخص آيات القصص، كما سأعرض لبعض الآراء والمواقف الشخصية عند بعض الكاتبين والمؤلفين ممن تدخل آراؤهم تحت هذا الاتجاه.

ولكن قبل ذلك لا بد من بيان أمرين اثنين مهمين يتصلان بموضوعنا هذا:

الأول: أنواع الأخطاء التي يقع بها المفسرون بشكل عام.

الثاني: مظاهر الانحراف في تفسير القرآن الكريم.

ثم أذكر بعد ذلك أشكال الانحراف في التعامل مع القصص القرآني كما أراها.

الأمر الأول: أنواع الأخطاء التي يقع بها المفسرون بشكلٍ عام:

"إن بعـــض الدارسين لا يحسنون تصنيف الأخطاء التي يقع بها المفسرون، ولا يفرقون بيـــنها، ويعتـــبرون الأخطاء كلها بدرجة واحدة، وأن هذه الأخطاء دليل على إبطال علم المفسر الذي صدرت عنه، والطعن فيه وفي دينه وتقواه وعلمه"[1].

وقد صنف الدكتور صلاح الخالدي هذه الأخطاء إلى ثلاثة أصناف:

---

(١) د. صلاح الخالدي، تعريف الدارسين، ص ١٢١، وانظر: الأصناف التي ذكرها الدكتور في كتابه، ص ٤٩٦، وانظر تفصيلها، ص ١٢١-١٢٥.

مثال ذلك تفسير الصوفي (أبي عبد الرحمن السلمي) ت (٤١٢هـ) لقوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ" [النساء:٦٦]، حيث قال: "اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ" وذلك بمخالفة هواها، "أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم" أي اخرجوا حب الدنيا من قلوبكم".

٢- أن يكـون المعـنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته صواباً، لكن اللفظ القرآني لا يدل عليه، فيحمل اللفظ القرآني على ذلك المعنى مع نفي المعنى الظاهري الذي يدل عليه.

مـثاله ما قاله (سهل بن عبد الله التستري) ت(٢٨٣هـ) في تفسير قوله تعالى: "وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" [البقرة:٣٥]، حيث قال: "لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره".

٣- أن يكـون المعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته خطأً، ولا يدل عليه اللفظ القرآني، فيحمل اللفظ القرآن على ذلك المعنى دون نفي للمعنى القرآني الحقيقي الذي يدل عليه ظاهر اللفظ.

مثاله ما ورد في التفسير المنسوب (لمحيي الدين ابن عربي) ت(٦٣٨هـ)، وهذا التفسير في حقيقته (لعبد الرزاق القاشاني) ت(٧٣٠هـ)[1]، حيث ورد في تفسير قوله تعالى: "وَاذْكُرِ

(١) انظر: الذهبي: التفسير والمفسرون، ج٢، ص ٢٠٠.

ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾" [المزمل:٨]، حيث قال: "اذكر اسم ربك الذي هو أنت، أي: اعرف نفسك، ولا تنسها فينساك الله".

٤- أن يكـــون المعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته خطأ، واللفظ القرآني لا يدل عليه، فيحمل اللفظ القرآني على ذلك المعنى، وينفي المعنى الحقيقي الظاهري.

مثاله ما فسر به بعض غلاة الشيعة قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً" [البقرة:٦٧].

وإذا كانت هذه هي مظاهر الانحراف في تفسير القرآن الكريم فقد طالت هذه المظاهر آيات القصة القرآنية تحديداً كما ظهر في بعض الأمثلة السابقة، وقد كان لكثير من الكتّاب والمؤلفـــين مواقـــف متعددة في فهم آيات القصص وتفسيرها مما ينطوي تحت هذه المظاهر، ويمكـــن بيان ذلك من خلال الحديث عن أشكال الانحراف في التعامل مع القصة القرآنية، وهذا هو الأمر الثالث.

الأمر الثالث: أشكال الانحراف في التعامل مع القصة القرآنية[1]:

يمكن أن نجمل الآراء المنحرفة في فهم القصص القرآني وتفسيره في الأشكال التالية حتى يسهّل علينا ذلك فهم هذه الانحرافات والتعامل معها.

الشكل الأول: القائلون بالخيال في القصص القرآني.

---

(١) حاول الدكتور الذهبي الوقوف مع الاخباريين والقصاص في بيان الاتجاه المنحرف في التفسير عندهم، لكنه لم يتجاوز أن حصر ذلك في موضوع الإسرائيليات، (الاتجاهات المنحرفة في التفسير/ص٢٥).

الشكل الثاني: المؤولون لآيات القصص القرآني.

الشكل الثالث: الآراء الشخصية لبعض الكاتبين.

الشكل الأول: القائلون بالخيال في القصص القرآني:

يقـــول الشـــيخ شلتوت –رحمه الله-: "بقي أن جماعة من متفلسفة هذا العصر حاولوا أن يعيدوا بعض آراء قوم حكموا عقولهم فيما قصه الله فقالوا: إن مثل هذا القصص لا يلزم أن يكون صادقاً يحكي واقعاً صحيحاً، وإنما يجوز أن يكون القرآن جاري فيه معلومات عامة اشتهرت على تعاقب العصور من غير أن يكون لها أصل كوني، وأن القرآن حدث القوم بما يتناقلون من معارف مأثورة، وإن لم يكن لها واقع صحيح، قالوا: ومن الجائز أن يكون القرآن هو الذي وضعها ابتداءً بقصـــد التخييل لغرض صحيح، وهو التأثير على القوم في سبيل اعتناق الحق الذي يدعون إليه، وإجابة الله لهم على النحو الذي أجاب به افتراضاً وتخييلاً، وكل ما تضمنته هذه الآيات من نسب هـــي حكايات عن مفروض متخيل، لا واقع له تنطبق عليه وإنما هي تخييل في تخييل، واختراع في اختراع "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝" [الكهف:٥][1].

إن هؤلاء ينفون الصدق عن أخبار القصة القرآنية، ويعدون ما فيها من أحداث وحوارات إنما هو خيال وليس إخباراً بما حصل.

ويبين الشيخ شلتوت موقف القائلين بالتخييل ويعرف التخييل فيقول: "هو صرف للألفاظ عـــن معانيها الحقيقية لا إلى واقع يزعم ويدعي أنه مراد، وإنما إلى تخييل ما ليس بواقع واقعاً، فلا يلـــزم فيه الصدق ولا أن يكون إخباراً بما حصل، وإنما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من

---

(١) شلتوت: تفسير القرآن ، ص ٢٧٣.

حكايـــات بـــين أشـــخاص مفروضين، أو على ألسنة الطيور والحيوانات، للإيحاء فقط بمغزى الحكايات من الإرشاد إلى فضيلة والحث عليها، أو التحذير من رذيلة والتنفير منها"[1].

ثم يبين –رحمه الله– فساد هذا الرأي ومنافاته لقدسية القرآن، فيقول: "وهذه آراء –فضلاً عمـــا لهـــا من نتائج سيئة– تذهب بقدسية القرآن من النفوس، وتزيل عنه روعة الحق، وتزلزل قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع، وأخبار ماضية، وأحوال مستقبلة، وتفتح لكل إنسان أن يقول في كل هذا: ليس له مدلول ولا واقع يدل عليه، وإنما هو إما مجاراة لخطأ أو تخييل سبق لمجـــرد بعث الرغبة أو الرهبة أو العظة، وتقويم النفس، وإصلاح المجتمعات، ولا يلزم أن يكون لما سبق لهذا الغرض واقع صحيح ينطبق عليه.

هذه الآراء فضلاً عما لها من تلك النتائج السيئة هي فاسدة في ذاتها؛ لأن القرآن عربي، نزل بلغة العرب، وقانون اللغة المتواتر يقضي بحمل الكلام على ظاهره، وما تدل عليه ألفاظه من المعاني المعروفة لها عند المخاطبين، ما لم يمنع ذلك الحمل مانع، فيصار تحت ضغط هذا المانع إلى التأويل كالمتشـــابه، أو التخييل كما في رؤوس الشياطين، وكما في "قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ"[فصلت:١١]، وعندئذ فقط يصرف الكلام عن ظاهره"[2].

والأصـــل في هـــذه القضية ما كان يدعيه المشركون وقت نزول القرآن الكريم، إذ كانوا يدعـــون أن ما يخبر به الرسول ﷺ إنما هي أساطير تملى عليه، وقد سجل القرآن ذلك ورد عليه، ومن الآيات التي سجلها القرآن:

---

(١) شلتوت: تفسير القرآ،، ص ٤٦ بتصرف.

(٢) شلتوت، تفسير القرآن، ص ٢٧٣.

- "وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ۝" [الفرقان:٥].

- "وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝" [النحل:١٠٣].

- "وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝" [الأنفال:٣١].

ثم انتقلت عـدوى الشرك والكفر هذه وتتابعت، فقد وجدنا اليهودي (يوسف بن إسماعيل ابن السـنغريلة ت(٤٩٩هـ) ألف كتاباً في تناقض القرآن، ادعى فيه تناقض القصص القرآني، وقد ردّ عليه الإمام ابن حزم الظاهري ت(٤٥٦هـ) وفي رسالة سماها (الرد على ابن النغريلة)[١].

ونجد البهائية[٢] أبتاع ميرزا حسين علي المقلب ببهاء الله ت(١٣٠٩هـ).

نجـد أهم يعدون القصص القرآني غير واقع، وأنه لا يمكن للمؤرخ أن يستمد معارفه التاريخية من آيات القرآن، وأن الأنبياء تساهلوا في معارفهم التاريخية، وستروا الحقائق تحت أستار الإشارات[٣]...

---

(١) ابن حزم الأندلسي: الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة العروبة، مصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٧٢، ٦٠، ٥٠.

(٢) وهي فرع من البابية التي تزعمها (ميرزا علي محمد) الملقب بالباب، وظهرت في إيران، وادعى (ميرزا) أنه المهدي المنتظر، ثم بعد إعدامه قام بالأمر من بعده (ميرزا حسين علي) المقلب ببهاء الله، ولقب أتباعه بالبهائيين لذلك، وهي من الفرق الباطنية الضالة/ صابر طعيمه: العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م، ص ٣٢٧.

(٣) بلبول: القصص القرآني، ص ٤٩٧.

ثم كان من المعاصرين الدكتور طه حسين الذي ردد دعوى الشرك والكفر التي أحياها المستشرقون، فنفى هجرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى مكة.

ثم كـــان بعـــد ذلك كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله (الفن القصصي في القرآن) الذي مثل فيه دعوى نفي الواقعية عن القصة القرآنية، وأنها أساطير، تمثيلاً صارخاً تجاوز فيه من سبقه بإقامة دعواه تلك على آيات القرآن وإثبات فنية القصة القرآنية.

وقد بنى رأيه على أن القصة القرآنية عمل أدبي متخيل ... وأن منهج القرآن هو معالجة القصة معالجة أدبية بلاغية لا يقصد منها تعليم الناس التاريخ أو شيئاً من حقائق الأحداث، إنما يقصد إلى المعاني الأدبية والبلاغية التي تكشف عن الاستثارات النفسية والعاطفية[١].

ويـــبني على هذا المعنى أساساً عنده في النظر للقصة القرآنية، وهو أنها لا تكون دائماً مطابقة للحق الواقع، وأن القرآن اكتفى في ذكرها بما هو المشهور والمتداول، دون النظر إلى الحق التاريخي والواقع العملي[٢].

ويـــبين أن القرآن لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه، وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: "وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ

---

(١) محمد خلف الله: الفن القصصي، ص ٦٤، ص ٧٤.

(٢) انظر: خلف الله، الفن القصصي، ص٦٨، ص ٩١.

عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝" [الفرقان:٦،٥]"[1].

على أن القرآن إنما نص على أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتبها وتملى عليه، ويثبت أنها من عند الله، فالقرآن فيه أساطير لكنها من الله وليس من محمد ﷺ.

وقد تجاهل الدكتور أو جهل أن سياق آية الفرقان لم يتطرق للقصص أو الحوادث، إنما كان حديثاً عن القرآن الكريم في مجمله، كما أن الرد الذي ساقه القرآن على كلام المشركين وهو قوله: "قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝" [الفرقان:٦]، "إنما هو رد على أن يكون القرآن أساطير، فهو رد على القيد والمقيد"[2].

ولما كانت هذه الجهود السابقة قد أخذت حقها في النقد والتوضيح حسب رأيي[3]، فإنني سأشير إلى دراسة صدرت حديثاً عام ١٩٩٦م بعنوان (قصص القرآن، والقصص في الديانات الأخرى، دراسة مقارنة)، للدكتور خالد صناديقي، وهي تستحق أن ينبه على ما فيها من أباطيل وضلالات، حيث نفذ إلى فكرة الخيال والأساطير والرمزية من خلال تسويغات ومناقشات لا تخفى على ذي لب.

---

(١) محمد خلف الله: الفن القصصي، ص ٢٠٥.

(٢) فضل عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٧م، ص ٤٢٨.

(٣) انظر بسط هذه الأقوال وهذه المواقف ومناقشتها والرد عليها عند كل من: فضل عباس، قصص القرآن الكريم. التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، بلبول: القصص القرآني، ص٤٣١ ، بحث التفسير البياني للقص القرآني- د. محمد بلتاجي، ص ٩٩، مجلة أضواء الشريعة.

- قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى/ د. خالد صناديقي:

يقـــع الكـــتاب في سبعين وأربعمئة صفحة، قسمه حسب عنوانات متتابعة دون ذكر فصـــول أو مباحث، وقد ابتدأ بقصص من حياة الرسول ﷺ مثل: (الولادة وشق الصدر، والمعـــراج، وانشـــقاق القمـــر) ثم قصص من العقائد الإسلامية -كما يسميها هو- مثل: (الملائكـــة، إبلـــيس، هاروت وماروت...) ثم القصص العربية في القرآن مثل: (قصة عاد، وثمود، والأخدود، والخضر)، وهكذا هي تقسيمات الكتاب عنده.

ومـــن يقرأ كتاب الدكتور يلمس بوضوح ضعف معارفه الدينية من جهة، واختلاط كـــثير مـــن المفاهيم والمبادئ والقيم الدينية لديه، إضافة إلى سوء قصده كما هو ظاهر في كتابه، وكما سيظهر تباعاً إن شاء الله.

وأول ما يفجأوك ما سجله على غلاف الكتاب تعريفاً به إذ يقول: "يتناول - أي هذا الكتاب- الأساطير والقصص في الأديان، وكيف عجز الفكر الإنساني البدائي عن استيعاب فكرة الإله المجرد".

والقـــارئ يـــلمس فعلاً استحسانه الشديد للأساطير والخرافات التي ينقلها في كتابه، حيـــث تكلم في معظم كتابه عن قصص التوراة والأسفار وما فيها من أباطيل، ويقارنها بما ورد في القرآن الكريم.

والجانـــب الأخطـــر هـــنا أنه يقوم بهذه المقارنة ليس بما ورد في القرآن الكريم من آيات القصص، وإنما بما يرويه القصاص ويذكره الكتاب والمؤلفون من هذه القصص، ولذلك فقد حكم

على القصة القرآنية بأنها ما يجده في هذه الروايات وهذه المنقولات، ومن هنا فقد جاءت النتيجة عنده المطابقة والموافقة والتماثل –كما يعبر هو– بين هذه القصص في الديانات... وليس عجباً أن يصل إلى هذه النتيجة إذا كانت نظرته للقصة القرآنية أنها تلك الروايات وما يرويه القصاص؛ لأن معظم هذا نجده في الغالب يرجع إلى الإسرائيليات.

وإذا كان هذا منهجه في المقارنة وفهمه للقصص القرآني، فإنه بذلك يتجنى بحقد غليل ليقول عنه إنه رمز وأساطير لما فيه من التناقض والتعارض والبعد عن الواقع... وهذا ما صرح به كما سيظهر مما سننقله عنه بعد قليل.

ومما يؤكد لك قلة الوعي الديني الذي يملكه الدكتور أن تستمع إليه وهو يتحدث عن اليهودية والمسيحية والإسلام.

فهو يرى أن "المسيحية، بالرغم من التثليث تعتبر من الديانات التوحيدية، وذلك لأنه بالرغم من وجود إلهين في هذه الديانة "الأب والابن" إلا أن الإرادة الإلهية موحدة لا تضارب فيها"[1].

ويتكلم عن التوراة فيقول: "ففي كتب التوراة الخمسة نجد الكثير من القصص الديني الوثني، إلا أن هذا القصص قد نقي بالوحي الموسوي ... والصورة النهائية للتوراة الحالية هي من وضع الحبر عزرا "عزير" الذي جمع فيها عدة صور من التوراة القديمة، وأضاف إليها بعض الشروحات والتفاصيل بفكر إلهامي"[2].

---

(١) خالد صناديقي: قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى "دراسة مقارنة"، ط١، ١٩٦٦م، ص ١٨.

(٢) صناديقي: قصص القرآن ، ص ١٨.

وأيـــن الدليل على أن عزير هو الذي وضع التوراة بصورتها النهائية، وهل معنى الفكر الإلهـــامي الوحـــي من الله؟!!! ثم كيف يمكن أن ينقّي القصص الديني الذي كتب في كتب التوراة الخمسة –كما يقول– بوحي موسوي؟ فهل كتبت التوراة قبل موسى وفيها قصص ديـــني وثـــني ثم نقـــاه موسى عليه السلام أم ماذا؟ واسمع عبارته مرة أخرى يتكشف منها العجب.

وعـــن الإســـلام يقول: "أما الإسلام فنرى فيه بقايا واضحة من التوحيد الإبراهيمي، والكـــثير ممـــا وصل إلى اليهودية، إلا أن الوحي الإسلامي الذي لا يسمو عليه وحي أعاد صـــياغة القصص التي وصلته بوحي جديد ... كما وضع في الوحي المحمدي ضوابط تمنع اندماج المعارف الإلهية بالمعارف الدنيوية الشيطانية"(١) هذه هي عبارته.

بعـــد هذا ينتقل الدكتور إلى عنوان جديد (عالم المثال، عالم الخيال، عالم الرمز) وهو يـــريد من خلال هذا أن يصل إلى نتيجة واحدة يؤكدها تمام التأكيد بعد أن ينحي عقيدته جانـــباً إذ يقول: "وبالرغم من عقيدتي الإسلامية ومن إيماني بعظمة الإسلام إلا أني لم أجعل العقـــيدة بحـــد ذاتها أساساً لأي استنتاج أو مناقشة"(٢)، لذلك فقد اعتمد في دراسته على "نظـــرية تعدد وجوه المعرفة"(٣)، ولم يبين لنا قصده من هذه النظرية في مقابل تنحية عقيدته الإسلامية جانباً ...

(١) صناديقي: قصص القرآن ، ص ١٩.
(٢) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٢٢.
(٣) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٢٣.

المهـــم أنـــه يـــريد أن يؤكد أن الإنسان "لجأ إلى الرمز ليعبر عن الأفكار التي يصعب تصـــويرها بشـــكل مباشـــر، وأن الرمز كالواقع معرفة نهائية، بل إن التصور الرمزي يفوق التصور الواقعي"[1]، ثم ينقل عن أحد الكتّاب واسمه جوزيف كامبل قوله: "والأفضل للفكر من اللاتعبير أن يعبر بأفكار غامضة، أو أن يعبر بالأسطورة، فما الأسطورة إلا مجال الإشارة إلى السمو المطلق"[2].

يَعْـــبُر الدكتور بعد ذلك إلى عنوان آخر (عالم الرمز والقصص القرآنية) يؤكد فيه ما ذكره قبل منْزلاً ذلك على قصص الوحي.

يقـــول: "الوحي في عالم الرمز معارف جاءت من عالم القدس وتنَزلت إلى عالم الرمز الـــذي كساها صور الرمزية، ثم تصورت كمعارف رمزية في قلب الموحى إليه الذي تحدث عنها كما شاهدها وعرفها، بالصورة الرمزية"[3].

ثم يؤكد بعد ذلك "أن بعض القصص القرآني لا يمكن تفسيرها تفسيراً ظاهرياً كقصة ســـليمان مـــع النمل، حيث تتحدث فيها النملة بلسان عربي فصيح، والنمل –كما يقول العـــلماء– ليس له عضو تصويت، ويتخاطب عن طريق الشم، وهذه القصة هي رمز لإيمان سليمان الذي صار يرى قدرة الله وتجليه في جميع مخلوقاته حتى في النمل"[4].

وهنا يعلن الكاتب موقفه بكل وضوح حيث يقول:

---

(١) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٢٤.

(٢) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٢٤.

(٣) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٣٥.

(٤) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٣٨.

"إلا أن القــرآن الكريم أنزل للهداية لا للتأريخ، وإذا أخذنا القصص بمعناها الظاهري فقط لصارت قصص القرآن تشابه قصص ألف ليلة وليلة من كونها قصصاً مقصورة لمعناها الظاهر فقط، بينما نحن نعلم أن هذه القصص لها مغزى ديني رفيع، وإلا لما تنزلت في القرآن الكريم، وهذا المغزى الذي نتحدث عنه هو رمز هذه القصة.

فلــو أخذنــا قصة يوسف مع امرأة العزيز بمعناها الظاهري فقط لصارت مجرد قصة غرامية. ...

ولكن جمال هذه القصة في رمزيتها، فالرغبة الجنسية رغبة عارمة "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا" ولكن الروح الدينية الصافية أقوى منها..."[1].

وهو بقوله إن القرآن أنزل للهداية لا للتأريخ لا يريد مدحاً للقرآن بل التأكيد على هذا الجانب الرمزي الخفي في هذه القصص، حيث يرى أن قصص القرآن غير مقصود لظاهره، وانظــر إلى هذا المغزى الديني الرفيع في قصة يوسف مع امرأة العزيز –كما يسميها– حيث تمثل هذا المغزى في الرغبة الجنسية العارمة، ولا ندري أين هي الرمزية التي يريدها؟

ولكي يصل الدكتور إلى ما يريد في الطعن في واقعية القصة القرآنية يقسم الواقعية إلى نوعين:

١- "واقعــية تاريخية تعتمد على دراسة نصوص تاريخية وآثار قديمة"[2]، وبالطبع القصة القرآنــية لــيس لها واقع تاريخي؛ لأنه لا أحد درسها من خلال النصوص التاريخية

---

(١) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٣٨.

(٢) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٣٩.

والآثار القديمة، فلا بد أن تكون من نوع آخر من الواقع، وهذا ما ذكره الدكتور في بيان النوع الثاني للواقعية التي يريدها، فلننظر إلى ذلك.

٢- "الواقعية العقائدية، وتعتمد على الفقه والإيمان بنصوص كتابية دينية ... وتقبل التعدد والتضارب في نصوص القصة الواحدة"[١]، إذا فهي ليست واقعية تاريخية، ووالله إن هذا لخبث ما بعده خبث.

ويختم الدكتور حديثه في هذه المقدمات والتمهيدات التي وصلت أربعين صفحة، يختم بتوجيه اتهام خطير لدارسي القصص القرآني من العلماء المسلمين، ولكنه لا يزال واقعاً في خطأ منهجي واضح، إذ يرى أن القصص القرآني هو ما نقرأه من الروايات وما يرويه القصاص.

يقول: "وبما أن الهدف من القصص الديني هو الوعظ والإرشاد، نرى أن اختلاف نصوص القصة الواحدة يؤدي إلى إغناء هذه القصة بمواعظها وقواعدها السلوكية، ولهذا نجد أن المفسرين قد حرصوا على عرض هذه النصوص على اختلافها بدلاً من الاكتفاء بأحد النصوص.

وإذا رفض عالم أو مفسر قصة ما، فإن رفضه لها لا يرجع لضعف في الأصول التاريخية لهذه القصة، وإنما يرفضها لأن الأفكار التي توحيها هذه القصة غير مقبولة له، أو أن القواعد السلوكية التي تطرحها هذه القصة تخالف ما يريده من القصص الديني، ونعرض في هذا المجال قصة توراتيه عن النبي لوط، فتذكر هذه القصة بأن لوطاً وابنتيه سكنوا إحدى المغارات

---

(١) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٣٩.

بعد تدمير قوم لوط، وخافت ابنتاه ألا تجدا من يتزوجهما في تلك المنطقة المهجورة فأسكرتا أباهما ونامتا معه، وكانت النتيجة أن حملتا من أبيهما.

وقد رفض علماء المسلمين هذه القصة لأنها تبرر شرب الخمر والزنى من البنات من قبل الأنبياء الذين هم قدوة للناس، بالإضافة إلى عصمتهم عن الخطأ"[1].

وإذا كان العلماء قد رفضوا هذه الرواية فلا لأنها تبرر شرب الخمر والزنى من البنات، بل لأنها رواية باطلة لا أصل لها، إضافة إلى أنها تطعن في عصمة الأنبياء، فكيف يدعي الكاتب أن العلماء المسلمين لم يرفضوا مثل هذه الروايات لضعف في الأصول التاريخية، وما دليله على ذلك؟

وبعد: فهذه هي الأصول التي اعتمدها الكاتب وبنى عليها تصوره في فهم القصص القرآني والتعامل معه، وهي لاشك باطلة غير مبنية على أساس منهجي أو علمي رصين.

وقد احتوى الكتاب مادة كبيرة تحتاج إلى نقد وتوضيح، ولا تكاد تمر بصفحة واحدة فيه إلا وفيها قضيتان أو أكثر، كل واحدة أخطر من أختها، وهو يستحق أن تبين فيه هذه الأخطاء وينبه على ما فيه من أخطار، فإن كثيراً منها قد يدق على غير المتخصص المتفحص.

الشكل الثاني: المؤولون للقصص القرآني:

كنت قد اخترت قبل هذه العنوان عنواناً آخر، وهو (المؤولون لآيات القصص القرآني)، ولكنني وجدت بعد القراءة والاطلاع في هذه الجانب أنني لو أردت تتبع المسالة وفق هذا المنهج لامتدت وتوسعت هذه الدراسة كثيراً، ذلك أن هذا الأمر يقضي منا أن

(١) صناديقي: قصص القرآن ، ص ٤٠-٤١.

نقـــف مع مسألة التأويل في إطارها العام الذي يتناول الآيات القرآنية بالتأويل، بغض النظر عن موضوعها، سواء أكان موضوعاً عقدياً أم فقهياً أم قصصياً.

ومن ناحية أخرى وجدت أنه لا بد لتحقيق الجانب المنهجي من أن يكون حديثي هنا عـــن الذين سلكوا منهج التأويل في تفسير القصة القرآنية وبيان قضاياها، لا أن أتتبع حركة التأويل في دورانها في فلك النص القرآني كله.

- معنى التأويل الذي أقصده هنا:

لســـت أقصد بالتأويل هنا المعنى الذي اشتهر عنه الأصوليين الذي قصدوا به "صرف اللفـــظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله الدليل يصيره راجحا"[1]، فإن هذا تأويل صحيح مقبول.

ولســـت أقصـــد به -أيضاً- ذلك المعنى، أو المعاني التي يتداولها المفسرون، والتي تدخل في المدلول العام لكلمة (التفسير) من حيث إن التأويل بيان لمعنى القرآن وكشف عن المراد منه[2].

وإنمـــا أقصد هنا ذلك التأويل الذي يتناول "النصوص البينات المحكمات، بحملها على معانٍ باطنه غير ما يفهم من ظاهرها... والميل بها عن المقصود منها"[3].

أو إن شـــئت فقـــل هو: "لي أعناق ا لنصوص عن معانيها المتبادرة منها أو المترجحة بالقرينة، وتحميلها ما لا تحتمله من المعاني التي لا تقرها اللغة العربية ولا فقه اللغة، فأصحاب

---

(١) الشوكاني: محمد بن علي محمد: إرشاد الفحول إلى علم الأصول، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط١، ص ١٧٦.

(٢) لمعرفة معنى التفسر والتأويل والفرق بينهما، انظر: محمد سالم أبو عاصي: مقالتان في التأويل، معالم في المنهج ورصد الانحراف، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ص ٣١.

(٣) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص ٣٣٩.

هـــذا التأويل يطلقون العنان لكل إنسان أن يفسر النص بما يشتهي من تحليلات وهمية تخيلية يفتريها من عنده، فللنص الواحد من المعاني بقدر قرائه"(١).

وإليك المثال من كلام الصوفي محمد أمين شيخو في كتابه: عصمة الأنبياء، وفيه الكثير من التأويلات.

ففي تفسيره لقوله تعالى من قصة آدم عليه السلام: "يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" [طـــه:١٢٠]، يقول: "والمراد بشجرة الخلد أي الشجرة التي إن أكلت منها خلدت في الجنة، أي في ذلك النعيم النفسي الذي تجده بالقرب من خالقك، والمراد بكلمـــة "وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ": أي ملكت ذلك الحال النفسي الذي أنت فيه، فلم تنقطع عن هذا الشهور للكمال الإلهي وظللت دائم الأنس به"(٢).

وفي تفسيره لمعنى كلمة (سوءاتهما) في قوله تعالى: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا" [الأعـــراف:٢٠]، يقول: "فقد كان يريد بوسوسته لهما أن يسوءهما ويحزنهما بتحويلهما عن الله والإقبال عليه"(٣).

---

(١) محمد أبو عاصي: مقالتان في التأويل، ص ٥٣.

(٢) شيخو: محمد أمين: عصمة الأنبياء، تحقيق: عبد القادر الديراني، مكتبة البشير، دمشق، ط١، ١٩٩٦، ص ٦٧.

(٣) شيخو: عصمة الأنبياء، ص ٦٩.

وفي قوله تعالى: "فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا"[الأعراف:٢٢]، يقول: "أي ظهر لهما ما يسوؤهما من الخروج من ذلك الحال النفسي الجميل الذي كانا فيه، فأصبحت حياتهما كربا وأحزاناً بهذا التحول وذلك الحياء والخجل..."(١).

وإلى محاولة آدم عليه السلام وزوجه أن يعود لهما ذلك الحال الأول الذي كانا فيه – كما يقول المؤلف- تشير الآية في قوله تعالى: "وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ" [الأعراف:٢٢]، يقول: "وطفقا أي شرعا وأخذا، ويخصفان: أي يُدنيان منهما، والورق: هو ما يستر الأذى عن الثمر ويكون سبباً في نمائه الجيد ونضارته وحسنه، والمراد بورق الجنة هنا: ذلك الالتجاء والتذلل الذي به يعود لهما ذلك النعيم وتلك الحالة النفسية الجميلة التي كانا فيها، ويكون ما نفهمه من كلمة وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة: أي شرعا في الحال وبادرا إلى الالتجاء إلى الله تعالى والتذلل الذي يعيد لهما ذلك التجلي الإلهي الذي به نعيم نفوسهما ودوام أنسهما بربهما"(٢).

والتأويل بالمعنى الذي ذكرناه "مدخل واسع للهدامين الذين أرادوا الكيد للإسلام وأمته بدعوى أن لكل ظاهر باطناً هو المقصود، والظاهر هو القشر، والباطن هو اللب، وهو ما زعمته (المدرسة الباطنية) بكل فئاتها، ومختلف أسمائها، من قرمطية وإسماعيلية ونصيرية ودرزية.

---

(١) شيخو: عصمة الأنبياء، ص ٦٩.

(٢) شيخو: عصمة الأنبياء، ص ٧٠.

ولو صدق هؤلاء لأعلنوا أن لهم ديناً مغايراً تماماً لدين الإسلام، ولا صلة له بقرآن ولا حديث، بل مغايراً للأديان السماوية كلها، بل الواقع أنهم لا دين لهم، فحاصل مذهبهم كما يقول الإمام الغزالي –طي بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على أتباع اللذات، وطلب ا لشهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات.

فهم امتداد للمزدكية المجوسية الفارسية الإباحية، إنما تمسحوا بالدين ليهدموه باسم الدين، وتعلقوا بالإسلام ليضربوه من داخله.

ولما كان القرآن محفوظاً من كل تغيير وتبديل في ألفاظه، فلا يمكنهم الزيادة فيه أو النقص فيه، لم يجدوا حيلة أمامهم إلا هذا التأويل المفترى، وهذا الإدعاء ببواطن خفية، يقولون فيها ما يشاؤون دون ضابط من لغة أو عقل أو شرع"[1].

وقد عرضت فيما تقدم لنموذج واضح يمثل موقف الباطنية من القصص القرآني وتعاملهم معها بما لا داعي لإعادة الكلام فيه هنا[2].

"وفي عصرنا وجدنا الفئات المارقة المنحرفة – على تفاوت بينها- تلوذ بمخبأ الإسراف في (التأويل) تحتمي به، وتستند إليه، وتعتمد عليه، عوضاً عن رفضها صراحة للنصوص الثابتة المحكمة، فترفضها الأمة، وتفصلها عن جسمها الحي، فتموت حتماً"[3].

---

(١) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن ، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٢) انظر: المطلب الأول من المبحث الأول من الفصل الأول من هذه الرسالة.

(٣) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، ص ٣٥٧.

ومن هذه الفرق البابية البهائية والقاديانية، وهي من الفرق الباطنية الضالة المنحرفة عن منهج الحق وطريق الإسلام.

"فالبهائـــيون يؤمنون أن القصص القرآني غير واقع، وأنه لا يمكن للمؤرخ أن يستمد معارفه التاريخية من آيات القرآن، وأن الأنبياء تساهلوا في معارفهم التاريخية وستروا الحقائق تحت أستار الإشارات"[1].

وهذه بعض نماذج الضلال والانحراف عندهم في تأويل آيات القصص:

- في قوله تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ" [يوسف:٤]، يقول ميرزا محمد علي المقلب بالباب: "وقد قصد الرحمن من ذكر يوســـف نَفَس الرسول وثمرة البتول حسين بن علي بن أبي طالب مشهوداً .... وأن الله قد أراد بالشمس فاطمة وبالقمر محمد، بالنجوم أئمة الحق في أم الكتاب معروفاً..."[2].
- في تفســـير قوله تعالى: "قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝" [يوسف:٥] يقول: "إذ قال علي يا بني لا تخبر مما أراك الله من أمرك لاخوتك ترحما على الفهم وصبراً لله العلي وهو الله كان عزيزاً حميداً، أن كنت تخبر من أمرك في بعض ما قضى الله فيك فيكيدوا لك كيداً بأن يقتلوا أنفسهم في محبة الله من دون نفسك الحق شهيداً"[3].

---

(١) بلبول، القصص القرآني، ص ٤٩٧.

(٢) ميرزا محمد مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، ص ٣٠٩، ط١، مجلة المنار، مصر، ط١ ، عام ١٣٢١هــ، ص٣٠٩.

(٣) ميرزا، مفتاح باب الأبواب ، ص ٣١٠.

وأمــا القاديانــيون[1] "فقد آمنوا بأن الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى، وتحدث عنهم القــرآن وقص علينا قصصهم، لم تكن لهم معجزات حسية، ولا آيات كونية ظهرت على أيديهـــم، وذلك ليفروا من أن يطالبهم أحد بمعجزة تثبت نبوة غلامهم[2]، فكروا يضربون بســيف التأويل المتعسف أعناق الآيات ا لقرآنية الوفيرة التي ذكرت معجزات الأنبياء مثل عصــى موسى، وقلبها حية تسعى، وإخراج يده من جيبه بيضاء من غير سوء، وفلق البحر فرقتين بضربة عصا، فكان كل فرق كالطود العظيم، وضربِه بها الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا- بعدد الأسباط الذين معه- قد علم كل أناس مشربهم.

ومثل مُعجزات المسيح عيسى ابن مريم، حيث يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله.

ومثل تسخير الريح والجن، وتكليم الطير والنمل لسليمان، والإسراء لمحمد ﷺ، إلى أخر مـــا ذكر القرآن من آيات لأنبياء الله تعالى ورسله، يقرؤها كل من يفهم العربية، فلا يشك مــثقال ذرة في أنهـــا خوارق كونيه، وآيات حسية، أظهرها الله على أيديهم، وأيدهم بها تصديقاً لهم في دعواهم، أو نعمة منه عليهم، أو تكريماً لهم وتثبيتاً لأتباعهم.

---

(١) وهي من الفرق الضالة الكافرة التي تسترت بلباس الإسلام لإبعاد الشبهة عن نفسها بمحاربته، وقد نشأت في الهند في بلدة (قاديان) وزعيمها هو (غلام أحمد ت(١٩٠٨م)) وادعى النبوة، وكفر المسلمين جميعهم لأنهم لا يؤمنون بنبوته"، صابر طعيمه: العقائد الباطنية في الإسلام، ص ٣٧١.

(٢) انظر ادعاءهم نبوة غلامهم كتاب "نسأل المسلمين وعلماءهم" تأليف فضل إلهي بشير، المبشر الإسلامي الأحمدي، ص ٢ و٣ و ٥، وقد ورد فيها جميعها الإشارة إلى نبوته وأنه موحى إليه من الله، الناشر: الجماعة الإسلامية الأحمدية- القاديانية، ط١، ١٩٨٠.

لكـــن القاديانيين أخرجوها عن معانيها المفهومة من ألفاظها – ولا يدل سياقها على غيرها– ليتأولوها تأولاً مغرقاً في البعد والاغراب"[1].

ولســـت في حاجة للرد على هذه الادعاءات والمزاعم الباطلة، فإنها ظاهرة البطلان في نفســـها، "واللغة أساس التفاهم بين الناس، فإذا لم تكن لألفاظها وتراكيبها دلالات معينة، يفهم بها الناس بعضهم بعضاً في أمور دينهم ودنياهم، أصبح من حق كل امرئ أن يفسر ما شاء بما شاء، وهذا خارج عن حدود العقل"[2].

وهذه الفرق ليست إلا امتداداً للباطنية القديمة والخيط بينها موصول، واليوم نرى خيطاً رابطاً بين جذور تلك الباطنية وباطنية معاصرة أخرى، اتخذت من (الحداثة والمعاصرة) شعاراً لها في قراءة النص القرآني ونقده، ونقد متعلقاته...

وهؤلاء لم يكن لهم موقف خاص بالقصة القرآنية، إلا أنهم تناولوا ا لنص القرآني كله وفـــق مـــنهج هذه (القراءة المعاصرة) التي تبنت ما يسمونه هم (باللسانيات البنيوية) حيث يـــزعمون أن النصوص تظل دائماً وأبداً قابلة للتفسير، فالقراءة أو التفسير عملية مستمرة لا تنتهي عند دلالة معينة، ولا تقف عند حد، كما أنها تجعل المفسر أو القارئ يساهم في إنتاج المعاني، ولذلك فالبنيوية تذهب إلى عدم وجود قراءة (تفسير) بريئة"[3].

---

(١) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، ص ٣٤٣.

(٣) محمد أبو عاصي: مقالتان في التأويل ، ص ٦١.

ومـــن رجالاتهـــا (الدكتور محمد أركون) الذي أعد جملة من البحوث والكتب عن القرآن والإسلام، منها:

- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.
- قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم.

ومـــن هؤلاء أيضاً (المهندس محمد شحرور) صاحب كتاب (الكتاب والقرآن: قراءة معاصـــرة)، وأبرزهم (الدكتور نصر أبو زيد) الذي سلك منهج نقد القرآن وعلومه، ومن أهم كتبه:-

- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن.
- فلسفة التأويل.
- إشكاليات القراءة وآليات التأويل.

وقـــد ســـبق أن تحدثت عن إحدى هذه المحاولات مبيناً موقفها من القصص القرآني، وذلك عند حديثي عن كتاب "القرآن والكتاب قراءة معاصرة".

الشكل الثالث: الآراء الشخصية لبعض الكاتبين:

أردت في هذا الجانب أن أعرض لآراء بعض الكاتبين ممن ليسوا مؤولين أتباعاً للمدرسة الباطنية، كما أنهم ليسوا من القائلين بالرمزية أو الخيال في القصة القرآنية، لكنهم انحرفوا في نظرتهم وتعاملهم مع القصة القرآنية، فكانت أقوالهم وآراؤهم بعيدة عن الصواب.

ولم يكـــن منطلق هؤلاء منطلقاً عقدياً، ولا توجهاً فكرياً منحرفاً، إنما كانت عندهم متبنـــيات وقبلـــيات في عقولهـــم أسهمت في تشكيل اتجاههم ومنهجهم في دراسة القصة القرآنية.

وإذا كان المؤولون والخياليون قد جمعهم فساد في النية وضلال في القصد، فإن أصحاب الآراء الشخصية المنحرفة الذين أقصدهم قد جمعهم قصور في العلم والفكر.

وقد خرج علينا هؤلاء — وفق تخصصاتهم واهتماماتهم- بمؤلفات تتناول القصة القرآنية مـــن تلـــك الزاوية، إضافة إلى ما عليه هؤلاء من قصور علمهم الشرعي ومعارفهم الدينية، فتأمل كيف يكون نتاجهم؟!

ولنذكر بعض هذه المؤلفات لنقف مع ما نستطيع، ومن هذه المؤلفات:

- كتاب (التحليل النفسي للأنبياء/ عبد الله كمال)[1]:

والكاتـــب (عبدالله كمال) صحفي في مجلة (روز اليوسف) وقد نشر هذا الكتاب في فصول في تلك المجلة بالرسم والصورة، وهو يكتب عن الأنبياء كما لو كان يكتب عن نجوم الســـينما والفـــن، وقـــد كان أسلوبه وعبارته أسلوب وعبارة الصحفي، فيها من الإثارة والســـطحية ما يزعج سمعك وعقلك، وكان يعنون لكل قصة يتناولها بعنوان صحفي لأجل الإثارة، ومن هذه العنوانات:

- الملعون: قابيل القاتل في سبيل امرأة.

---

(١) دار الخيال ، مصر القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

- المجنون: النبي نوح ضد اليأس.
- المتحرر: النبي إبراهيم رسول الشك.
- الهارب: موسى، النبي الوسيط.
- الجميل: يوسف، النبي المدلل.

وتخيل ماذا يمكن أن يكون تحت مثل هذه العبارات، فلا تكاد تخلو عبارة من عبارات الكاتب من لغم كما قال هو في مقدمة كتابه "إنه معبأ بالألغام".

– كتاب (سليمان بين حقائق التلفزة وعلم التقنية/ عبد الرحمن الرفاعي)[1]:

وقد جعل الكاتب كتابه هذا تحت دائرة أوسع هي (إعجاز القرآن الكريم العلمي والسنة النبوية الشريفة) كما سجل ذلك على غلاف الكتاب.

وليس عليك أيها القارئ إلا أن تقرأ مقدمة الكتاب لتكتشف بعد ذلك ضحالة علم الكاتب وحجم انفلاته من المعايير والضوابط اللغوية والعلمية والشرعية.

يبين الكاتب، وقد جعل الإطار العام لكتابه الإعجاز العلمي، يبين (أن خلود القرآن الكريم هو إعجاز السير مع تغير الأزمنة والأمكنة، ومراعاته لكل هذه التغيرات).

ويحقق الكاتب الإعجاز العلمي عنده بالوقوف مع قضية شغلته طويلاً، وهي قضية (التماثيل) الواردة في قصة سيدنا سليمان عليه السلام، ويرى أنه لا بد أن يكون وراء هذه الكلمة دلالات في الإعجاز العلمي، وهو يرى أن قصة سليمان تدور حول هذه الكلمة (تماثيل).

---

(١) مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي الصغير، ط١، ١٩٩٧م.

لكـــنه عندما استعرض كتب التفسير وجد شبه إجماع على أن الجن هم الذين صنعوا هذه التماثيل أو نحتوها من ا لخشب والنحاس لبعض شخوص الأنبياء والملائكة والصالحين، ليضعوها في مساجدهم فتكون أنساً لهم.

لكنه يرى أن هذا الفعل هو الشرك بعينه، في حين أن لفظ (التماثيل) قد ورد في سياق النعمة والمن ... فكيف يمكن فهم ذلك؟!

ويبين لنا بعد ذلك أن الله هداه ونور له طريقه عندما وقع على حديث لابن عباس رضي الله عنه يبن فيه أنه بعد أن صنعت تلك التماثيل دعا الله أن ينفخ فيها الروح لتكون أقوى على الخدمة ... وأن ابن عباس قد أخذ هذا المعنى عن رسول الله ﷺ وقربه لأذهان الناس ذلك الحين ...ويبدأ الكاتـــب بتحديد معنى (تماثيل) في القواميس، ويخلص من كل حديثه السابق إلى أن التماثيل هي البث التلفزيوني باستخدام الطاقة الشمسية.

وهـــو يرى أن الجن كانوا يستخدمون هذه الطاقة، وأنها هي التي أمدتهم لعمل كل ما عملوه من حيل صناعية ...

ويؤكد ما توصل إليه بالحديث عن (النقل الصوتي) و (استخدام الطاقة) و (قوة الريح) وأنها تحققت اليوم نتيجة التقدم العلمي فكان (ركوب الطائرة)، فلماذا نستبعد (منة التماثيل)؟

ومن العنوانات التي تضمنها الكتاب:

- مع بساط الريح ودلالته الإعجازية العلمية.
- الجديد في تلفزة سيدنا سليمان عليه السلام.
- لمحة سريعة بين علم المندل وعلم التلفزة الحديثة.

وقد كرر عنوان (عودة لقضية التماثيل) و (عودة لقضية البث التلفزيوني والجن) أكثر من خمس مرات ...

هــذه هي فكرة الكتاب، وهذه أهداف صاحبه منه، فتخيل بعد ذلك علاقة هذا كله بقصة سيدنا سليمان عليه السلام التي تدور – كما يدعي الكاتب- حول كلمة (تماثيل).

– كتاب (أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة) د. عبد الصبور شاهين:

نشر الدكتور عبد الصبور شاهين كتابه هذا عام (١٩٩٨م)، وكانت فكرته وأفكاره قــد عاشت في وجدانه خمسة وعشرين عاماً أو تزيد[1]، فما هي فكرة الكتاب؟! وما هي أفكار الكاتب التي أراد بثها فيه؟!

إن الفكــرة التي أراد الكاتب تحقيقها أن آدم عليه السلام ليس هو أبا البشر، ولا هو أول مخلــوق عاقل، بل قد خلق الله تعالى البشر منذ بلايين السنين، ولكنهم كانوا همجاً بلا سمع أو بصر أو عقل، وقد كان هؤلاء يعيشون على الأرض بالروح الحيواني[2]غير مزودين بأدوات كاملة من العقل واللغة والعاطفة وملكات الإدراك والإرادة[3] ... ثم انقرض هؤلاء جمــيعاً بعــد أن انتخب الله منهم آدم من أب وأم، وكذلك حواء من أب وأم من هؤلاء الهمجيين، فكان آدم عليه السلام هو أبا (الإنسان) لا (البشر).

---

(١) عبد الصبور شاهين: أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، مكتبة الشباب، مصر، ط١، ١٩٩٨م، ص١٦.

(٢) عبد الصبور شاهين: أبي آدم ، ص ٩١ ، ١٠٥ ، ١٠١.

(٣) عبد الصبور شاهين: أبي آدم ، ص ١٠٩.

والفروق بين البشر والإنسان عند الدكتور عبد الصبور شاهين نوجزها الآن في الفروق الآتية[1]:

- البشر أقوام همجيون لا سمع ولا بصر لهم ولا عقل.
- الإنسان هو النوع المنتخب المهذب الراقي، لهم سمع وأبصار وعقول.
- البشر لم يرسل الله فيه رسولاً، ولم يكونوا من أهل التكليف الإلهي، فلا إيمان بالله، ولا أوامـــر ولا نواهٍ كلفهم الله بها، لأنهم كما ردد هذا الدكتور شاهين مرات، كانوا بمثابة مشروع إلهي تحت التنشئة، ينتقلون بصنع الله من طور إلى طور آخذين في الصعود نحو الـــرقي والكمال، وهذا هو ما قاله دعاة "نظرية النشؤ والارتقاء" أو الانتخاب الطبيعي من قبل، وأن "البقاء للأصلح".
- البشر مخلوقون من تراب أو طين.
- أما الإنسان فإنه هو المخلوق من "ماء" أو من "علق" أو من "نطفة".

ولكي يقيم الحجة لفكرته فهو ينكر[2] ما أجمعت عليه الأمة في فهم الآيات التي تحدثت عـــن خلق آدم عليه السلام وخلق زوجه وذريته، مدعياً أن ذلك الفهم يناقض العلم الذي ســـاق نظـــرياته معـــتمداً على بعض الآثار والجماجم، مع أن الدكتور نفسه يرفض نتائج التجارب العلمية ولا يسلم بأن معطيات العلم حقائق مطلقة بل هي رؤى نسبية، فانظر إليه كيف ينكر فهم الأمة للآيات ويثبت ما يرى أنها رؤى نسبية ليفسر بها النص القرآني.

(١) عبد الصبور شاهين: أبي آدم ، ص ٨.

(٢) عبد الصبور شاهين: أبي آدم ، ص ٤٢.

والمنهج الذي سلكه الدكتور في سبيل إثبات الفكرة التي تبناها اعتمد فيه أمرين اثنين:

"الأول: الخيال الجامح أو المفرط في التصور؛ لأن التفرقة بين البشر الذي انقرض عنده، والإنسان الذي يعمر الأرض –الآن– ويتناسل ويتولد إلى يوم القيامة، تصور هذه التفرقة من صنع الخيال الجامح، أو الوهم الموغل في الإيهام، ومحال أن يكون لهذا المتصور مثقال ذرة من واقع، أو خيال مقبول.

إن عمل هذا الخيال هو المسيطر على هذه الفكرة من الألف إلى الياء، أو ما قبل الألف إلى ما بعد الياء.

أما الثاني: فهو التأويل المرفوض، حيث لم يَدَعْ المؤلف نصاً واحداً، يقف حجر عثرة في طريق فكرته إلا سارع إلى تأويله بما يتفق مع مراده، ولولا ذلك الخيال الجامح، وهذا التأويل المرفوض لوئدت فكرته في صلب أبيها قبل أن تستقر في رحم أمها"[1].

والحق أن الكتاب لا يمكن توضيح ما فيه وبيان تفصيلات منهج صاحبه منه في دراسة من هذا النوع؛ لأن ذلك يطول بنا، ففي كل صفحة من صفحات الكتاب رأي يحتاج إلى مناقشة، وفهم يحتاج إلى تصحيح.

وقد قام الدكتور عبد العظيم المطعني بالرد على الدكتور عبد الصبور شاهين رداً علمياً رصيناً محكماً ناقشه في جميع آرائه، ووقف معه في كل تأويلاته للآيات القرآنية، وذلك في كتابه (أبي آدم...قصة الخليقة بين الخيال الجامح، والتأويل المرفوض) خلاصته نفي الخيال والتأويل عن قصة آدم عليه السلام، وبيان أنه واقع وحق وصدق.

---

(١) عبد العظيم المطعني: أبي آدم قصة الخليقة بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٩.

تمهيد

إذا أنعمنا النظر في تحديد المناهج التي توضح جهود الكاتبين في القصص القرآني ووصف كل منها وصفاً يليق بها ، فإننا نجد قدراً من الاشتراك والتداخل في عناصر كل منهج، بحيث يؤكد هذا الأمر صعوبة الحكم بإطلاق منهج معين لكتاب بعينه، وكذلك صعوبة انفراد كتاب معين بمنهج بعينه...

فإن وصف جهد مؤلف بمنهج محدد لا يعني أنه لم تتحقق بعض العناصر من المناهج الأخرى في هذا الجهد، فإن هناك قدراً من الاشتراك بين هذه المناهج لا يستطيع أحد تجاوزه أو إنكاره.

لكننا حين نطلق ذلك الوصف أو الاسم على جهد معين، فإنما نقرر انطباق عناصر هذا المنهج على هذا الجهد التأليفي وفق الأغلب الأعم، محاولةً لتقريب خطوات المؤلف باتجاه منهج معين هو الأغلب عنده، والصفة البارزة لديه.

ومع ملاحظة أنه لا يوجد أصل منهجي موحد وثابت ومحدد لدراسة القصص القرآني، فإن جهود المؤلفين – في هذا الجانب- تتفاوت أحياناً وتتقارب أحياناً أخرى، تلتقي وتتباعد بحسب العوامل الذاتية التي تشكل ثقافة واهتمام وأسلوب الكاتب ...

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الجانب من هذه الدراسة الكاشف عن المناهج ليس من هدفه الحكم على أي كتاب بقبوله أو رفضه مطلقاً، وإنما يهدف فيما يهدف إليه، إلى بيان الخدمة التي قدمتها هذه المؤلفات للقصص القرآني وفق المعايير المنهجية التي تحاول هذه الدراسة الكشف عنها، وبيان القيمة العلمية لها ...

ولابـــد هـــنا مـــن بيان أن الحكم (المنهجي) غير الحكم (القيمي)، وأقصد بالحكم (المـــنهجي) الذي يحدد المنهج، ومن ثَمَّ يحكم مقدار الخدمة التي قدمتها الجهود ضمن هذا المنهج، والقيمة العلمية لها.

وهـــذا يختلف عن الحكم (القيمي) الذي يهتم ببيان القيمة العلمية والفكرية، أو قيم الحق والباطل التي تشيع في عمل أي مؤلف أو كاتب، لذلك كنت قد أشرت سابقاً إلى هذا النوع من الحكم وارتباطه بالاتجاهات، وذلك عند الحديث عن الاتجاه المنحرف في تفسير القصص القرآني.

وضـــمن إطار الحكم (المنهجي) لابدّ من التأكيد على أنه ليس من الصواب أن يكون حكمنا واحداً على جميع الكتب لمجرد أنها تدخل تحت منهج واحد، فإن قراءتي وقفتني على تفاوت واضح في آراء الكاتبين واختلافها وتعددها وتعارضها ضمن المنهج الواحد، كما هو الحال في اختلاف الكتب ذات المنهج الواحد في مقدار تحقق عناصر المنهج فيها كثرة أو قلة.

وقد يشكل عليّ أحياناً وأنا أقرأ في كتاب ما، وأحار، أين يقع هذا الكتاب؟ وضمن أي منهج سوف أصنفه؟

وقد أعيى وأنا أبحث عن معالم منهجية واضحة وغالبة في الكتاب، تجعلني مطمئناً وأنا أحدد منهجه، ولو صح أن يكون هناك منهج نسميه (المنهج المختلط) لصنفت كثيراً من الكتب التي لم تحتكم إلى أسس منهجية محددة – وهي كثيرة جداً- لصنفتها تحت هذا المنهج، وبخاصة إذا علمنا أن نســـبة كبيرة وغالبة ممن كتب في القصص القرآني لم يحتكم إلى معايير منهجية، أو إن صح أن نقول: إنه لم يرسم أو يحدد لنفسه معالم منهجية يسير وفقها لتحقيق هدفه وغايته.

وأعتقد أن مرد هذا الأمر إلى أن القصة القرآنية – على عكس ما هو في أي أمر آخر – قد تـوارد علـيها بالبحث والكتابة والتأليف فيها كاتبون من طبقات ثقافية وفكرية متعددة، منهم المؤرخـون والمحدثـون، والمفسـرون والوعاظ، والأدباء والقاصون والمثقفون وغير المثقفين ... ولأغراض سامية، وتجارية أحياناً أخرى...

غير أن ما يصعب الأمر أحياناً، أنك لا تجد أساساً ومعالم واضحة ومحددة للمنهج الواحد كي يساعدك ذلك في اكتشاف منهج الكتاب وتصنيفه، ولعل كون هذه الدراسة من الدراسات البكر في هذا المجال يزيد من صعوبة ذلك...

وقد يدعي صاحب الكتاب لنفسه منهجاً ما، فإذا تأملت في الكتاب تجد أن الأمر بخلاف مـا ذكر، فالدكتور عبد الرحمن حسن حبنكه مثلاً ألف كتاباً عن (نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد) وحدد نوع دراسته هذه بأنها دراسة من طريق التفسير الموضوعي، إلا أن دراسته في الحقيقة دراسة تفسيرية بحتة، حيث جمع نصوص القصة ورتبها حسب النّزول – وهذا منهجه في تفسير القرآن الكريم في كتابه (معارج التدبر ودقائق التفكر) – ثم بين معاني الكلمات والآيات ... وفي نهايـة الكتاب جمع هذه النصوص على شكل جدول يقارن فيه بين هذه النصوص فيما زاده كل نص على أخيه، ولا يمكنني عد هذا النوع من الدراسات في باب الدراسات الموضوعية، ولعل الذي دفع الدكتور لجعل دراسته من هذا النوع من الدراسات أنه يرى أن تدبر القرآن وفق ترتيب النُّزول، ومعالجة ما ينتج عن ذلك من موضوعات وقضايا نوع من أنواع التفسير الموضوعي[1].

---

(1) عبد الرحمن حبنكة الميداني: نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٠مص ٣٦١.

وقد يوحي لك عنوان الكتاب أحياناً بمنهج صاحبه، ولكنك تجده في الواقع شيئاً آخر، مثال ذلك: كتاب (الدكتور عبد العظيم الخلقي: أحسن القصص دروس وعبر)، ومنهجه منهج تفسيري تحليلي لم يتطرق إلى موضوع الدروس والعبر إلا قليلاً جداً، أو بقدر ما يتمكن القارئ نفسه من الوصول إلى الدروس والعبر من القصص ...

ومثال آخر: كتاب: (القصص القرآني بين الآباء والأبناء: عماد زهير حافظ) قد يوحي لك عنوانه بأنه سيهتم بالجانب الموضوعي، وأنه سيدرس القصص القرآني من هذا الجانب دراسة موضوعية تتناسب مع العنوان، إلا أنك تكتشف عندما تقرأ في الكتاب أنه لم يقصد من ذلك سوى أنه سيجمع القصص القرآني الذي ورد في شأن الآباء والأبناء، لتكون دراسته بعد ذلك دراسة وعظية إرشادية، غير أن أكثر من انطبق لديه عنوان الكتاب مع منهجه، الذين كتبوا للأطفال والناشئة، ولعل السبب في ذلك أن الذي يتناول دراسة القصص القرآني بالتأليف ليجعلها قريبة من الأطفال والناشئة يحتاج إلى مهارة تبقيه مستحضراً ذلك المعنى، مما يؤدي إلى انطباق الاسم على المسمى عنده.

وقبل أن نتحدث عن هذه المناهج ينبغي أن ننبه مرة أخرى على أمرين:

الأول: أن الفصل التام بين هذه المناهج ومعالمها وخصائصها ليس بمستطاع.

الثاني: أن هذه المناهج مجتمعة هي التي تحقق لنا الحكم على مقدار الخدمة التي قدمتها هذه المؤلفات للقصص القرآني، فلا محل للتفضيل المطلق لمنهج على آخر، وكل ما يمكن أن يتحقق في الحكم على هذه المناهج هو الحكم حسب الأعم الأغلب لمنهج على آخر.

المبحث الأول

مناهج الدراسات التي كتبت في قضايا القصة القرآنية

المطلب الأول: منهج التأصيل والتقعيد

المطلب الثاني: المنهج الفني

المطلب الثالث: منهج المقارنة والموازنة

تكلمت عند استعراض جهود المؤلفين في القصص القرآني في كتب مستقلة عن المؤلفات التي تحدثت في قضايا القصص القرآني، أي حول القصة القرآنية لا في سرد أحداثها ووقائعها.

وبينت ثَمَّ أن المقصود بهذا النوع من الدراسات هو الذي يهتم بدراسة القضايا الفنية والأدبية، ويتناول الحديث عن أغراض القصص القرآني، وعن خصائصه وسماته ومنهجه وأنواعه، وما أثير حوله من شبهات... إلى غير ذلك من القضايا التي تدور حول القصة لا في سرد أحداثها...

وسجلت هناك أن الجهود المبذولة في هذا الجانب إذا ما قيست إلى غيرها من الأشكال والاهتمامات في مجال دراسة القصة القرآنية، فإنها تعد قليلة...

وعلى تنوع مناهج أصحاب هذه المؤلفات، فقد استطعت أن أجد لهذا التنوع مناهج ثلاثة تستجلي هذه الجهود وتوضحها، وجعلتها في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: منهج التأصيل والتقعيد:

وهو أوسع هذه المناهج التي تمثل معظم الدراسات التي كتبت حول القصة القرآنية.

ويقوم هذا المنهج على دراسة القصص القرآني في جانب معين، أو في أكثر من جانب، أو في جميع الجوانب المتعلقة بالناحية الفنية للقصص القرآني، بحيث يستخرج صاحب هذا المنهج الأصول والقواعد التي ترتبط بالقصة القرآنية، فهو على هذا يبحث في جملة من القضايا منها:

١- مفهوم القصص القرآني، ومفهوم القصة في اللغة.

٢- أنواع القصص القرآني.

٣- فوائد ذكر القصص القرآني.

٤- أغراض القصص في القرآن الكريم.

٥- عناصر القصة في القرآن الكريم.

٦- واقعية القصص القرآني.

٧- تكرار القصص في القرآن الكريم.

٨- الفرق بين القصص القرآني وغيره من القصص.

٩- مصادر القصة القرآنية.

١٠- أسلوب القصة القرآنية.

١١- شبهات حول القصة القرآنية.

والمؤلفون وفق هذا المنهج ليسوا سواء في دراسة هذه القضايا، فبعضهم تناول بعضها وأفردها بالتأليف، والبعض الآخر حاول احتواءها جميعها بالكتابة والتأليف، ومن المؤلفات التي عالجت بعض هذه القضايا:

- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه/ د. عبد الكريم الخطيب.

ومن القضايا التي تناولها المؤلف:

- القصة ومفهومها في القرآن.

- عناصر القصة في القرآن.

- التكرار في القصص القرآني.

- الرمز والقصص القرآني.

وقد تناول الكاتب هذه الموضوعات وغيرها من عناصر القصة في القرآن بالنقد والتحليل، والكتاب فيه خير كثير، ولكنه لا يخلو من بعض السلبيات، وسوف أذكر لك فيه مقالة شيخنا العلامة الدكتور فضل عباس حفظه الله ، حيث يقول:

"يرى الكاتب أن رحلة الإنسان في الحياة هي رحلة صراع مع الطبيعة رافقها الخوف مما حوله من مظاهرها، ومن هذا الخوف نشأ الدين، فالخوف عند الكاتب "أبو الآلهة" على حد قوله، ويرى الكاتب أنّ الإنسان بدأ يكتب تاريخه ويصوغ الحكايات قديماً، وأنّ الدين في صورته الأولى هو القصة والحكاية والخرافة. وهذا كله كلام غير صحيح يخالفه نص القرآن الكريم، فآدم عليه السلام وهو أول البشر كان نبياً يوحى إليه، والكاتب –رحمه الله وسامحه– متأثر في أقواله تلك بآراء علماء الاجتماع المحدثين في مسألة نشوء الأديان وفي جعلهم الحياة صراعاً بين الإنسان وقوى الطبيعة، والصحيح أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض وليس في حالة صراع مع ما فيها.

يعرض الكاتب للقصة في الأدب العربي فيقول إنها تمتاز بالواقعية والبعد عن الخيال المحلق والأساطير الملحمية، ويعزو ذلك إلى قسوة ظروف الحياة الصحراوية وإلى واقعية الإنسان العربي واعتزازه بذاتيته.

ويعرض لبعض مزايا القصة القرآنية عرضاً مُسْهباً مفصلاً مدافعاً عن تلك المزايا مفنداً ما طاف حولها من شبهات، ومن أول تلك المزايا أن القصة القرآنية وثيقة تاريخية صادقة وإن لم تقصــد إلى التأريخ قصْداً، ذلك لأن أحداثها وشخصياهّا حقيقية لا مدخل فيها للخيال، ونقــلُ القرآن للواقع هو تصوير وليس محاكاة صامتة، بل هو محاكاة ناطقةٌ تُنطق الصامت وتدخــل الأعماق وتُعطي الدلالات، ومن مزايا القصة القرآنية أن حبكتها الفنية ذات تدبير مُعجز تلتقي فيه الشخصية والحدث دون أن يطغى أحدهما على الآخر، وأن الأشخاص فيها غير مقصودين لذواهّم، فالمضمون في القصة هو بطل الموقف. وقد أحسن الكاتب في عرض هــذه المــزايا كما أحسن في الرد على شبهة القائلين بأن القصة القرآنية هي بناءٌ فني دخله عنصر الخيال، وعلى شبهة القائلين بوقوع التكرار في القصة القرآنية.

ويرد الكاتب على الشبهة القائلة إن في القرآن كثيراً من الحقائق التي هي تأريخ فلماذا اختُص بعضُها باسم القصص؟ فيسيء الرد حين يقول مدافعاً عن القصص القرآني إن لك أن تطلق عليها الوصف الذي يروقك[1] وهذا غير صحيح، فالقصة ذات بناء فني خاص يختلف عن التأريخ المجرد.

يعرض الكاتب لدور المرأة في القصة القرآنية[2] ويقول في موضع من الكتاب إن الحوار والمــرأة عنصــران رئيســان في القصة القرآنية[3] ويقول في موضع آخر إن المرأة في القصة

(١) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ٧٧.

(٢) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ٨٠.

(٣) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ٨٠.

القرآنـــية غير مقصودة لذاتها[1] وكلامُه الأخير هو الصحيح، فالمعول في القصة القرآنية على الشخصية الصانعة للأحداث بصرف النظر عن كونها ذكراً أو أنثى.

مـــن الخصـــائص الفنية للقصة القرآنية امتيازها بأسلوب الراوية الذي يؤذِنك بأنك ستســـمع أخـــباراً ذهَبَ أصحابها، لكنها في العرض القرآني تبعث من جديد فتكون غائبة حاضـــرة، وامتياز القصة القرآنية ببيان زمان الحدث أو مكانه والصفات الجسدية والنفسية للشخصـــيات بالقدر الذي يخدم المضمون والهدف، فما لا يخدم المضمون منها لا يُذكر من القصة. وقد أجاد الكاتب في عرض هذه الخصائص.

يرى الكاتب أن القصص القرآني يشهد لمبدأ حتمية التاريخ ويشير إلى موقف القصص القـــرآني من القَدَر، وفي معرض حديثه هذا يقول إن "منطقة القدَر تتسع وتضيق حسب ما عـــند الـــناس من علم ومعرفة"، نعوذ بالله من هذه المقولة، وسامح الله الكاتب، فالقضاء والقـــدر من عند الله، والتقدم العلمي لا يردّ قضاء الله، ويرى الكاتب أن القصص القرآني "يقـــف مـــن القدر موقفاً محايداً فيدع الأمور تجري على طبيعتها التي اعتاد الناس أن يروها علـــيها إلا أن تكون الحياة في مواجهة معجزة من المعجزات ..." الخ. وهذا الكلام ينطوي عـــلى مغالطة عجيبة في فهم معنى القدر كما هو في التصور الإسلامي الصحيح، وهو خطأ تعجب كيف وقع للكاتب رحمه الله، فالحق أنه ما من شيء جرى أو يجري أو سيجري إلا

---

(١) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص ١١٥.

وهـــو مقدّر من الله ومعلوم له سبحانه قبل وقوعه هذا مع إثبات الاختيار الإنساني وإثبات مسؤولية الإنسان عن أفعاله كما فصّلته كتب التوحيد.

ويقـــف الكاتـــب وقفة مُسهبة في الرد على آراء محمد أحمد خلف الله وأستاذه أمين الخولي راداً الشبهة القائلة بدخول الخيال والأساطير في القصص القرآني.

ويقف وقفةً مسهبة أخرى في مواجهة أصحاب المذهب الرمزي بالمعنى المعاصر سواء أكان كلامهم على رمزية الشعر أم لغة الخطاب العربي أم قصص القرآن الكريم، لأن محصلة ذلـــك كله تمس القرآن الكريم ولغته وتحول التراث العربي إلى طلاسم، وتقوّض نظام العربية كـــاملاً وتُلغي ما في القرآن من عقيدة وشريعة في نهاية المطاف، وقد أجاد الكاتب في الرد عـــلى أولئك، كما أشار إلى أمثلة وقعت لبعض مفسري القرآن الكريم في التفسير الرمزي لبعض آيات كتاب الله، غير أن الناظر في الأمثلة التي ساقها الكاتب يجده قد خلط فيها بين التفسير الرمزي والإسرائيليات.

ويستشـــهد الكاتب بقصة آدم عليه السلام لنفي الرمزية والتكرار عن القصة القرآنية فـــإذا به ينساق إلى تأييد نظرية (داروين) في أصل النوع البشري وخضوعه إلى سلسلة من الـــتطورات حـــتى استوى كائناً بشرياً، وهذه مخالفةٌ منه لصريح القرآن الكريم، فآدم عليه الســـلام وهـــو أول البشـــر خُلق بشراً سوياً من أول الأمر، كما يتّهم الكاتب الجاحظ، والمسعودي رحمهما الله بمقولة (داروين) وهذا كلام لا أصل له"[1].

---

(١) فضل عباس: قصص القرآن الكريم، ص ١٩-٢١.

- **سيكولوجية القصة في القرآن / د. التهامي نقرة:**

والكـــتاب في أصله رسالة دكتوراه تقدم بها صاحبها عام ١٩٧١م في جامعة الجزائر، وقامت بنشره بعد ذلك عام ١٩٧٤م الشركة التونسية.

ومن الموضوعات التي تناولها المؤلف:

- مصدر القصة القرآنية.
- المنهج القصصي للقرآن.
- التكرار في قصص القرآن.
- أنواع القصة القرآنية.
- تحليل القصة القرآنية.
- عناصر القصة القرآنية.

والهـــدف الذي أراده الدكتور من رسالته تلك كما يقول هو "محاولة استخدام بعض القواعـــد والأصـــول المقـــررة عند علماء النفس والتربية والاجتماع، وفي استعمال المنهج التحليـــلي إلى جانب البحث النظري وسيلة لدراسة القصة القرآنية بشمول وعمق، وربط الجانب الفني فيها بالجانب النفسي؛ لأنهما يلتقيان في الهدف، وهو التأثير الديني، ولأن صلة الفن بالدين عريقة ومتينة"[1].

---

(١) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٢٣.

وعلى الرغم من أن الدكتور قد حدد هذا الهدف، وبين منهجه، إلا أننا نجد أنه تطرق إلى موضــوعات مــتعددة، وقضايا متنوعة مجال دراستها ليس في هذا الجانب الذي حدده الدكتور.

كما أنه قد حدد لنفسه (المنهج التحليلي) إلى جانب (البحث النظري) وسيلة لدراسة القصة القرآنية، وإذا كان قد وفّى في كثير من جوانب البحث النظري إلا أن المنهج التحليلي عنده لم يكن منهجاً شاملاً لكل الدراسة، فكل ما فعله الدكتور أنه خصص القسم الثاني من دراسته للبحث التحليلي تناول فيه: تحليل القصة القرآنية، وعناصر القصة القرآنية، وعوامل الــتأثير في قصــص القرآن، ونظرات في قصة يوسف، والجانب التربوي في قصص القرآن، فكانت هذه القضايا التحليلية عنده موضوعاً للدراسة وليس منهجاً تقوم عليها دراسته.

ومن المؤلفات التي عالجت معظم القضايا التي تقع تحت هذا المنهج:

- **القصص القرآني / أ.د. عبد الباسط بلبول.**

والكتاب رسالة علمية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة العالمية (الدكتوراه) في التفسير في جامعة الأزهر الشريف، ولا يزال الكتاب مخطوطاً حسب علمي.

ومن القضايا التي عالجها المؤلف:

- معنى القصة ونشأتها وتطورها:
- عناصر القصص:
- أنواع القصص:

- أهداف القصص:

- مقارنة ودراسة للقصة القرآنية والقصة الأدبية والقصة في التوراة والإنجيل.

- أسلوب القصة القرآنية:

- التكرار في القصص القرآني:

- شبهات حول القصة القرآنية:

- مناهج المفسرين للقصص القرآني:

والكتاب فيه خير كثير، وأتمنى لو أن الدكتور قد طبعه من ذلك الحين، مع بعض الاستدراكات التي لابد منها، على سبيل المثال:

- عند حديثه عن القصص التي لم يراع فيها الترتيب الزماني في السور التي ذكرت فيها، وأعد بذلك جدولاً[1]، ذكر فيه هذه السور وهي: الحجر/ الأنبياء/ الشعراء/ النمل/ العنكبوت/ الصافات، ولكنه لم يذكر سورة الحاقة التي ذكر فيها ثمود وعاد، وقد قدم ثمود على عاد وأخر عاد لأجل التفصيل.

- عند حديثه في الفصل الثالث عن أسلوب القصة القرآنية ذكر أن كلمات القصص القرآني في أعلى درجات البلاغة[2]، وهذه العبارة توحي بتفضيل كلمات في القرآن على أخرى، والأصل أن جميع كلمات القرآن -كل كلمة في موقعها- في أعلى درجات البلاغة، ولا تَفْضُلُ كلمة منه كلمة أخرى.

---

(١) بلبول، القصص القرآني، ص ٧٨.

(٢) بلبول: القصص القرآني، ص ٢٦٧.

- كـــان هناك بعض التفصيل في الموضوعات التي تناولها الدكتور، ويمكن الاستغناء عن الحديـــث عنها في مثل هذا النوع من الدراسات، من ذلك حديثه عن المجاز في القرآن وتحرير القول فيه[1].

- وقد وجدت من الدكتور قسوة واضحة على الإمام محمد عبده – رحمه الله- عندما تحدث عن رأي الإمام في قصة آدم عليه السلام حيث يقول الدكتور بلبول: "والظاهر أن للأستاذ الإمام رأيين في الملائكة، فهم في قصة آدم حكاية تمثيل، وأنهم كناية عن تسخير المخلوقات للإنســـان، وفي غير هذا الموضع يتفق مع ما قاله المفسرون وعلماء الأمة، ولسنا ندري هل الأستاذ الإمام كان مصراً على رأيه حتى لقي ربه أم صرح بغير ذلك؟

وعلى كل نقول لمن تستهويهم هذه الآراء: إما أن تختاروا كلام الله أو كلام الأستاذ الإمـــام وتلميذه الذي يؤيده، فإن اخترتم الأول فأنتم على إيمانكم في الثبات واليقين، وإن أخذتم الثاني –ولا نرضاه لكم- فقد قلتم في كتاب الله بما تكذبونه به، وهذا كفر نعوذ بالله منه..."[2].

وليـــت الدكتور بلبول اقتصر في كلامه على الفقرة الأولى، ولم يكمل الفقرة الثانية، على أنه لو اقتصر على الفقرة الأولى لوجد أن هناك شيئاً لافتاً في موقف الإمام، فلماذا كان موقفه من قصة آدم غيره من بقية القصص؟[3]

---

(١) بلبول: القصص القرآني، ص ٢٧٤.

(٢) بلبول: القصص القرآني، ص ٤٣١

(٣) انظر الحديث عن مقالة الدكتور عبد الغني الراجحي (الإمام محمد عبده وقصة آدم في هذه الرسالة) ص .

ومن الدراسات الأخرى التي يمكن عدها في باب الدراسات التأصيلية التقعيدية، لأنها أسهمت في تنقية القصص القرآني من الروايات الباطلة، وتنقية النظرة المنهجية، تلك التي تناولت دراسة هذه القصص من جانب حديثي، فكانت عنايتها بدراسة الأحاديث والآثار الواردة في هذه القصص وبيان صحيحها من ضعيفها...

والكتاب الذي وجدته يمثل هذا الجانب هو كتاب:

- الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء/ الشيخ إبراهيم العلي – رحمه الله.

ومن الكتب التي تمثل هذا المنهج غير ما ذكرنا:

- القصة في القرآن / محمد قطب عبد العال.
- معالم القصة في القرآن الكريم/ محمد خير محمود العدوي.

المطلب الثاني: المنهج الفني:

يهتم هذا المنهج بمعالجة قضايا القصة القرآنية من حيث عناصرها ومقوماتها معالجة تحليلية تقوم على بيان القيم الفنية والجمالية للقصص القرآني بشكل عام.

وليس من هدف هذا المنهج السير مع النص القصصي بكامل تفصيلاته، واستيعاب جميع قضاياه، فإن هذا يكون أقرب إلى (المنهج التحليلي) في عرض أحداث القصة كما سنعرض له فيما هو آتٍ إن شاء الله.

من هنا فإنه قد يوجد قدر مشترك بين هذا المنهج وبين ما سنذكره عند الحديث عن المناهج في عرض أحداث القصة، وتحديداً المنهج التحليلي هناك.

أما هنا فإن هذا المنهج ينطلق من عناصر ومقومات عامة ويحاول تلمس شواهدها في قصة معينة أو أكثر من قصة بالتمثيل والتطبيق.

وهـــناك تجد العكس، إذ يقوم المنهج التحليلي على أخذ النص القصصي وأحداث القصة ووقائعها وعناصرها بالتحليل ... وفرق بين الأمرين.

وقـــد يغلب على بعض هذا المنهج الجانب التطبيقي لكنني لم أجعله من المناهج التي ترتبط بعرض أحداث القصة القرآنية، وآثرت ذكره هنا لأن الجانب التطبيقي فيه يكون لأجل التمثيل، أما إذا كان الجانب التطبيقي منه جانباً تكاملياً يأخذ قصة معينة فيقوم بتحليلها ودراستها دراسة فنية فإنه يكون حينئذٍ مائلاً إلى المنهج التحليلي في عرض أحداث القصة، هذا فارق ما بين الأمرين أحببت التأكيد عليه هنا لتتضح الصورة.

ومن النماذج التي يمكن سوقها لهذا المنهج:

- كتاب: بدائع الاضمار القصصي في القرآن الكريم/ كاظم الظواهري:

والكتاب يقع فيما يقرب من (٣٧٠) صفحة، جعله صاحبه في ثلاثة أبواب:

الـــباب الأول: مناقشات كاشفة عن جوانب معجبة من خصائص القصص القرآني، جعلـــه في ستة فصول: تناسب القصص القرآني وغايات التنْزيل، انتقاء الأحداث في القصة، التكرار، حركة الحديث في المحاورة والسرد، التفصيل والإجمال، الطي في الحوار والحدث.

أما الباب الثاني: الإضمار في المحاورات القصصية وأثره في الزمان والمكان، فقد جعله في ثلاثـــة فصول: القفز بالحدث عبر الزمان والمكان معاً، وحدة المكان والقفز بالحدث عبر الزمان، فنون من الحذف لتحقيق الحضور في العرض.

والباب الثالث: أثر إضمار القول والقائل والمقول في مشاهد القرآن ومحاوراته، وجعله في خمسة فصول: الوصف الناطق المعبر، التكثيف والإسقاط والحضور، إحياء مشاهد الغيب وتجسـيدها، بـناء المشهد القصصي بين مراتب حذف لفظ القول وتكراره، قيمة الحذف وعمل الاضمار في البناء الفني للقصة.

يقـول الظواهـري في حديثه عن (الاضمار القصصي) وما يقصده بهذا العنوان "ثم لنرتاح إلى مصطلح "الاضمار القصصي" واصفين به هذا النوع من الحذف الذي يؤدي إلى تدعيم البناء القصصي على نحو من الحرفة البديعة التي تشبه السحر...

وهـذه الدراسة تؤكد على معنى جديد للحذف الكثير الذي يشمل القصص القرآني من أوله إلى آخره، وهو أن – الحذف فيه ليس للإيجاز، أو أنه إن كان للإيجاز فليس للإيجاز فقـط، بـل إنه إن كان للإيجاز فليس الإيجاز غايته، وإنما الإيجاز نفسه موظف لتحقيق هذا المعنى الذي سعت هذه الدراسة جاهدة في سبيل إثباته، وهو ببساطة شديدة تدعيم التصوير الفني للقصة، وخلق جو العرض فيها بتكثيف أحداثها، وإبراز رؤوسها، والإبانة عن دقائقها الـتي تؤدي إلى التحول والتصاعد في حبكتها، وتكريس السياق للألفاظ والأساليب المؤدية إلى تفاعل المتلقي مع القصة لضمان أكبر قدر من الإثارة والتأثير في هذا المتلقي قارئاً كان أو سـامعاً، ليـتحقق في النهاية الهدف الذي سيقت من أجله هذه القصة، وهو بالقطع هدف يتفق مع أهداف الدين"[1].

---

(١) الظواهري، بدائع الاضمار، ص ٧.

والكتاب في عمومه اعتمد[1] أساساً فكرة سيد قطب رحمه الله حول "الفجوات بين المشاهد" التي تكلم عنها في كتابه: التصوير الفني في القرآن، لكن الكاتب بثقافته وعلمه واستقلاليته استطاع تطوير هذه الفكرة حتى غدت هذا الكتاب القيم.

ومما يؤخذ على الكاتب غير التكرار أحياناً لبعض القضايا والموضوعات، أنه يقلل من جهود البلاغيين من سلف هذه الأمة، يقول: وإزاء هذا الادعاء الذي ندعيه لابد من دراسة فنية متعمقة لأساليب الحذف في مواضعه الكثيرة من القصة القرآنية للكشف عن العلل الحقيقية له، وليظهر لنا ما انطوى تحت هذا النوع من الإيجاز من حرفيات فنية دقيقة، غفل عنها أسلافنا من البلاغيين، وتعرفنا إليها من خلال القواعد التي وفدت مع الفنون الحديثة -برغم اضطرابها وكثرة خلافاتها وتناقضاتها، وهي الآن تمثل علوماً ومدارس لها دعاتها والعاملون بها، كالمخرجين وكتاب المحاورات ..."[2].

ومن الكتب التي تمثل هذا المنهج:

- دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية/ د. سليمان الطراونه.
- روائع الإعجاز في القصص القرآني/ محمود السيد حسن مصطفى.
- البيان القصصي في القرآن/ د. إبراهيم عوضين.

ويمكن أن نعد من هذا النوع كتاب (الفن القصصي في القرآن الكريم) للدكتور: محمد أحمد خلف الله[3].

---

(١) الظواهري، بدائع الاضمار، ص ١٤.

(٢) الظواهري، بدائع الاضمار، ص ١٣٢.

(٣) وقد تقدم الحديث عن أهم قضايا هذا الكتاب، وذلك عند الحديث عن الاتجاه المنحرف في التعامل مع القصص القرآني.

المطلب الثالث: منهج المقارنة والموازنة:

لم يحظ هذا المنهج باهتمام كبير في جهود الكاتبين في القصص القرآني، وحجم الدراسات التي تمثله قليلة –من حيث الكم– إذا ما قيست بغيرها.

ومنهج المقارنة والموازنة الذي يخص هذه الدراسة له ارتباط بدراسة القصة القرآنية من جانبين اثنين:

الجانب الأول: وهو ما يخص الدراسات حول القصة القرآنية، أي الذي له ارتباط بقضايا القصص القرآني في عناصره وخصائصه وقضاياه، وهذا ما يعنينا في هذا المطلب.

الجانب الثاني: وهو ما يخص الدراسات التي عنيت بعرض أحداث القصص القرآني، إذ يهتم أصحاب هذا المنهج بالمقارنة بين أحداث القصة القرآنية وأحداثها التي وردت في الكتاب المقدس، وهذا الجانب سوف نتحدث عنه ضمن الحديث عن مناهج عرض أحداث القصة في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

والمتأمل في المؤلفات التي اهتمت بهذا الجانب يلمس بوضوح أن المقارنة التي ترتبط بالدراسات حول القصة القرآنية قد اقتصرت على جانب واحد وهو المقارنة مع القصة الأدبية أو القصة الحديثة، ويجد كذلك أن المقارنة التي تخص الدراسات التي عرضت أحداث القصص القرآني قد اقتصرت على جانب واحد هو المقارنة مع القصة في الكتاب المقدس.

وإذا كان هذا الأمر له ما يسوغه في الكلام عن أحداث القصة ووقائعها إذ الموضوع واحد في العموم بين القصص القرآني والقصص في الكتاب المقدس، فإنني لا أجد ما يسوغ انحصـــار المقارنة في النوع الأول مع القصة الأدبية أو القصة الحديثة، بل هناك متسع ومجال فسيح لإجراء المقارنة بين القصص القرآني والقصص في الكتاب المقدس لا من حيث التوسع والاختصار أو الأسلوب الرباني المعجز والأسلوب البشري العاجز، أو السمو في الغاية وتنْزيه الأنبـــياء، والانحطـــاط في الهدف والغاية والطعن في عصمة الأنبياء، أو في صدق الأحداث والوقائع وفي بعدها ومخالفتها للحقائق – وهي الجوانب التي عرض لها معظم الكاتبين في هذا الجانـــب– وإنما إجراء المقارنة من حيث العناصر والخصائص لا من حيث الموضوع باعتماد النظر إلى الكتاب المقدس على أنه كتاب بشري من تأليف البشر... فيلتقي حينها مع القصة الأدبية في جانب واحد لمنهج المقارنة.

وإذا عدنا للحديث عن منهج المقارنة والموازنة في جانب الدراسات حول القصة القرآنية، فإننا نؤكد مرة أخرى قلة التأليف في هذا الجانب، ولقد جاء الحديث عن هذا الجانب في مباحث بسيطة في بعض المؤلفات، و لم يكن منه في كتب مستقلة إلا النادر جداً.

ومما نجده ضمن الحديث عن موضوعات أخرى تخص القصص ما كتبه الدكتور عبدالباسط بلبول في كتابه: القصص القرآني، حيث عقد فصلاً للمقارنة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية[1]، تحـــدث فـــيه عن نماذج من أساتذة أدب القصة في العالم وفي مصر، وتحدث عن القصة في مصر والقيم الأخلاقية والاجتماعية التي تضمنتها.

---

(١) بلبول: القصص القرآني، ص ١٣٠.

ثم تحـــدث عـــن منهج القرآن الكريم ومناهج الكتاب في القصة مبيناً اختلاف ما بين القـــرآن الكريم والقصة الأدبية من الموضوعات والأسلوب والهدف والغاية والتزام الصدق والحقائق.

وتحدث مفصّلاً عن اختلاف ما بينهما في الأسلوب، واختلاف ما بينهما في الهدف، ثم ذكر نماذج من القصص الأدبي المصري والأوروبي.

وممن تحدث أيضاً بمثل هذا الشكل: محمد قطب عبد العال في كتابه القصة في القرآن تحت عنوان: بين القصة القرآنية والقصة البشرية[1].

وكذلـــك صاحب كتاب: معالم القصة في القرآن الكريم: محمد خير محمود العدوي تحت عنوان: موازنة إجمالية بين القصة القرآنية والقصة الأدبية والتاريخية[2].

والكـــتاب الذي وجدته يمثل هذا المنهج هو كتاب: **القرآن والقصة الحديثة للكاتب محمد كامل المحامي.**

ومن الموضوعات التي تطرق إليها الكاتب:

- القصة وتعريف القصة القصيرة:
- التشويق في قصص القرآن:
- الأنواع المختلفة للقصة القرآنية:
- القصة العلمية في القرآن:

---

(١) محمد قطل: القصة في القرآن، ص ٢١.

(٢) محمد العدوي: معالم القصة في القرآن، ص ١٤٧.

- القرآن والقصة النفسية:

- قصص القرآن والحب الصحيح بين الرجل والمرأة:

ويظهـــر أن المؤلف مغرم بجمع ما له أدنى علاقة بأي موضوع يتحدث عنه في كتابه، فهو يستطرد ويطيل ويتحدث عن موضوعات وقضايا لا صلة لها بموضوع الكتاب، وذلك كما تحدث في مبحث (قصص القرآن والحب الصحيح بين الرجل والمرأة)[1]، حيث تحدث عـــن المـــرأة وامتهانها في حضارات العالم عند اليونان وقدماء الرومان، وعند الهنود واليهود والمسلمين... الخ.

والكاتـــب لديه قصور واضح في نضج معارفه الدينية والأدبية على حد سواء، فهو لا يســـتطيع أن يحـــدد نظرته إلى سيد قطب، ودوره في الحياة الأدبية ومقدار مساهمته في هذا الجانـــب، ولا يجد له وصفاً إلا أن يقول: أحد فقهاء الإسلام"[2]، وهي عبارة تناسب جو الأحكام لا سياق الأدب والفن.

كما ويذكر أن القرآن الكريم "قد راعى في كثير من القصص العلمية التلميح أو اتباع الطريقة الرمزية للحقائق العلمية.

وأنـــه عـــلى الرغم من الحقائق العلمية التي أوردها قصص القرآن الكريم فإن أسلوب سردها لم يتخل عن الإيقاع الموسيقي الرائع الذي تميزت به بلاغة القرآن الكريم"[3].

---

(١) محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، ط١، ص ١٣٧.

(٢) محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة ، ص ٣٦.

(٣) محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة، ص ١٦.

ومـــن الأمـــثلة التي يذكرها على هذا النوع من القصص، ما ذكره القرآن الكريم في سياق قصة ثمود وقوم نوح، وهو ما ورد في قوله تعالى:"وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" [الذاريات:٤٧].

ولا أدري ما الذي جعله يقحم هذه الإشارات العلمية ليعدها نوعاً من أنواع القصص القرآني يسميها (القصة العلمية في القرآن)؟

والكاتب تقصر فيه عبارته عن الدقة فتوقعه في إشكالات علمية، فهو عندما يتحدث عـــن الأنواع المختلفة للقصة القرآنية، يذكر من أنواع القصص غير القرآنية: القصة الهازلة والقصة الساخرة، والقصص الخرافية التي تسمى أحياناً بالأساطير، ويقول: "وقصص القرآن الكـــريم كقصص دينية هادفة ما كان لها أن تطرق الأنواع السابقة الذكر"[1]، وهذا كلام جيد لو وقف عند حده.

لكننا وجدناه مرة أخرى يقول: "وإذا كان الباحثون في فن كتابة القصة قد قسموها إلى قســـمين رئيسين، وهما القصة الواقعية والقصة الخيالية ... فإنني أرى أن قصص القرآن الكريم — كلّها بلا استثناء- تعتبر فريدة في نوعها، فهي تجمع بين الواقعية والخيال في إعجاز تتقاصـــر عنه وتتضائل إزاءه قدرة أي كاتب قصصي مهما بلغ شأوه أو رسخت قدمه في ميدان التأليف القصصي"[2].

---

(١) محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة ص ٤٢.

(٢) محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة ، ص ١٤.

ويقـــول: "والـــتعرض لقصص القرآن من حيث هذا التصنيف إلى قصة خيالية وقصة واقعـــية يعتبر تجاوزاً عما في هذه القصص من إعجاز فني، لأنها جمعت في روعة بين الحقيقة والخيال بأسلوب لم ولن يكون له مثيل ...

وليس المقصود بالأسلوب الرومانتيكي في قصص القرآن هو أن بعض قصصه خيالية لا أســـاس لها من الواقع، ولكن المقصود بلا شك أنه على الرغم من واقعية هذه القصص فإن أســـلوبها المعجز أسبغ عليها من روعة التشبيهات ما جعلها فريدة في نوعها من حيث الجمع بين الخيالية والواقعية"[1].

فانظـــر جهـــل الكاتـــب أو خبثه أو كليهما، إذ يحاول أن يخدع القارئ بأن جمالية الأســـلوب في اســـتعمال التشبيهات توصل إلى الجمع بين الخيالية والواقعية كما هو حال القصص القرآني.

عـــلى كل فالكاتب أراد كما ذكر في مقدمته[2]: أن يكتب في أصول الفن القصصي وقواعده كتابة موضوعية بناءة، فجمع في كتابه بين القصة القرآنية والقصة الحديثة، لكنه لم يوفـــق – حسب رأيي- في بناء هيكل فني أو منهجي في أحد الأمرين أو في الجمع بينهما، فجاء كتابه فصولاً متناثرة لا يجمعها إلا الاسم والكاتب.

---

(١) محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة ، ص ١٨.

(٢) محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة ، ص ٦.

المبحث الثاني

مناهج الدراسات التي كتبت في عرض أحداث القصة القرآنية

المطلب الأول: المنهج السردي / النقلي

المطلب الثاني: المنهج التفسيري

المطلب الثالث: المنهج التحليلي

المطلب الرابع: المنهج الأدبي

المطلب الخامس: المنهج المقارن

المطلب السادس: المنهج الموضوعي

المطلب السابع: المنهج الوعظي/ الإرشادي

المطلب الثامن: منهج التأليف للأطفال والناشئة

- ترتيب هـذه الأحداث وفقاً لتسلسل المواقف التاريخي الزماني، ولا تتوجه عناية الكاتب بالدرجة الأولى إلى ترتيب النّزول أو الترتيب المصحفي لآيات القصة.
- اللجوء إلى الأحاديث والروايات التاريخية الواردة في بيـان بعض الأحـداث مما له ارتباط بهذه القصص، وغالب هذه الروايات من الإسرائيليات، وكثير من المؤلفين لا يمحص أو يدقق هذه الروايات.

كذلـك نجـد أن أصحاب هذا المنهج لا يعنيهم كثيراً بيان معاني الألفاظ أو دلالات النظم والنص القصصي، بل يأخذون المعنى الإجمالي لمؤداه.

ويكاد يكون هذا المنهج هو الغالب على التأليف في القصص القرآني، بل هو كذلك، وفي ظني أن هذا يرجع لأمرين:

الأول: أن معظـم الكاتـبين في القصـص يرجعون إلى كتاب (عرائس المجالس) للثعلبي، فيأخذون عنه الكثير من التفصيلات في شأن أحداث هذه القصص، ولما كان منهج الثعلبي هو المنهج السردي فإن معظم الكاتبين يتأثرون بهذا المنهج على تفاوت بينهم في ذلك.

الثاني: أن الـنفس الإنسـانية تمـيل إلى سماع القصص بتتبع أحداثها ووقائعها، وهذا أمر يسـتهوي القارئ أو السامع كثيراً، لذلك نجد كثيراً من الكاتبين يسلك هذا المنهج تحقيقاً لرغبته في تكميل الأحداث وربطها والوصول بها إلى خاتمتها، إرضاءً لفضول القارئ أو فضوله هو.

- قصص الأنبياء في القرآن/ سميح عاطف الزين.

- نظرات في أحسن القصص/ د. محمد السيد الوكيل.

- قصص القرآن/ عبد الوهاب النجار.

- قصص الأنبياء والرسل كما جاءت في القرآن ووردت في كلام المفسرين وأخبار المؤرخين/ محمد إسماعيل إبراهيم.

- القصة القرآنية هداية وبيان/ أ.د. وهبة الزحيلي.

- قصص الأنبياء عليهم السلام/ علي دخيل، والمؤلف شيعي لا يعتمد إلا المصادر الشيعية.

ونقف مع كتاب (عرائس المجالس)[1] للثعلبي لننقل لك منه قطعة قد تساعدك على تصور هذا المنهج، وإن كان من الصعب أن يفي ذلك بالغرض:

"الباب الثاني: في خروج إبراهيم عليه السلام من السَّرَب ورجوعه إلى قومه ومحاجته إياهم في الدين وإلقائهم إياه في النار وما يتعلق بذلك

قال أهل العلم بسير الماضين: لما شبّ إبراهيم عليه السلام وهو في السَّرَب، قال لأمه: من ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت له: نمروذ،

(١) كان حرياً أن يحظى هذا الكتاب بجهود المحققين في تخريج آثاره والحكم على رواياته منذ ظهوره، لكنه لم يحظ بذلك إلا بعد عام ٢٠٠٠م، فقد قام الأستاذ محمد سيد بتحقيق الكتاب وتخريج آثاره ورواياته والحكم عليها، مع الإشارة إلى الروايات الإسرائيلية التي وردت في الكتاب، وقام بطبع الكتاب بهذا التحقيق عام ٢٠٠١م، دار الفجر للتراث.

قال: فمن رب نمروذ؟ قالت: اسكت، فسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرأيت الغلام الذي يحدث أن يغير دين أهل الأرض فإنه ابنك، ثم أخبرته بما قال لها، فأتاه أبوه آزر، فقال لـــه إبراهيم عليه السلام: يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك، قال: فمن رب أمي؟ قال: أنا، قال: فمن ربك، قال: نمروذ، قال: فمن رب نمروذ؟ فلطمه لطمة، وقال اسكت، وذلك قوله عز وجل:"۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝" [الأنبياء: ٥١]. ثم قال لأبويه أخرجاني، فأخرجاه من السرب، فانطلقا به حتى غابت الشمس، فنظر إبراهيم عليه السلام إلى الإبـــل والبقر والغنم والخيل يُراح بها، فسأل أباه ما هذه؟ فقال: إبل وخيل وبقر وغنم، فقال: ما لهذه بد من أن يكون لها رب خالق. ثم نظر وتفكر في خلق السماوات والأرض وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لرَبي، ما إله غيره، ثم نظر فإذا المشتري قد طلع، ويقال الزهرة، وكانت تلك الليلة في آخر الشهر، فرأى الكوكب قبل القمر فقال: هذا ربي، فذلك قوله تعالى: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝" [الأنعام: ٧٦-٧٩].

قـــالوا: وكـــان أبوه يصنع الأصنام، فلما ضم إبراهيم إلى نفسه، جعل يصنع الأصنام ويعطـــيها إبراهـــيم لبيعها، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يضر ولا يـــنفع، فلا يشتري أحد منه، فإذا بارت عليه، ذهب بها إلى نهر فضرب رؤوسها، وقال لها:

اشـــربي كســـدت، استهزاء بقومه، وبما هم عليه من الضلالة والجهالة، حتى فشا عيبه إياها واســـتهزاؤه بها في قومه وأهل قريته، فحاجه قومه في دينه، فقال لهم: "أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ" الآيات، إلى قوله تعالى: "وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾" [الأنعـــام: ٨٠-٨٣]، حتى خصمهم وغلبهم بالحجة، ثم إن إبراهيم عليه السلام دعا أباه آزر إلى دينه فقال: "يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾" [مريم: ٤٢]، إلى آخر القصة، فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه.

ثم إن إبراهـــيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون، وأظهر دينه فقال: " أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾" [الشـــعراء: ٧٥-٧٧]. قالوا: فمن تعبد أنت؟ قال: رب العالمين، قالوا: تعني نمروذ؟ فقال: لا " ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾" [الشـــعراء: ٧٨]، إلى آخر القصة، ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار، فدعاه فقال له: يا إبراهيم! أرأيت إلهك الذي بعثك وتدعو إلى عبادته، وتذكر مـــن قدرتـــه الـــتي تعظمه بها على غيره ما هو؟ قال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويُميت، قال نمروذ: أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي، فأقتل أحدهما فأكون قد أمته، ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته، فقال له: إبراهيم عند ذلك: "فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ" [الـــبقرة: ٢٥٨]، فبهت عند ذلك نمروذ ولم يُرجع إليه شيئاً، ولزمته الحجة،

فذلك قوله تعالى: " فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ" الآية [البقرة: ١٥٨]. ثم إن إبراهيم عليه السلام أراد أن يـــري قومـــه ضعف الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله، وعجزها، إلزاماً للحجة عليهم، فجعل ينتهز لذلك فرصة، ويحتال فيه إلى أن حضره عيد لهم.

قال السُّدي: كان لهم كل سنة عيد يخرجون إليه ويجتمعون فيه، فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهـــيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه، وقال: إن سقيم أشتكي رجلي، فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادي في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس: "وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾" [الأنبياء: ٥٧]. فسمعوها منه.

وقال مجاهد وقتادة: إنما قال إبراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه و لم يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم، وهو الذي أفشاه عليه"[١].

(١) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد: قصص الأنبياء والمسمى عرائس المجالس، تحقيق محمد سيد، دار الفجر للتراث، مصر، ط١، ٢٠٠١، ص ١٠٦/١٠٨.

المطلب الثاني: المنهج التفسيري:

ويهتم هذا المنهج بمعالجة النص معالجةً تقوم على استقصاء آيات القصة وتوضيحها من خلال بيان معاني الألفاظ ودلالات الآيات وإبراز خصائص النظم في النص القصص، وقد أخذت عنوان هذا المنهج من خلال فهمي لحقيقة تفسير القرآن الكريم القائم على توضيح مفرداته وإبراز خصائص نظمه، ولشدة التقارب بين هذا المعنى وجملة القضايا التي يهتم بإبرازها هذا المنهج أطلقت عليه هذا الاسم.

والأصل أن يكون لفظ التفسير عاماً في توضيح معاني الآيات القرآنية والبحث في أدق تفاصيلها، لكن لما تعارف الدارسون في هذا الزمان على تقسيم التفسير إلى تفسير تحليلي، وإجمالي ودراسة نصية ... الخ فمن الممكن جعل هذا المنهج باسم المنهج (التفسيري التحليل) توضيحاً له باهتمامه بالبحث في النص القصصي في أدق تفاصيله.

ومن القضايا التي يهتم بها هذا المنهج:

- استقصاء آيات القصة الواحدة في السور التي وردت فيها جميعها.
- ترتيب هذه الآيات إما حسب ترتيب المصحف أو حسب ترتيب النزول[1].
- ربط آيات القصة الواحدة وبيان العلاقة بين أحداثها من خلال هذه الآيات المتوزعة في السور، والاقتصار في بيان هذه الأحداث على الآيات في الغالب.
- بيان معاني الكلمات والألفاظ الواردة في القصة، وبيان جمال النظم، ودقة الأسلوب القرآني.

---

(١) سيأتي الحديث عن شكل الترتيب في دراسة القصص القرآني في المبحث الأخير من هذه الدراسة إن شاء الله.

- إبراز مناسبة آيات القصة للسور التي وردت فيها.

- تحقيق بعض القضايا والوقائع المتعلقة بهذه القصص مما يخص أحداثها وشخوصها.

وهناك غير هذه القضايا أمور أخرى هي من التفصيلات التي تختلف فيما بين الكاتبين وفق هذا المنهج، إضافةً إلى أن الكاتبين في إطار هذا المنهج ليسوا سواء في الاهتمام بتلك القضايا التي ذكرناها، فبعضهم اهتم بجانب منها، وبعضهم اهتم بها جميعاً، وآخرون زادوا عليها...

ومما لفت انتباهي وأنا أصنف كتب هذا المنهج أنني وجدت معظم الكاتبين فيه هم من علماء الشريعة والتفسير من أمثال: الشيخ محمد محمد المدني، و أ.د. محمد طنطاوي، والعلامة الشيخ عبد الله العلمي، والشيخ الشعراوي، و أ.د. محمد بكر إسماعيل، وشيخنا العلامة أ.د. فضل عباس، وأستاذي الدكتور أحمد نوفل، وأستاذي الدكتور صلاح الخالدي، وأ.د. عبدالرحمن حبنكه ... إلى غير هؤلاء من العلماء الأجلاء... وهذا يؤكد أن الاهتمام بهذا المنهج قد نشأ وتربى على أيدي علماء الشريعة، وكفى تقديراً لهذا المنهج أن يتشكل على أيدي العلماء، ولا أظن أن منهجاً آخر قد توافر لديه هذا القدر من العناية والاهتمام.

ولا شك أن الخدمة التي يقدمها هذا المنهج للقصة القرآنية خدمة عظيمة تتمثل في بناء الأساس لهذه القصص بناءً دقيقاً علمياً محكماً، كيف لا وهذا المنهج يتعامل مع ذات النص الذي هو قاعدة القصة وأساسها، لكن هذا لا يعني أن هذا المنهج قد وفى القصة القرآنية حقها بخدمتها في جميع مجالاتها، ولكنه يكون قد حقق الأساس الذي يبنى عليه كل من أراد دراسة القصة القرآنية من أي زاوية أراد ذلك، فلا غنى لأي دارس للقصة القرآنية عن الرجوع إلى نتاج هذا المنهج والإفادة منه.

وأمـــر آخـــر هـــو أن هذا المنهج قد حدّ من الروايات الإسرائيلية التي شجعها وعزز وجودها (المنهج السردي) لكن هذا لم يمنع أن نجد عند بعض الكاتبين في (المنهج التفسيري) ذكراً لبعض الإسرائيليات وكأنهم أبوا إلا أن تغلب عليهم صنعة كثير من المفسرين.

ومن أشهر الكتب التي تمثل هذا المنهج.

- القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف / محمد محمد المدني.
- قصص القرآن/ أ.د. محمد بكر إسماعيل.
- القصص في القرآن/ د. محمد سيد طنطاوي.
- مؤتمر تفسير سورة يوسف/ العلامة الشيخ عبد الله العلمي.
- قصص الأنبياء القصص الحق/ د. عبد القادر شيبة الحمد.
- قصص الأنبياء/ الشيخ الشعراوي.
- أحسن القصص/ عبد العظيم الخلقي.
- نوح وقومه في القرآن المجيد/ د. عبد الرحمن حسن حبنكة.
- القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث/ د. صلاح الخالدي.
- مع الأنبياء في القرآن / عفيف طبارة.

وخـــير كـــتاب يتمثله هذا المنهج كتاب شيخنا أ.د. فضل عباس –حفظه الله– وقد جعلت هذا الكتاب في هذا المنهج تقريباً له إلى أصدق ما يتمثله، وإلا فإني أجده خير كتاب في القصص على اختلاف المناهج جميعها.

- قصص القرآن الكريم/ أ.د. فضل عباس:

ولشـيخنا كتابات في القصص القرآني، الأسبق هو "القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته" وقد عالج فيه قضية محددة، وهي قضية التكرار في القصص القرآني، وأن لا تكرار في كتاب الله بعامة والقصص القرآني بخاصة.

والكتاب الآخر هو ما نود الحديث عنه هنا، وهو (قصص القرآن الكريم: صدق حدث وسمو هدف وإرهاف حس وتهذيب نفس):

وأعلن منذ البدء أن القصة القرآنية لم تحظ بخدمة سامية جلية وشبه كاملة كما خدمها كـتاب شـيخنا - حفظه الله- لا أقول هذا تعصباً، وإن كان لا عيب في التعصب للحق، ولكني ما تركتُ كتاباً - على قدر ما استطعت- في القصص القرآني إلا ورجعت إليه، فما وجدت كتاباً قدم الخدمة التي قدمها كتاب شيخنا - حفظه الله- وهذه أمانة أسأل عنها.

- الجوانب المنهجية التي رسمت منهج الكتاب:

١- سلك شيخنا منهجاً جديداً في دراسة القصة القرآنية، وهو دراستها حسب النّزول لا حسب ترتيب المصحف[1]، وهذا حسب رأي الكاتب يحقق أمرين[2] في غاية الأهمية:

الأول: تذوق مواقع النجوم للقصة القرآنية تذوقاً صحيحاً.

(١) لا أعلم أحداً اهتم بدراسة القصة وفق هذا المنهج غير شيخنا إلا الدكتور محمد محمود حجازي في كتابه: القصص القرآني، والدكتور عبد الرحمن حبنكه في كتابه: نوح عليه السلام.

(٢) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٨٢.

الثاني: المساعدة في دراسة قضية التكرار في القصة القرآنية، بحيث توصل هذه الطريقة إلى نتائج سليمة.

وأزيد على هذا فائدة أخرى أعطى الشيخ عليها نماذج في كتابه و لم ينص عليها، وهي أن دراسة القصة القرآنية حسب ترتيب النّزول تساعد كثيراً، بل هي أساس في فهم آيات المتشابه اللفظي التي نجدها في النص القصصي، وقد اهتم شيخنا – حفظه الله– كثيراً بدراسة هذه النصوص المتشابهة، وإليك هذا المثال يوضح مدى عنايته بالمتشابه، ويوضح أيضاً أهمية مراعاة ترتيب النّزول في فهم هذا المتشابه، ففي معرض بيانه لقصة زكريا عليه الصلاة والسلام يقف مع الآيتين اللتين تحدثتا عن المدة التي لا يكلم الناس فيها، والآية الأولى في سورة آل عمران: "قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا" [آل عمران: ٤١]. والآية الثانية في سورة مريم "قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾" [مريم:١٠]، يقول: "ومن مجموع الآيتين ندرك أن المدة التي لا يكلم الناس فيها زكريا عليه الصلاة والسلام من غير علة أو مرض، بل كان عدم قدرته على تكليمهم المعجزة التي بينها الله له، هذه المدة كانت ثلاثة أيام بثلاث ليال، ولعلك أيها القارئ الكريم بدأت تدرك لماذا ذكرت الليالي قبل الأيام، فلو أن الأيام ذكرت في سورة مريم ما كان لذكر الليالي معنى في سورة آل عمران؛ لأن الليلة تطلق على ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر، أما اليوم فيطلق على النهار والليل معاً، فذكر الليالي في سورة مريم المكية لا يغني عن ذكر الأيام التي جاءت في سورة آل عمران المدنية. أرأيت إلى هذه اللطائف البديعة في كتاب الله؟"[1].

(١) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٦٨٣.

٢- اهتم شيخنا بالحديث عن خصائص السور التي وردت فيها القصة، وبيان مناسبة القصة لموضوع السورة، والكشف عن خصائص السورة مع ربط ذلك بالقصة التي وردت فيها[1].

٣- كان للشيخ –حفظه الله– وقفات متأنية علمية دقيقة في تحقيق بعض المسائل والقضايا من ذلك تحقيق قضية الشيخ الكبير[2] أهو شعب أم غيره؟ واسم أبي إبراهيم عليه السلام أهو آزر أم تارح[3]؟

٤- وقد عني – حفظه الله– كثيراً بإبراز خصائص النظم القرآني والتأكيد على قضية الإعجاز القرآني.

من ذلك في توضيحه لطلب سيدنا يوسف عليه السلام إذ قال "إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" [يوسف/٥٥] يتحدث عن سر تقدم الحفظ على العلم فيقول: "وقد يُقال هنا: لِمَ لَمْ يقدم العلم؟ ونقول ما قلناه من قبل: إن قضية العلم معروفة عند القوم: ألم يؤول لهم الرؤى بما استقر في نفوسهم؟ لكن الأمر الذي يريد أن يبادرهم به هو أنه حفيظ"[4].

واسمع إلى جودة التحليل إذ يقول عند قوله تعالى: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ" [يوسف: ١٠٠]، "ولم يذكر – عليه الصلاة والسلام– الخروج من الجب الذي رموه

---

(١) انظر: فضل عباس: قصص القرآن، ص ١٧٧/٧٧.

(٢) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٤٩٧.

(٣) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٢٥٣.

(٤) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٤٣٠.

فيه لأنه لا يريد أن يجرحهم في هذه اللحظة الطيبة التي تسير فيها نسمات الصبا، والتي يشعر فـيها جميعهم بفرحة الروح، وطيب اللقاء، إن ذكر الجب سيذكرهم بجريمتهم، وسيثير في نفس أبيه كذلك أشجاناً حري بها أن تُطوى"[1].

٥- ولا تـنس أخيراً أن الشيخ -حفظه الله- ما كان يعدم مناسبة ولا فرصة إلا وينفذ من خلالهـا لإسـداء النصح للأمة وشبابها من منطلق غيرة على الدين، وعاطفة جياشة، وحس مرهف[2].

---

(١) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٤٤٥.

(٢) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٤٩٣.

المطلب الثالث: المنهج التحليلي:

أشـــرت عند الحديث عن المنهج (الفني) للدراسات التي تدور حول القصة القرآنية إلى أن هذا المنهج ينطلق من عناصر ومقومات عامة يحاول تلمس شواهدها في قصة معينة أو في أكثر من قصة بالتمثيل والتطبيق.

أمـــا في المـــنهج (التحليلي) للدراسات التي تعرض أحداث القصص القرآني، فإن هذا المـــنهج يقوم على التعامل مع النص القصصي بكليته، في أحداثه ووقائعه وعناصره، بتحليله وإبراز ما فيه من قيم الجمال الفني والجمال القيمي.

والفـــرق أن (الفني) يتكلم عن عنصر أو خصيصة أو فكرة تخص القصة ويذكر عليها مثالاً أو أكثر، أما هنا في (التحليلي) فإنها دراسة تطبيقية تستوعب النص القصصي جميعه.

وتحديـــداً أقول: إن (المنهج التحليلي) هو الذي يقوم على دراسة القصة القرآنية من حيث عناصرها بالوقوف مع النص القصصي وتحديد شخصيات القصة وأحداثها ومواقفها، وتحليل ما فيها من دلالات نفسية واجتماعية ومعرفية وإبرازه، فهذا المنهج يتناول فيه أصحابه القصة بكامل تفصـــيلاتها وعناصرها، أما المنهج الفني فإنه لا ينطلق من القصة كاملة كما هو الحال هنا، وإنما يأخذ عنصراً معيناً ويبحث فيه في قصة أو أكثر، فالبداية في التحليلي تكون من القصة، والبداية في الفني تكون من عنصر فيها وفي غيرها.

ومن أهم القضايا التي يتناولها المنهج التحليلي:

١- أحداث القصة وتطورها.

٢- رصد حركة الحوار في القصة.

٣- شخصيات القصة وحضورها وتطور مواقفها.

٤- الاستنتاجات والدلالات التي يبرزها العمل التحليلي لهذه القضايا.

وإذا كان المنهج (التفسيري) يمثل الأساس في خدمة القصة القرآنية، فإن هذا المنهج- أقصد (التحليلي)- يعد متمماً لذلك، ويمكن أن نعد هذا المنهج الثمرة الحقيقية للمنهج (التفسيري) إذ به تتكامل عناصر دراسة القصة القرآنية.

ومع هذه القيمة العالية لهذا المنهج إلا أننا لازلنا حتى الآن نرى الدراسات التي تمثله قليلة من حيـــث العدد ومن حيث النوع، فهي لازالت سباحةً على أطراف هذا المنهج، ولا يزال النص – بكل مقوماته- يستنطق القدرة البشرية للتدبر والتفكر والتحليل ...

ومن الكتب التي تمثل هذا المنهج:

- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف/ د. حسن باجوده.
- نظرات تحليلية في القصة القرآنية / محمد المجذوب.
- تأملات في قصص القرآن/ محمد مبارك المزيودي.
- تأملات في سورة الكهف/ أبو الحسن الندوي.
- تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية/ د. محمد الطيب النجار.
- من جغرافية القصص القرآني .../ محمود عبد الرؤوف القاسم.
- القصص القرآني/ السيد محمد باقر الحكيم.
- القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور/ د. عبد الكريم الخطيب.

- قصتا آدم ويوسف/ د. عبد الكريم الخطيب.
- قضايا التكرار في القصص القرآني/ د. القصبي زلط.
- حول القصص القرآني/ د. حمدي شعيب.
- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته/ أ.د. فضل عباس.
- المقدمات التي ذكرها الدكتور أحمد نوفل في كتابه/ سورة يوسف، دراسة تحليلية.

ونقف مع كتابين اثنين يمثل كل واحد منهما جانباً من التحليل الذي يشكله هذا المنهج، الكتاب الأول: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور/ د. عبد الكريم الخطيب، وهو يمثل جانب تحليل الأحداث والمواقف، والكتاب الثاني: قضايا التكرار في القصص القرآني/ د. القصبي زلط، وهو يمثل جانب تحليل النص وألفاظه وسياقه.

- القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور/ د. عبد الكريم الخطيب:

اختار الكاتب هذا العنوان لكتابه لأنه أخذ من القصص القرآني ما يتصل منها بعالم الحيوان والقصص التي فيها أحداث خارقة، وسماه العالم المنظور، وأخذ أيضاً ما يتصل بالجن وإبليس والشياطين وسماه العالم غير المنظور.

وقد اختار الكاتب من القصص القرآني ليتحدث عنه قصة كل من: سليمان والنملة، سليمان والهدهد، سليمان وملكة سبأ، أصحاب الكهف وكلبهم، ذو القرنين، موسى والعبد الصالح، الدابة التي تكلم الناس، ومن العالم غير المنظور (الجن وإبليس والشيطان)، وهذه هي مباحث الكتاب.

وقبل أن ندخل في إبراز قيمة التحليل في الكتاب لا بد من بيان أن المؤلف أراد في كتابه هذا أن يتحدث عن القصص الذي يعرض لأحداث خارقة، لا يصدقها، ولا يقبل التعامل معها إلا من آمـــن بـــالله... وهذا يفسر اختياره هذه القصص والجمع بين القصص التي ورد فيها ذكر بعض الحيوانات والقصص الأخرى كقصة ذي القرنين، وسليمان مع ملكة سبأ...

والطـــريقة الغالبة التي يسلكها المؤلف في كتابه أنه يذكر النص القرآني الخاص بالقصة الـــتي يسوقها ليتحدث عنها، ثم يبين معنى بعض الألفاظ، ثم يبدأ بدراسة وتحليل الأحداث والمواقف التي تضمنتها القصة.

وعـــبارة الكاتب عبارة أدبية جميلة، وأسلوبه فنيي جذاب سهل، وهو يتنقل بك بين هذه الأحداث والمواقف برصيد كبير من الثقافة والتمكن من ربط الأحداث وإبراز القيم الجمالية فيه.

إلا أننا وجدنا للكاتب بعض العبارات والمواقف التي لا بد من التنبيه عليها، من ذلك:

- لمـــا تحدث عن سليمان عليه السلام وموقفه من النملة ومع الهدهد فكان كمن يتحدث عن بطل قصة عادي لا عن نبي معصوم، فهو يقول: "وقد أراد سبحانه وتعالى أن يصغّر في عـــيني سليمان هذا الملك العريض الذي بين يديه، وأن يكسر من حدة هذا السلطان المندفع كالشهاب لا يمسكه شئ، ولا يعترض سبيله معترض، وذلك كي لا يدخل على نفسه شيء من العجب والزهو..."[1].

---

(١) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في العالم المنظور وغير المنظور، مؤسسة الرسالة، توزيع الشركة المتحدة، بيروت، بلا طبعة، ص ٢١.

ويقول عند حديثه عن الهدهد: "وكأن سليمان قد نسي هذا الموقف الذي كان فيه مع جماعة النمل منذ قليل، وزايلته تلك المشاعر التي وقعت في نفسه هناك... وهاهو ذا يلبس سلطان الجلال، ويمسك بصولجان الملك، ويضرب بسيفه"[1].

- لما تحدث عن قصة أصحاب الكهف بين ثَمَّ دور المرأة في القصة الأدبية — وإن لم ينص على أن هذا الدور خاص بالقصة الأدبية مما يجعل كلامه موهماً بأن ذلك تعميم لقصص هذه السورة- ثم تحدث بعد ذلك عن أحداث هذه القصة وذكر أنها أحداث سلبية قد تجردت من الإيجابية[2]، إلا أن القرآن الكريم ألبسها الحياة، وخلع عليها روحاً من روحه...

وهذا وصف لا يليق بالقصة القرآنية أو أحداث هذا القصص، وهو مع هذا لم يحدد لنا معنى السلبية والإيجابية التي يقصدها هاهنا.

وأذكر لك هنا جانباً من التحليل يطلعك على نماذج مما أجادها الكاتب، يقول الدكتور في حديثه عن ذي القرنين:

"في الخمس عشْرة آية السابقة التي وردت في سورة الكهف، قصَّة رجل ذي شأن عجيب، بيْن يديه قُوىً، معه سلطان، قلَّ أن يقع مثلهما ليد إنسان.. وسُمي هذا الرجل ذا القرنين، لبلوغه المشرق والمغرب، فكأنه جاز قَرْني الدنيا.. فكما يمسك الرجل القوي بقرني الثور، ويَقْهره، أمسك ذو القرنين هذا بجانبي الدنيا، ومَلَكها منها.

---

(١) عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني ، ص ٢٧.

(٢) انظر: عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، المقدمة، ص هـ.

ومن أجل هذا كانت المناسبة قوية بين قصة هذا الرجل، وبين قصة العبد الصالح..

صاحب موسى، فجاءت هذه القصة وراء قصة هذا العبد الصالح، تاليةً لها في سورة الكهف.

ثم إنه -مع هذا- يوجد بين القصتين أكثر من وجه من وجوه الشبة..

فأولاً: العبد الصالح، وذو القرنين، كلاهما ممن اختصه الله سبحانه وتعالى بشيء من فضله ورحمته، وكان لهما أثر ظاهر في الحياة.

فالله سبحانه وتعالى يقول عن العبد الصالح: "فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾" [الكهف: ٦٥].

ويقول جل شأنه عن ذي القرنين:"إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾".

والفرق بين الرجلين فيما اختصهما الله تعالى به، هو أنّ ما أصاب العبد الصالح من فضل الله كان عِلْماً من عند الله، ارتقى به فوق مستوى العلم البشري، على حين أن ما أصاب ذا القرنين من علم كان تمكيناً له في الأرض، وهداية له إلى الأسباب التي تدعم هذا التمكين، وتحرسه من الآفات التي يُمكن أن تجعل من تلك القوة الممكنة، أداة بَغيٍ وعدوان.. فكان بهذا على مستوىً عالٍ من الحكمة والتدبير وحسن السياسة للملك، بما يكاد ينفرد به أصحاب المُلْك والسلطان.

وعلى هذا يمكن أن يُقال: إن العبد الصالح نَسيجُ وحده في العلم الذي معه، وأن ذا القرنين، نسيج وحده، كذلك في دنيا الملوك والسلاطين، من أصحاب الجاه والسلطان.

وثانياً: الأحداث التي اشتملت عليها كلتا القصتين.

ففي كل منهما ثلاثة أحداث، هي التي كشف عنها القرآن من أمر صاحبي القصة.

فخرقُ السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.. هي الأحداث الثلاثة التي جرت على يد العبد الصالح، بمشهد من موسى عليه السلام.

وبلوغ مغرب الشمس، وبلوغ مشرقها، وإقامة السد.. هي أحداث ثلاثة، من أحداث ذي القرنين.

ثالثاً: تحركات الرجلين:

كان لكل منهما ثلاثة منطلقات.. كل منطلق منها كان إلى غاية من الغايات الثلاث، التي تولد من كل غاية منها حدث.

فالعبد الصالح ينطلق في كلّ مرة، ومعه صاحبه موسى.. وكان موسى هو السبب الذي كان عنه مُنطلقه إلى كل غاية من غاياته الثلاث: "فانطلقا".."فانطلقا".."فانطلقا".

وذو القرنين، ينطلق في كل مرة، ومعه سبب، يتبعه سبب، حتى يبلغ غايته.. "فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾".. "ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾" .. "ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾"..

ورابعاً: أسباب العبد الصالح، تجري على مستوى قَدَري، فوق مستوى البشر..

أما أسباب ذي القرنين فتجري على مستوى العقل البشري، حيث يأخذ الأمور بأسبابها الظاهرة التي تبدو لعين العاقل، البصير ، العالم.

أمـــا الطـــريقة التي كان الكاتب يدرس بها كل قصة من هذه القصص، أنه يسوق نصوص القصـــة مرتباً إياها حسب ترتيب المصحف، ثم يقسم هذه النصوص وفق الأحداث التي تضمنتها إلى افتتاحـــية القصة، وإلى النداءات والجوابات التي تضمنتها هذه القصة، وتتعدد هذه النداءات والجوابات حسب كل قصة، ومن ثمّ يذكر بعض المواقف المتشابهة في سياقات القصة مما لا يدخل تحت الأسلوب الحواري.

فمثلاً عند حديثه عن قصة نوح عليه السلام:

- يذكر افتتاح القصة في ست سور هي: الأعراف: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ"، وهود: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ"، والمؤمنون: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ"، والشعراء: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾"، والقمر: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا"، ونوح: "إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾".

ثم يذكـــر تحليلاً ومناقشةً لا تخلو من تكلف إذ يبين أن افتتاح سورة نوح قد أضاف بيان وظـــيفة نوح وأنها الإنذار، وأن ذلك يستفاد من قوله سبحانه: "أَنْ أَنذِرْ"، ولعله أدرك أن سورة هود قد سبق فيها إشارة إلى هذه الوظيفة فيقول: "وقد يقول قائل: إن هذا ليس إضافة، فقد أعلن نوح عن وظيفته في غير هذه السورة؟ ويجاب بأن هذا البيان الذي جاء في افتتاح سورة نوح ليس من كلام نوح، وإنما هو من كلام الله سبحانه، أما في غير سورة نوح، فقد جاء على لسان نوح عليه السلام"(1)، وهذا تكلف في الجواب واضح.

---

(١) زلط: قضايا التكرار، ص ١٨.

ويمكن تسجيل ملحوظتين اثنتين على الكتاب:

الأولى: أن المنهج الذي اختاره المؤلف في ذكر نصوص القصة بترتيبها حسب المصحف لم يكن فاعلاً في تحقيق غاية المؤلف وفكرة الكتاب، ولو أنه سلك سبيل ترتيب النّزول —كما فعل شيخنا الدكتور فضل- حفظه الله- في كتابه (القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته) لسهل عليه ذلك الوصول إلى نتائج أعمق وأدق واوفق في هذا الموضوع.

الثاني: والملحوظة الثانية متفرعة على الأولى، إذ أن الدكتور (زلط) هدف من كتابه إلى الوقوف على شيء من أسرار التكرار، وإثبات أن هذا التكرار إنما هو إعجاز لا يستطيعه بشر.

ولكن بقياس حجم النتائج التي توصل إليها المؤلف إلى الهدف الذي أراده لا يكاد يحقق شيئاً كثيراً، وقد انحصر معظمها على شكل تسجل الإضافات التي جاء بها كل نص عن غيره، و لم يطالعنا بكثير من أسرار هذه الإضافات التي تحقق دراستها — دراسة تحليلية- جوانب إعجاز القرآن الكريم.

ولو كان هدفه من الكتاب نفي التكرار عن القصص القرآني بإثبات زيادة معنى جديد في كل مرة يعاد فيه ذكر الموقف لكانت دراسته محققة لنتائج واضحة، مع تحفظنا على أن يكون منهج ترتيب الآيات حسب ترتيب المصحف محققاً لذلك كاشفاً عن أسراره.

المطلب الرابع: المنهج الأدبي:

والمقصـــود به تلك المحاولات التي يسعى بها أصحابها لتحويل القصة القرآنية من حيث عناصرها الحوارية والسردية إلى قصة أدبية فنية.

وهنا يجب أن نفرق بين أن يكون أسلوب الكاتب أو صياغة الكتاب صياغة أدبية، وأن تحوّل القصة القرآنية إلى قصة أدبية فنية تتحقق فيها عناصر هذا النوع من القصص من حيث الحدث والحوار والبطل والعقدة والخاتمة.

وعلى الرغم من قلة نتاج هذا المنهج إلا أن بعض المؤلفات فيه لاقت قبولاً ليس بالقليل عـــند كـــثير من الناس، وبخاصة القراء من الطبقة الثقافية العامة أو المتوسطة، ذلك أن هذه الكـــتابات أمـــيل في أسلوبها إلى الأسلوب الروائي أو القصص الأدبي، وخير مثال على هذا مؤلفات الكاتب محمد كامل حسن المحامي: سلسلة: قصص من القرآن الكريم.

وفي رأيـــي أن هذا المنهج يبعد القصص القرآني عن هدفه الأسمى وغايته الأولى، وهي هداية الناس وتحقيق معاني العبرة والعظة، وينحى منحى التسلية والترفيه وملء الفراغ أحياناً، أو منحى التشويق والمبالغة أحياناً أخرى.

والكاتـــبون وفق هذا المنهج ليسوا سواء، فبعضهم يقترب جداً من دائرة النص القرآني وحديـــث القرآن عن هذه القصص، مسترشداً مستشهداً بالآيات في كثير مما يقول، وذلك كما فعل (أحمد بهجت في كتابه: أنبياء الله).

وبعضهم الآخر لا يأخذ من القصة إلا فكرتها ومعناها كما يريد أن يفهمه هو، ويمكن أن نعد من ذلك ما كتبه الكاتب السوري حيدر حيدر في روايته (وليمة لأعشاب البحر)[1]، وسوف أتناول هنا الحديث عن بعض هذه الكتب، مشيراً قبل ذلك إلى أهم الكتب التي تمثل هذا المنهج:

- سلسلة قصص الأنبياء/ عبد الجليل حماد ومختار القاوقجي.
- سلسلة من أحسن القصص/ سيف الدين الكاتب.
- قصص القرآن الكريم/ فتحي فوزي عبد المعطي.

ونبدأ الحدث عما وعدنا به:

– كتاب: أنبياء الله: أحمد بهجت:

يبدأ الكاتب مقدمة كتابه آخذاً جلها من كتابات سيد قطب –رحمه الله– في التصوير الفني والظلال.

ومنذ البداية يطالعك في مقدمته بالجانب الفني الذي يسيطر عليه، يقول: "وتمضي بك دوامة الحياة... ثم تعاود قراءة قصة أخرى من قصص القرآن... لا تكاد تمضي في القراءة حتى يقع شيء أعجب... انتصب المسرح في القصة الأولى، وهذه المرة تضيء شاشة السينما...

---

(١) لقد كتب هذا الروائي روايته في تصوير أحداث عشق بين رجل وامرأة وتصور الممارسات الجنسية بينهما، ويتكلم عن قيم الخير والفضيلة والعفة بسخرية واستهزاء ويقدح في مقام الأنبياء ونبوة سيدنا محمد ﷺ ، انظر: ص ٢٥ ، ص ٢٢٧، من الرواية ، وهو يظلل روايته بوحي من قصة يوسف عليه السلام، ولقد أحدثت هذه الرواية زوبعة قضائية لم تنته بعد.

تختفي الكلمات المكتوبة وتضيء شاشة السينما... ويتحرك أمامك شريط الصور... يتحرك بلغة سينمائية معجزة... والسينما لغة مفرداتها هي الصور... وأنت تشهد فيلماً يعبر بالصور بغير كـــلام ... ثمة حلم هنا لا تعرف تفسيره... سيؤدي تقطيع الصور وتسلسل السيناريو وتركيب المشاهد إلى تفسير الحلم في النهاية...

ومـــن أمثلة القصص التي يقدمها القرآن بأسلوب المسرح... قصة هود وقصة صالح، ومن أمثلة القصص التي يقدمها القرآن بأسلوب السينما... قصة يوسف... وقصة موسى.

ولقد نزل القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان... و لم يكن عالم الأدب قد اكتشف قواعد القصة القصيرة، أو أصول الدراما، أو فن السينما..."[1].

وهو يرى أن أول غرض من أغراض القصص القرآني هو الصراع، يقول "خيط واحد يشد كـــل قصـــص الأنبـــياء، ويبدو واضحاً في نسيجها المحكم المعجز الرائع... خيط واحد ... هو الصراع... لا يكاد النبي يبدأ دعوته حتى تنقلب الدنيا كلها ضده فجأة"[2].

وإليك بعض النماذج مما قاله الكاتب تعطيك فكرة عن منهجه.

- مـــن قصة آدم عليه السلام يقول: "... ونام آدم يوماً فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة تحدق في وجهه بعينين جميلتين ورحيمتين ... وربما دار بينهما هذا الحوار:

قال آدم: لم تكوني هنا قبل أن أنام.

قالت: نعم.

---

(١) أحمد بهجت: أنبياء الله، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١٥، ١٩٨٧م.

(٢) أحمد بهجت: أنبياء الله، ص ٢٤.

قال: جئت أثناء نومي إذن؟

قالت: نعم.

قال: من أين جئت ...؟

قالت: جئت من نفسك ... خلقني الله منك وأنت نائم ... إلا تريد أن تستعيدني إليك وأنت مستيقظ؟

قال آدم: لماذا خلقك الله؟

قالت حواء: لتسكن إلي.

قال آدم: الحمد لله ... كنت أحسٌّ بالوحدة...(١).

ويصف حياتهما في الجنة فيقول: "كانت حياة آدم وحواء في الجنة هي البراءة المطلقة والقدرة التي لا تحد، وعرف آدم معنى السعادة الداخلية العميقة حين صار مع حواء في الجنة ... لم يعد يحس الوحدة ... كان يتحدث مع حواء كثيراً، ويستمعان لغناء الخلائق وتسبيح الأنهار، وموسيقى الوجود البكر، قبل أن يعرف الوجود معنى الأحزان والآلام ... وكان الله قد سمح لهما بأن يقتربا من كل شيء، وأن يستمتعا بكل شيء ما عدا شجرة واحدة لعلها شجرة الألم أو شجرة المعرفة"[٢].

(١) أحمد بهجت: أنبياء الله، ص ٤٠.

(٢) أحمد بهجت: أنبياء الله، ص ٤١. وكلامه عن الشجرة لا يستقيم مع نص القرآن على أنها شجرة الخلد **"قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يَبلى"**.

- في حديـــثه عن قصة يحيى عليه السلام والمؤامرة لقتله يذكر حواراً عجيباً غريباً، فيقول::

"... وســـأل الملك "يحيى" هل يجوز له أن يتزوج زوجة أخيه فقال: "يحيى" عليه السلام:

"لا يجوز"...

وراح الملـــك يحـــدث "يحيى" بأنه يريد الزواج منها ... وعلى" يحيى أن يجد له فتوى ترضيه، ورفض "يحيى" أن يوافق الملك على رغبته، قال له حكم الشريعة وتركه وانصرف... وزاد غضب الملك على "يحيى" فأمر بسجنه.

واغتصـــب الملك زوجة أخيه، وكانت ابنتها الراقصة قد شاهدت "يحيى" وهو يحدث الملك... وأحست بنبل وجهه وجمال روحه وجلال شخصيته، وأحبته الراقصة، وذهبت إليه في ســـجنه وشـــاهدته يجلس منخرطاً في الصلاة والبكاء... راقبته وهو يصلى حتى فرغ... ألقت بنفسها تحت قدميه وسألته أن يحبها كما تحبه ...

قال يحيى: ليس في قلبي مكان لحب غير حب الله.

نهضـــت المـــرأة بائســـة، وانصرفت عنه وقد امتلأ قلبها بكراهيته... عادت إلى قصر الملك...

كان العشاء قد انتهى، وبدأ الملك يشرب الخمر... بدأت تسقيه حتى أحس أن رأسه مـــثل بالونة ضخمة وأنه سيطير بعد قليل... هنالك نهضت الراقصة وأسرعت ترتدي ثياب الـــرقص وعـــادت إلى الملـــك... نظر الملك إليها وأحس أن رأسه يزداد تهوية ويخلو أكثر وأكثر... وبدأت ترقص.

بدأ العزف ودق الطبول وراحت المرأة ترقص...

في الرقصة السابعة توقفت، وكشرت وجهها وقالت للملك:

أريد أن أسأل مولاي شيئاً...

قال الملك المخمور الطاغية: كل شيء تطلبينه سأعطيه لك الآن.

قالت المرأة: أريد رأس "يحيى بن زكريا".

أفاق الملك من سكره، وأحس الخوف ... قال لها وهو يتأرجح في مقعده:

اسأليني شيئاً آخر.

قالت: أريد دم "يحيى بن زكريا".

كانت هذه المرأة في نهاية الأمر رمزاً للشر الأسود.

وقال الملك وهو يتناول كأسه الرابعة بعد الأربعين:

اقتلوا "يحيى بن زكريا".

وأصدر قائد الحرس الملكي أمره إلى فرسانه

وأسرع الفرسان إلى سيوفهم وخناجرهم..."

يكفيك هذا الهراء ولننتقل إلى **سلسلة الكاتب محمد كامل حسن المحامي** والتي جعلها تحت عنوان (قصص من القرآن الكريم) وجعل لكل كتاب عنواناً، من هذه العنوانات: عاشقة يوسف، حينما باعوا النبي، قاتل الغلام، الأمطار القاتلة، النبي الشهيد، حينما تكلم الله... الخ.

والسلسلة صدرت عن المكتب العالمي للطباعة والنشر في بيروت تحت إشراف ومراجعة "عادل نويهض"، وقد جعل على غلاف كل قصة العبارة التالية: "قصص من القرآن الكريم في أسلوب عصري مشوق" وعلى الغلاف من الخلف عبارة "كل كتاب من سلسلة قصص مــن القرآن الكريم، يسرد بأسلوب عصري وقصص غاية في التشويق مع تحليل وافر ودقيق لكل قصة، اعتماداً على ما جاء في القرآن الكريم...".

ونقف مع قصة من القصص التي تناولها المؤلف وقفة سريعة لكنها تعطيك تصوراً دقيقاً لمنهج الكاتب.

ونقــف مــع قصته (عاشقة يوسف) ولاشك أنك عرفت ما هي القصة القرآنية التي سيتحدث عنها الكاتب هنا.

واسمع عنوانات القصة تطرق سمعك هو يقسم هذه القصة إلى فصول:

الفصل الأول: نعمة الجمال... ونقمته.

الفصل الثاني: جنون العشق.

الفصل الثالث: الفضيحة.

الفصل الرابع: العاشقة تثور لكرامتها.

الفصل الخامس: جنون النساء بيوسف.

الفصل السادس: الوليمة الثأرية.

الفصل السابع: السجن للحبيب.

النهاية المؤثرة السعيدة.

واسمع إلى بعض ما قاله في النهاية المؤثرة السعيدة.

"استدعى الملك هؤلاء النسوة لكي يحقق معهن ... كما استمع إلى قول زُليخة عاشقة يوسف، وابتدأ التحقيق مع النسوة بأن وجه إليهن الملك التهمة بأسلوب قاسٍ...

ولا يعرف أحد تفصيلات التحقيق أو تفصيلات الحوار الذي دار بين الملك وهؤلاء النسوة.

ولكن الملك كان بلا شك حازماً ذكياً حتى دفعهن إلى أن يشهدن جميعاً لمصلحة يوسف..."[1].

ويقول بعد حديثه عن اعتراف امرأة العزيز: "ليس بعد هذا حب! لقد اعترفت على نفسها بالشروع في ارتكاب الخطيئة، وبرأت يوسف منها، حتى إذا علم بشهادتها تأكد من أنها لم تخنه، أي لم تخن حبه وهو غائب عنها في السجن!...

لقد تطهرت نفسها من أدران ذلك الاشتهاء العابر الذي سلطه الشيطان عليها يوم الفضيحة!... إن نار الحرمان أنضجت عاطفتها الشريفة نحو يوسف"[2].

وإذا كنا نقرأ لبعض الكتاب أن معنى قول امرأة العزيز "ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ" أن المقصود هو يوسف وليس زوجها ، فلأول مرة نقرأ أنها قالت هذا الكلام ليتأكد يوسف من أنها لم تخنه، وأن معنى "تخنه" هنا: أي تخن حبه!!

---

(١) محمد كامل حسن المحامي: عاشقة يوسف، سلسلة قصص من القرآن الكريم، منشورات المكتب العالمي، بيروت، ١٩٨٢م، مجلد أول، ص ١٣٦.

(٢) محمد كامل: عاشقة يوسف، مجلد أول ، ص ١٣٨.

المطلب الخامس: المنهج المقارَن:

تكلمت في المبحث الأول من هذا الفصل عن (منهج المقارنة والموازنة) فيما يخص الدراسات حول القصة القرآنية، وحديثي هنا عن (المنهج المقارن) المتعلق بالدراسات التي عرضت أحداث القصص القرآني، قاصداً به ذلكم المنهج الذي عني أصحابه بدراسة أحداث القصة القرآنية مقارنة بالأحداث التي وردت في الكتاب المقدس(١)، من حيث تفصيل هذه الأحداث ومدى التطابق أو الاختلاف بينها في حيز القرآن وروايات الكتاب المقدس.

والجوانب التي تناولتها المؤلفات ذات الاهتمام بالمنهج المقارن متقاربة ومتشابهة جداً تكاد تكون واحدة عند معظم هذه المؤلفات، وهذه الجوانب:

- مقدار حجم الأحداث وتفصيلاتها بين القرآن والكتب المقدس.

---

(١) الكتاب الذي يؤمن به النصارى مكون من قسمين: العهد القديم ، وهو كتاب اليهود الديني، والعهد الجديد، وهو الإنجيل الذي يؤمن النصارى أن الله أنزله على عيسى عليه السلام، واليهود لا يؤمنون بكتاب النصارى هذا؛ لأنهم لا يعتقدون ابتداءً أن عيسى رسول الله.
والعهد القديم الذي يؤمن به اليهود والنصارى على حدٍ سواء مكون من خمسة أسفار:
سفر التكوين: وموضوعه: تكوين الكون، ونشأة الإنسان، وقصة البشرية منذ خلق آدم عليه السلام إلى وفاة يوسف عليه السلام في مصر.
سفر الخروج: يتحدث عن حياة بني إسرائيل في مصر وما لاقوه من العذاب والاضطهاد إلى خروجهم مع موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة.
سفر اللاويين: (سفر الأحبار): يتحدث عن بني (لاوي) أحد أسباط بني إسرائيل، وهم يرون أن موسى من هؤلاء وأن الزعامة الدينية لليهود فيهم.
سفر العدد: ويتحدث عن الأسباط الاثني عشر.
سفر التثنية: وفيه جملة من التشريعات والوصايا والأحكام التي أنزلها الله على موسى عليه السلام لبني إسرائيل.
أما العهد الجديد، وهو الإنجيل الذي يؤمن به النصارى فقط، فلم يرد فيه شيء عن قصص الأنبياء إلا بعض التفصيلات عن حياة عيسى عليه السلام، وزكريا ويحيى ، وقصص بعض ملوكهم وأتباعهم.

- بيان الأحداث التي تتشابه روايتها في القرآن الكريم والكتاب المقدس.
- بيان صدق الوقائع ومدى توافقها مع حكم الشرع والعقل.

والأحداث –كما تظهر في هذه المؤلفات– لا تخرج عن حالات ثلاثة:

- أن يكون القرآن موافقاً ومصدقاً لهذه الأحداث.
- أن يكذبها القرآن الكريم وتكون له رواية أخرى للحوادث والوقائع.
- أن لا يـــرد شـــيء في القرآن الكريم عن تلك الأحداث... وهذا كثير في روايات الكتاب المقدس.

ومن أشهر هذه الكتب التي تمثل هذا الاتجاه:

- الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، دراسة مقارنة/ د.محمد علي البار.
- التوراة والقرآن مقارنة نصية/عادل المعلم.
- أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة/د. زاهية الدجاني.
- المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى وفرعون/ د. زاهية الدجاني.
- قصـــة الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية، دراسة دينية منهجية مقارنة/ لخضر شايب.
- أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن/ د. أحمد المجذوب.
- داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم/ د. أحمد الأحمد.
- الفروقات بين القرآن والتوراة والإنجيل (قصة يوسف)/ خليل سليمان.

- سفر التكوين في ميزان القرآن من آدم إلى أولاد إبراهيم عليهم السلام (جزءان)/ د. صلاح الخالدي.
- إبراهيم أبو الأنبياء/ عباس محمود العقاد.

وكما تلاحظ من هذه المؤلفات فبعضها تحدث عن قصة نبي أو أكثر من الأنبياء عليهم السلام، وبعضها الآخر تناول دراسة قصص جميع الأنبياء التي ورد ذكرهم في القرآن الكريم أو الكتاب المقدس.

وبعض هذه الدراسات اكتفى بذكر نص القصة في القرآن الكريم والنص الآخر في الكتاب المقدس، دون أي تحليل أو تعليق إلا القليل، وذلك كما في كتاب: التوراة والقرآن، مقارنة نصية: عادل المعلم.

وبعضها تناول هذه النصوص بالتعليق والتحليل من جوانب تاريخية وأدبية وفنية، وذلك كما في كل من كتاب: د. أحمد المجذوب/ أهل الكهف في التوراة والإنجيل القرآن، وكتاب عباس محمود العقاد/ إبراهيم أبو الأنبياء، وكتاب الدكتور أحمد الأحمد/ داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم.

إن الهدف الذي يجمع بين هذه الدراسات هدف علمي ديني موضوعي، يتمثل في حرص المؤلف على كشف زيف وبهتان اليهود والنصارى فيما يزعمونه في حق الله تعالى فيما يصورونه به من أنه بشر حقود سريع الغضب كثير الندم شديد الحرص على أبنائه اليهود...

المطلب السادس: المنهج الموضوعي:

يتمـــثل هذا المنهج في اختيار الكاتب دراسة القصص القرآني دراسة تقوم على اختيار موضوع ما، يلحظ تعرض القرآن الكريم له من خلال قصصه أو بعضها، فيستخرج عناصر هذا الموضوع وينسق ويؤلف بينها.

وهذا الشكل – أقصد اختيار موضوع معين- هو الغالب على هذا المنهج.

وهـــناك شـــكل آخر يمثل هذا المنهج وهو أن يتناول الكاتب قصة معينة فيدرسها أو يدرس بعض الجوانب فيها، دراسةً موضوعيةً، أو أن يتناول جميع القصص القرآني على هذا النحو.

إن معالجة الجانب الموضوعي في التعامل مع القصص القرآني لا يزال عملاً فردياً ينتمي إلى جهـــود قلـــة من الكاتبين ينبثق من فكر المؤلف وثقافته الفردية، ولم تكتمل حتى الآن جهود عالمة، محددة المعالم، واضحة الأصول تعنى بهذا النوع من الدراسات.

ومـــا أحوج القصص القرآني إلى أن تتكاتف وتتكاثف في التأليف فيه جهود العلماء، بحثاً في قضاياه الموضوعية واستنباطاً لقيمه الدينية والإنسانية والاجتماعية...

وإيماناً مني بأهمية الدور الذي يؤديه هذا المنهج في خدمة قضايا القصص القرآني وإبراز قيمه وأهدافه وغاياته، فقد ذكرت في حديثي عن المنهج المقترح في دراسة القصص القرآني – في المبحث الأخير من هذه الدراسة- ذكرت عناصر هذا المنهج وأشكاله كما أراها تحقق هذه الخدمة الجليلة للقصة القرآنية.

ومن الكتب التي تمثل الشكل لأول في هذا المنهج:

- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى/ د. محمد سالم محيسن.
- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله/ محمد سرور بن نايف زين العابدين.
- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل/ د. ربيع بن هادي عمير المدخلي.
- قطوف تربوية حول القصص القرآني/ د. حمدي شعيب.
- شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني/ رأفت المصري، وهي رسالة ماجستير/ الجامعة الأردنية.
- آيات الملأ في القرآن/ زياد الزعبي، وهي رسالة ماجستير: جامعة آل البيت/ الأردن.
- شخصية فرعون في القرآن الكريم/ قاسم توفيق خضر/ رسالة ماجستير/ جامعة النجاح الوطنية/ نابلس.
- (١٧) قاعدة نفسية في سورة يوسف/ أكرم عثمان.
- دعاء الأنبياء عليهم السلام/ د. مصطفى مراد.

ومن الأمثلة على بعض ما تناولته هذه المؤلفات، نجد الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه (**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**) يتناول الحديث عن خمسة من الأنبياء عليهم السلام، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ، ويقسم الحديث عن كل نبي إلى مبحثين، يتناول في المبحث الأول: الشرك الذي واجهة كل نبي، يبين فيه مظاهر الانحراف والضلال عند القوم الذين بعث إليهم النبي، وفي المبحث الثاني يتحدث عن عَرْضِ هذا النبي للتوحيد ودعوته إليه، ويبين أهم عناصر هذه الدعوة، والمواقف الدعوية بين النبي وقومه.

ومثال آخر نتحدث فيه عن كتاب الدكتور ربيع المدخلي: (**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**)، والذي يظهر أن الكاتب ألف كتابه لا لغاية بيان منهج هؤلاء الأنبياء وإنما للرد على مناهج الدعوة والإصلاح عند بعض التيارات[1] الفكرية التي برزت في الساحة الإسلامية خلال القرن الماضي، متخذاً من الرد على بعض المفكرين والكتّاب كأبي الأعلى المودودي، والشهيد سيد قطب، والأستاذ عمر التلمساني، مادة استغرقت ثلث كتابه تقريباً.

ومن النماذج التي تكلم عن دعوتهم إلى الله من الرسل الكرام نوح وإبراهيم ويوسف وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وذكر خلاصة لفهمه طبيعة دعوة الأنبياء: "إنهم -عليهم الصلاة والسلام- ما جاءوا لإسقاط دول وإقامة أخرى، ولا يطلبون ملكاً ولا ينظمون لذلك أحزاباً، وإنما جاءوا لهداية الناس وإنقاذهم من الضلال والشرك وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتذكيرهم بأيام الله، ولو عرض عليهم الملك لرفضوه، ومضوا في سبيل دعوتهم"[2]، وأعجب لقول الكاتب أن الأنبياء (ما جاءوا لإسقاط دول وإقامة أخرى)، وهو قول مبهم لا أرى له تفسيراً في ظل فهمنا حقيقة الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكيف يستقيم قوله ذلك مع محاولات رسولنا الكريم ﷺ البحث عن مكان لإقامة حكم الله فيه، وتأسيس أركان دولة الإسلام إلى أن تسنى له ذلك في المدينة المنورة...

---

(١) ربيع بن هادي المدخلي: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، مكتبة الفرقان، عجمان، ٢٠٠٠م، ٢٩. والكاتب له أكثر من كتاب يتهجم فيها على فكر ورموز جماعة الأخوان المسلمين، ويصل به الأمر إلى تكفير بعضهم، كما في حديثه عن الشهيد سيد قطب، ومن كتبه: أضواء على عقيدة سيد قطب.

(٢) ربيع المدخلي: منهج الأنبياء، ص ١١٨.

إن انطلاق الكاتب من نقطة دفاعه عن الدعوة التي ينتمي إليها والدولة التي تتبنى هذه الدعوة، ومن هجمه على مناهج الدعوة والإصلاح التي ظهرت في القرن العشرين – بغض النظر عن موقفنا منها- هو ما جعله يقع في هذا الفهم الخاطئ.

ومن الكتب التي تمثل الشكل الثاني من أشكال المنهج الموضوعي:

- دراسات في التفسير الموضوعي/ د. أحمد جمال العمري.
- من نبأ المرسلين، هود ويوسف/ حسن عيسى عبد الظاهر.
- قصة يوسف عليه السلام، قراءة تأويلية/ سعيد الشلبي.

ويمكن أن نعد من ذلك أيضاً كتاب: **مواقف الأنبياء في القرآن/ د. صلاح الخالدي،** فهو يبحث في الاشكالات التي تثار حول قصص ومواقف الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، والتساؤلات التي تطرح حول معاني الآيات التي تحدثت عنهم وما تنسبه إليهم من أقوال وأفعال تحتاج إلى حسن فهم وتفسير.

وطريقة[1] المؤلف في كتابه أن يذكر الآية أو الآيات التي تتحدث عن النبي أو الرسول، وذكر الإشكال الذي يثار حوله، والتساؤل الذي يوجه إلى موقفه، وتشخيص المشكلة... ثم حلها وتحليلها، وتوضيحها وتوجيهها، وتأويلها وتفسيرها، معتمداً على حسن فهم الآيات، وتفسيرها بآيات أخرى، وما صح من حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) صلاح الخالدي: مواقف الأنبياء في القرآن، تحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٧.

والظاهـــر في منهج الدكتور أنه يقسم قصة النبي أو الرسول إلى مواقف يعطي لكل موقف عـــنواناً خاصـــاً يتناسب مع أحداث هذا الموقف، وكان أمامي أن أجعل كتاب الدكتور ضمن المـــنهج التفســـيري، إلا أنـــني وجدت أنه من حيث موضوعه وشكله المنهجي أقرب إلى المنهج الموضوعي.

ومن الكتب التي لا بد من الوقوف معها كتاب:

- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني/ د. أحمد جمال العمري:

وهـــو أول كتاب يتناول دراسة أكثر القصص القرآني مجتمعة دراسة موضوعية تحت عنوان صريح يشير إلى نوع هذه الدراسة.

يقـــول الكاتب عن منهجه في الكتاب: "ليس الهدف من دراسة القصص القرآني، وتفسيره موضـــوعياً، أن نـــلم بكل جزئيات القصص وعناصره، وإنما هدفنا في هذا المنهج أن نركز على حدث معين من الأحداث، أو واقعة محددة من الوقائع، التي وقعت في حياة رسول من الرسل، أو نـــبي مـــن الأنبـــياء، فنحن لا نقصد بدراستنا كل ما اشتملت عليه حياة الرسل، ولكننا ندرس موضوعاً معيناً، دراسة مركزة مكثفة، تبرز مضمونه، وتوضح ملامحه، وتحكي حقيقته، ثم نتناول العبرة أو العبر من وراء الحدث.

فلـــيس الهدف من هذه الدراسة – حصرياً- بمعنى أن نتناول كل ما حدث في حياة الأنبياء والرسل، وإنما الهدف إلقاء الضوء على أبرز حدث واجه الرسول أو النبي، ونتائج هذا الحدث"(١).

---

(١) أحمد جمال العمري: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ٢٠٠١،ص ١٠.

بدأ الدكتور دراسته بالحديث في التمهيد عن التفسير ومناهجه، ذاكراً للتفسير ألواناً ثلاثة هي: التحليلي والإجمالي والموضوعي، ثم تحدث عن التفسير الموضوعي بين الماضي والحاضر، تناول فيه بذور التفسير الموضوعي في عهد الرسول ﷺ إلى أن ختم بمناهج البحث في التفسير الموضوعي كما انتهت إليه في العصر الحاضر.

وقد قسم الكتاب إلى أربعة عشرة فصلاً، بدأها بالحديث عن أنبياء الله ورسله، والحديث عن آدم عليه السلام، وانتهى بها بالحديث عن خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، مع تخصيص بعض هذه الفصول للحديث عن قصص غير الأنبياء والمرسلين، كالحديث عن قارون وكنوزه، والحديث عن ابني آدم...

ونأخذ نموذجاً من الكتاب نرى بها نهج صاحبه: ولنقف مع حديثه عن قصة يوسف عليه السلام[1].

تحدث بداية عن سبب تسمية هذه القصة بـ(أحسن القصص) ونقل أقوالاً كثيرة للعلماء في سبب ذلك.

أما الجانب الموضوعي في حديثه عن القصة فيظهر حين قسم الامتحانات والابتلاءات التي مر بها يوسف إلى ثلاثة، حيث قال: "تشير قصة يوسف – عليه السلام– أنه امتحن بمجموعة من المحن.

المحنة الأولى: محنة إلقائه في غيابة الجب.

---

(١) أحمد العمري: دراسات في التفسير الموضوعي، ص ٢٣٦.

المحنة الثانية: محنة الاسترقاق.

المحنة الثالثة: محنة المراودة.

وقـــد استغرق حديثه عن المحنة الثالثة خمس عشرة صفحة، في حين لم يكن حديثه عن محنة الجب والاسترقاق أكثر من صفحتين.

وعلى الرغم من التقسيم الموضوعي الذي تظهره هذه الدراسة إلا أنه يغلب على كثير من جوانبها طابع السرد والنقل وطابع التفسير.

وفي العموم تعد هذه الدراسة مختصرة قياساً إلى ما تتطلبه عناصر الدراسة الموضوعية في مـــثل هذا النوع، فعلى سبيل المثال كان ينبغي وقد ذكر الدكتور محناً ثلاثة في حياة يوسف أن يضيف (محنة السجن)، و(محنة الحكم)، وقد أشار يوسف في نهاية القصة إلى أن المخرج مـــن هـــذه المحـــن جمـــيعها التقوى والصبر " إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝" [يوسف: ٩٠].

بـــيد أن كـــل هذا لا يمنع أن تكون هذه الدراسة شيقة جيدة تشير إلى نمط جديد في دراسة القصص القرآني، ولعل رغبة الكاتب في أن يعرض لجميع القصص في كتاب واحد قد قصرت به عن إكمال وإتمام كثير من الجوانب الموضوعية التي لا بد منها لمن يعرض لقصص الأنبياء عليهم السلام.

المطلب السابع: المنهج الوعظي/ الإرشادي:

إن أبرز جانب يظهره كل متحدث عن أهداف القصص القرآني هو تحقيق العبرة والعظة، ولذلك فقد وجدنا أنه ما من كتاب في القصص إلا ويحرص على تحقيق ولو شيء بسيط من هذا الجانب، وإن كثيراً من المؤلفين ينص صراحة على ما تحققه كل قصة من دروس وعبر، ومنهم من ينص على هذا الأساس من خلال عنوان الكتاب.

ولعل من القواسم المشتركة بين جميع المناهج التي درست القصة القرآنية سعيها نحو إبراز هذه القيم من عبر ومواعظ ودروس مما يحققه القرآن.

وكنت أود لو جعلت نتاج هذا المنهج من الكتب والمؤلفات ضمن حديثي عن (المنهج الموضوعي)، ذلك أن أصحاب هذا المنهج – أقصد الوعظي الإرشادي- يهتمون كثيراً بإبراز مواطن العبرة والعظة في كل قصة، مما يشير إلى رؤوس الموضوعات فيها – وإن لم يكن الشكل الذي يتبعونه في ذلك شكلاً موضوعياً منهجياً- ولكني وجدت أن هذا العمل – على أهميته- لا يرقى إلى مستوى الدراسات الموضوعية ذات الشكل المنهجي، مما جعلني أفردها بهذا المنهج، معتمداً في تحديد ذلك على من يكثر عنده الاهتمام بإبراز هذا الجانب في دراسته للقصص، وإلا فالأمر – كما قلنا- مشترك عند الجميع...

وفي ضوء ما تقدم أقول: إن المنهج الوعظي الإرشادي يقوم على رصد وتسجيل وإبراز القيم التربوية والأخلاقية والإنسانية والاجتماعية والدعوية إلى غير ذلك من مجالات الحياة،

فيقوم المؤلف بتسجيل ذلك على شكل عنوانات واضحة بعد كل قصة، أو أنه يعرض لهذه القيم من خلال سرده للأحداث والوقائع...

وتجدر الإشارة هنا أنه لا يدخل تحت هذا المنهج كل كتاب يعنى بإبراز بعض الدروس والعبر والفوائد في القصة، فقد وجدنا الكثير من المؤلفات على اختلاف وتعدد وتنوع مناهجها، وجدنا أن أصحابها يذكرون بعد كل قصة مجموعة من النقاط يرصدون بها دروس القصة وفوائدها، وهذا ليس داخلاً في تحديد مفهوم هذا المنهج.

إنما الذي أقصده تلك الجهود التي وجه أصحابها أنفسهم فيها باتجاه دراسة مواطن العبرة والعظة واستنباط الأفكار والدلالات والمعاني العميقة.

وأبرز المؤلفات التي وجدتها تسعى بشكل علمي منهجي لتحقيق ذلك:

- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة/ د. عبد الكريم زيدان.
- القصص القرآني بين الآباء والأبناء/ عماد زهير حافظ.
- مدرسة الأنبياء عبر وأضواء/ محمد بسام رشدي الزين.

ونقف مع أهم وأوسع هذه الكتب ، وهو كتاب الدكتور عبد الكريم زيدان:

- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة/ د. عبد الكريم زيدان.

يقع الكتاب في مجلدين اثنين فيما يقرب من ستمائة صفحة لكل مجلد، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٦م.

يتحدث المؤلف عن غرضه من تأليف الكتاب فيقول: "وإذا كان في قصص القرآن ما ذكـــرته من فوائد، فقد ألفت هذا الكتاب لأكشف بعون الله وتوفيقه بعض ما يستفاد من هـــذه القصـــص للدعوة والدعاة، لأن الله تعالى ما قص علينا ما قصه من قصص في كتابه العزيز إلا للموعظة والاعتبار والاستفادة، ومَنْ أولى وأحق بهذه الموعظة والاستفادة والاعتبار من إخواني الدعاة إلى الله؟"[1].

ويـــبين منهجه في الكتاب فيقول: "لقد اتبعت في بحث قصص القرآن جمع ما ورد من آيـــات في ســـور متعددة بشأن القصة الواحدة كلما كان ذلك الجمع ضرورياً، ثم قدمت خلاصة عن هذه القصة من خلال تفسير هذه الآيات، ثم بينت ما يستفاد من القصة للدعوة والدعـــاة في ضوء ما ذكره المفسرون في تفسير هذه الآيات، وفي ضوء ما ينكشف لي من معاني القصة ومراميها بعد طول تأمل فيها.

وجعلت الكتاب في بابين: الأول: في قصص القرآن عن الماضين من رسل الله وغيرهم قبل بعثة نبينا محمد ﷺ. والباب الثاني: جعلته فيما يتعلق من قصص القرآن بسيدنا محمد ﷺ وبأصحابه الكرام، وبالمنافقين الذين كانوا في المجتمع الإسلامي في عصر النبي ﷺ"[2].

والمؤلـــف يذكر قصة كل نبي في فصل، ويقسم هذا الفصل إلى مبحثين اثنين: الأول: يذكر فيه موجز القصة من خلال تفسير آياتها. والثاني: يذكر فيه ما يُستفاد من هذه القصة للدعوة والدعاة.

---

(١) عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٩.

(٢) عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن، ص ٩.

ويظهر من عبارات المؤلف والعنوان أنه ألف هذا الكتاب لتربية أبناء الدعوة الإسلامية من العاملين في حقل هذه الدعوة، ويرد كثيراً عبارة الجماعة المسلمة، جماعة الدعوة، ولذلك وجدنا أن المؤلف يركز كثيراً في دروسه المستفادة على ربطها بالدعوة وأساليب الدعوة وأخلاق الدعاة. كما أنه أحياناً يتوسع بذكر موضوعات وقضايا جانبيه ليس لها ارتباط مباشر بالقصة أو موضوعها، ولكنه لأدنى ملابسة يتوسع في ذكر هذه القضايا والموضوعات.

ويكفي أن تعرف أنه ذكر في الفوائد المستفادة من قصة آدم عليه السلام ما يزيد على ثمانين صفحة، والحديث عن قصة آدم لم يتجاوز خمس عشرة صفحة.

وقد قسم المبحث المتعلق بما يستفاد من قصة آدم إلى مطالب خمسة، هي:

الأول: المستفاد مما يتعلق بآدم عليه السلام.

الثاني: المستفاد مما يتعلق بإبليس.

الثالث: المستفاد مما يتعلق بطبيعة العلاقة بين آدم وإبليس.

الرابع: المستفاد مما يتعلق بمكايد الشيطان.

الخامس: المستفاد مما يتعلق بسبل الوقاية العامة من إبليس (الشيطان).

وتحت كل مطلب من هذه المطالب ذكر عدة فروع ومطالب فرعية.

والكتاب سهل العبارة جم الفائدة ، خالي من الإسرائيليات إلا نادراً[1].

---

(١) انظر: عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن، ص ١٠٨.

المطلب الثامن: منهج التأليف للأطفال والناشئة:

إن وعـــي بعض الكاتبين على حق الأطفال في أن ينالوا حظاً من معرفة قصص القرآن الكريم، والتأسي بأخلاق الأنبياء ومواقفهم، وأن من واجبه أن يُسهم في تحقيق ذلك.

ولعل الوعي كذلك على ما تعطيه هذه القصص من قيم سامية في جميع مناحي الحياة، وعلى اختلاف ثقافات الناس ومراحلهم العمرية قد جعل لهذا العمل قيمته.

وقـــد وجدنـــا أن بعـــض الكاتبين ممن كان لهم اهتمام بتربية الأطفال ورعاية النشء والفتـــيان، وجدنا اهتمامهم في ذلك قد تمثل برغبتهم أن تكون قصص القرآن الكريم أساساً من أسس تربية هذا النشء وتوجيهه، ومادة تربوية لصقل أخلاق هذا الجيل وتعديل صفاته وترسيخ قيم الخير عنده.

وقـــد جعلت التأليف للأطفال والناشئة منهجاً مستقلاً، على الرغم من أنه يقارب في شـــكله منهج السرد، والمنهج الأدبي، وذلك لما وجدته من استقلال وتميز طريقة التأليف فيه مما لا يحتاج معه إلى تعريف.

فأنت تجد الاختصار سمة بارزة لهذه الأعمال، كما تجد سهولة العبارة، وتبسيط المعنى، وتقريب الفائدة –بما يتناسب وطبيعة المرحلة– أهم ما يميز هذا المنهج.

كما قد تجد في بعض هذه المؤلفات ما يلجأ إليه بعض الكاتبين من تدعيم كتابه ببعض الصور والمناظر لتقريب المعنى وترسيخه، وتحقيق عنصر الحضور والتشويق والبعد عن الملل..

ومن المؤلفات التي تمثل هذا المنهج:

- قبسات من مواكب النبوة للفتيان/ إبراهيم يوسف نصير.
- قصص النبيين للأطفال/ أبو الحس علي الندوي.
- القصة في القرآن الكريم للأطفال والناشئة/ نجوان الغطريفي.
- قصص الأنبياء / سيد قطب.
- سلسلة معجزات الأنبياء/ الريح المسخرة لسليمان، مائدة سيدنا عيسى، عصا سيدنا موسى/ إصدارات جمعية المشاريع (الأحباش).

وإليك أيها القارئ الكريم هذا المقطع من كتاب: **قصص النبيين للأطفال لأبي الحسن الندوي** – رحمه الله- تتعرف من خلاله على نموذج لهذا المنهج، ونقف مع حديث الندوي في قصة موسى عند مشهد ورود ماء مدين.

يقـــول: "وصــــل موسى إلى مدين، لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد، فمن يأوي إليه في اللــيل؟ وأين يبيت؟ تحير موسى ولكنه أيقن أن الله لا يضيعه! وكان هناك بئر يسقي عليها الناس غنمهم وماشيتهم.

ووجد امرأتين تذودان غنمهما تنتظران أن يسقي الناس فتسقيا، رأى موسى ذلك وفي قلبه حنان الكريم وشفقة الأب الرحيم.

فقال: لماذا لا تسقيان؟

قالتا: لا يمكن لنا أن نسقي غنمنا حتى يسقي الناس، لأنهم أقوياء، ونحن ضعفاء، ولأنهم رجال ونحن إناث:

وكأنما عرفتا أن موسى سيسألهما: فلماذا لا يسقي أحد من رجال بيتكن؟

فسبقتا وقالتا: "وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾" [القصص:٢٣].

وهاج في موسى حنان الكريم، وسقى لهما وذهبتا.

وأين ذهب موسى الآن؟ وإلى أين يأوي في الليل وأين يبيت؟! إنه لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد!

"ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾" [القصص: ٢٤].

ووصلت الحاريتان إلى البيت قبل الميعاد فتعجب أبوهما وسألهما عن السبب، وقال لهما: ما أعجلكما يا بنتي، وكيف وصلتما اليوم قبل الميعاد؟

قالت السيدتان: قد قدر الله لنا رجلاً كريماً سقى لنا.

تعجب الشيخ وعرف أنه رجل غريب لأن أحداً لم يرحمهن يوماً، قال الشيخ: وأين تركتما الرجل؟

قالتا: تركناه في مكانه، رجل غريب ليس له مأوى.

قال الشيخ: ما أحسنتما يا بنتي، رجل غريب قد أحسن إلينا وليس له مأوى في البلد، إلى من يأوي في الليل، وأين يبيت؟ إن له علينا حق الضيافة، وإن له علينا حق الإحسان! لتذهب إحداكما وتأخذه معها.

"فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا" [القصص:٢٥]، وعرف موسى أن الله قد أجاب دعاءه وبوأ له، فما أبى.

وخــرج موسى أمامها لئلا يقع نظره عليها، ومشى موسى مشي الكرام، ولما وصل إلى الشيخ سأله عن اسمه ووطنه وخبره، وأخبر موسى خبره وقص عليه قصته.

سمــع الشيخ كل ذلك بصبر وهدوء، ولما انتهى موسى من قصته "قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾" [القصص: ٢٥](1).

وأقول في خاتمة حديثي عن هذا المنهج: إذا كان غير هذا المنهج من المناهج الأخرى قد أســهمت في خدمة القصة القرآنية، فإن هذا المنهج قد أسهم بشكل أساس في خدمة قارئ القصة ممن يعنيهم هذا المنهج.

---

(١) الندوي: أبو الحسن علي الحسيني: قصص النبيين للأطفال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٠، ١٩٨٣، ص ١٧٥.

المبحث الثالث

المنـهج المقترح في دراسة القصص القرآنـي وعرضه

المطلب الأول: أهم الأسس والمعايير المنهجية في دراسة القصة القرآنية:

المطلب الثاني: المنهج المقترح دراسة تكاملية وموضوعية للقصص:

المطلب الأول: أهم الأسس والمعايير المنهجية في دراسة القصة القرآنية:

بعــد الاطــلاع على هذا الكم من المؤلفات والكتابات في ميدان القصص القرآني، وبعد الوقوف على تعدد وتنوع اتجاهات التأليف ومناهجه عند المؤلفين، لابد من وقفة هذا أوانها وهذا مكانها.

وقفة نتحدث فيها عن تصورنا الخاص في التعامل مع القصص القرآني ودراسته دراسةً علمية منهجية مستندة إلى أسس ومعايير محددة وواضحة.

وأنا على يقين أن موضوعاً كهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة متكاملة مترابطة مبنية على نظرةٍ شمولية، مرتكزة إلى أسس علمية صحيحة.

ولتكتمل مثل هذه الدراسة فمن الحري أن يشاطرها جانب تطبيقي يعطي تصوراً دقيقاً عن تطبيقات تلك الأسس والمعايير.

وفي ظــني أن دراســة كهذه – لو تتبعناها بكامل تفصيلاتها- فقد تحتاج إلى جهد ووقت ومكــان لــيس له متسع في رسالتي هذه التي قصرتها على دراسة الاتجاهات والمناهج، ولعل الله ســبحانه وتعالى يعين فيما هو قادم على أن تكون هناك دراسات للقصص القرآني مسترشدة بما سأذكره هنا من الأسس والمعايير والتصورات الخاصة بدراسة القصص...

ولكــن قبل المضي في حديثي هذا، لابد من الإجابة على سؤال يفرض نفسه هنا، ترى هل حققت تلك الجهود والمؤلفات، وتلك المناهج، هل حققت الخدمة المرجوة في التعامل مع القصص القــرآني ودراســته دراسةً منهجية هادفة؟ بمعنى أن هذه الجهود كافية ولا مزيد عليها ولا مجال لجديد فيها...

والجواب لا يحتمل إلا أحد أمرين: إما (نعم) وإما (لا).

وقـــبل الإجابة عن هذا السؤال لابد من الإشادة بجهود بعض العلماء والمؤلفين الذين خطـــوا بالقصة القرآنية — في مجال دراستها- خطوات متقدمة، ودفعوا بها دفعة نوعية نحو إبراز خصائصها الفنية والأسلوبية، والكشف عن كثير من قيمها ومقاصدها...

إلا أنني — من خلال تصوري عن نوعية الدراسة المتكاملة للقصة القرآنية- أرى أن ثمّ جوانـــب عديـــدة، وقـــيما عالـــية احتوتها القصة القرآنية لّما تكشف عنها هذا الكتابات والمؤلفـــات، مما يؤكد لأي مطلع أو دارس للأمر أن كثيراً من هذه الجهود على تقديرنا لها ولأصحابها، لم تؤدِ الخدمة المطلوبة، وكانت في جملتها نسيجاً واحداً، وصدى عالٍ لصوت (العـــرائس) ومـــا قاله ابن كثير — رحمه الله-،مما يجعلنا مطمئنين لأن نقول في الجواب على السؤال: لا، لم تقدم هذه الجهود الخدمة الكاملة المطلوبة.

لا أقول هذا تقليلاً لجهود العلماء والمؤلفين والكتاب، وإنما هو إفصاح عن عظمة هذا القرآن، وعظمة موضوعاته، وأنه دعوة مفتوحة للتدبر والاستنباط والاسترشاد به.

وهـــاأنذا أردد دعـــوة انطلقت قبل أكثر من ثلاثين عاماً، في أول رسالة علمية كتبها صاحبها في التأصيل لقضايا القصة القرآنية.

يقـــول أ.د. عـــبد الباســـط بلبول: "والقصة القرآنية — مع هذا الإعجاز- ميدان خصب للتوجيهات الهادفة لإقامة مجتمع إنساني متحرر من ربقة التقليد والانحلال، فهي تحتوي على مادة لدراسة منهجية، تاريخية صادقة، وعلى بيان لأسباب قوة الأمم وضعفها، وتماسكها وانحلالها.

وإن المكتـــبة العالمـــية على وجه العموم، والعربية والإسلامية على وجه الخصوص في حاجـــة إلى هذه الدراسات كمنهج علمي عملي، له أثره في تطور الأفراد والجماعات لبناء أنفسهم وبناء حضارهم"(١).

ويا ترى كم ظهر من دراسات تحقق شيئاً من جوانب هذه الدعوة؟!

ونعود من جديد إلى موضوع هذا المبحث الذي خصصته للحديث عن المنهج المقترح الذي أراه الأنسب في دراسة القصص القرآي.

وقـــد أفـــدت كـــثيراً من قراءاتي لكثير جداً من كتب القصص القرآني ووقفت على الجوانب الإيجابية فيها، وعلى كثير من القضايا السلبية لديها، فعسى أن يكون فيما سأذكره تعزيزاً لتلك الإيجابيات وتقليلاً للسلبيات.

وقـــد أفدت في تشكيل أسس ومقومات هذا المنهج من خلال ما سبق أن ذكرته من المـــناهج سالفة الذكر، حيث أخذت أحسنها، ولا يعني هذا الجمع بينها، فهذا ليس عملاً منهجـــياً، ولكـــني أخذت خير ما فيها مما رسمته أسسها ومعاييرها، وجعلتها موضوع هذا المبحث، مضيفاً إليها ما هذا مكانه ووقته.

ولا بد قبل هذا من وضع ميزان منهجي جعلته في جانبين اثنين:

الأول: جعلـــته للبحث فيما أرى أنه يعيق العمل المنهجي والتقدم الصحيح بالقصة القرآنية ودراستها، وهي مجموعة من العوامل والمرتكزات الذهنية والشخصية في عمل بعض

---

(١) بلبول: القصص القرآني، المقدمة،

المؤلفين والكاتبين ترجع بهم إلى الوراء، وتمنع تقدمهم نحو دراسة القصص دراسةً علمية موضوعية، وسميتها معوقات في منهجية دراسة القصص القرآني.

الثاني: جعلته للبحث في أهم الأسس والمعايير المنهجية التي أرى أنها يجب أن تكون حاكماً منهجياً على جهود وعمل من يكتب في القصص القرآني بغض النظر عن زاوية اهتمام هذا الكاتب أو المنهج الذي يتبعه.

وقد رتبت الحديث في الجانبين على شكل نقاط تجعل من السهل على القارئ الكريم الوقوف عليها والاسترشاد بها.

- **معوقات في منهج دراسة القصص القرآني:**

هناك مجموعة من المعوقات نجملها فيما يلي:

أولاً: إن من أخطر هذه المعوقات التي لا تخص القصص وحده وإنما تعم آي القرآن كله الإقبال على القرآن الكريم بمقررات سابقة، فتكون هذه المقررات والتصورات هي المهيمن على النص مع أن الحاكمية له.

وقد سبق وأن وقفت هذا الدراسة على نماذج من مثل هذه المواقف فيما ذكرناه من التأويل المتعسف والخيال المفرط والرمزية الجامحة، وبينا هناك كيف كان لمثل هذه التصورات والاعتقادات من أثر في دراسة القصة القرآنية.

ثانياً: الاهتمام البالغ والسعي المتواصل نحو تكميل أحداث القصة وملء مبهماتها تحقيقاً لما تميل إليه النفس في الغالب من حب الاستطلاع والرغبة في تكميل الأحداث، وظناً من أصحاب هذا

الاهـــتمام أن القصة القرآنية إنما سيقت لمجرد السرد التاريخي، ويغيب عن إدراك هؤلاء أن للقرآن طريقته الخاصة في ذكر القصص بحيث يركز على مواطن العبرة والعظة في كل قصة.

وقـــد كـــان لهـــذا الاهتمام دور كبير في دخول الإسرائيليات وانتشارها وبخاصة في القصـــص القرآني، فإن أكثر مساحة تحتلها هذه الإسرائيليات كانت في القصص؛ لأنها في معظمها إخبار عن الماضي، وأهل الكتاب لديهم آثار وروايات كثيرة بهذا الصدد.

كمـــا أسهم ذلك في دفع الاهتمام لدى هؤلاء للعناية بالحدث وتسلسل الوقائع على حساب العبرة والفائدة.

ثالثاً: الاعتماد على الإسرائيليات والآثار الضعيفة والموضوعة التي نسبت للرسول ﷺ ونقلت عن الصحابة وكبار الأئمة مما تناقلته كتب التفسير والروايات حتى غدت عند البعض أساساً في فهم النص وتحليله.

والفـــرق بين الأمرين السابقين أن من يعتمد الإسرائيليات والآثار الضعيفة والموضوعة قد لا يكـــون هدفهم الأساس تسلسل الأحداث أو ملء مبهمات القصة، ولكنهم إذ يلجئون إلى ذلـــك أو إلى تفسير موقف ... فإنهم لا يهتمون بتدقيق الروايات والحكم على الأحاديث، فيشترك الطرفان في هذين الخطأين المنهجيين: السعي نحو تكميل الأحداث والتكلف لذلك، والأمر الثاني الاعتماد على الإسرائليات والموضوعات والأحاديث الضعيفة.

رابعاً: التكلف في فهم النصوص والمواقف، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: "وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي

أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾"[ص:٣١-٣٣]، فقد ذهب كثير من المفسرين والمؤلفين للقول في هـــذه الـــروايات أن سُليمان عليه السلام قد وقف يستعرض الخيل، وهي الصافنات الجسياد، في وقت العشي، وقد كانت هذه الخيل من الكثرة بحيث شغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس وتوارت بالحجاب، فمعنى قوله تعالى: "فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾" أي أنني آثرت حب الخيل عن ذكر ربي وهو الصلاة، حتى توارت الشمس بالحجاب فغربت، فأراد سليمان عليه السلام أن يُكفِّر عن ذنبه هذا فطلب منهم أن يردوا عليه الخيل، فلما فعلوا بدأ يقطع سوقها وأعناقها.

فانظر إلى هذا التكلف في الفهم مما لا يتفق مع سياق الآيات التي تؤكد فضل سليمان عليه السلام "نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ".

ولا أرى أن هذا الفهم من الاسرائيليات لأنه لم يرد فيه عن أهل الكتاب أي رواية أو أثـــر، كذلـــك فهـــو تصور نشأ من نظم الآيات وفهم بعضهم لمدلولاتها ومراجع ضمائرها، وتفسير ألفاظها.

والواقع أن التفسير الصحيح لهذه الآيات هو أن سليمان عليه السلام كان محباً للخيل الـــتي كان يعدها للجهاد، وقد كان يقوم بمواكب استعراضية لهذه الجياد، كما هو الحـــال هذه الأيام في مواكب استعراض الجنود والآلات الحربية، وقد فرح سليمان

بهذه الخيل فقال "فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي"، أي حبي لهذه الخيل لما أمرني

به ربي من حبها لأنها آلة الجهاد، كما في قوله تعالى: "يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ"[الرعد:١١]،

أي بأمر من الله لا أنهم يمنعون أمر الله أن يقع عليه.

وقد كان من كثرة هذه الخيل أنها أخذت تسير أمام سليمان عليه السلام حتى

ابتعدت وغابت وتوارت بالحجاب، فطلب منهم أن يعيدوها إليه فأخذ يمسح رقابها

وسوقها إيناساً لها، وهذه حركة يعرف معناها وأثرها من يعرف الخيل، فكان السياق

سياق تكريم لها لا تعنيف وتقتيل، وما ذنبها حتى يفعل بها هذا.

يقول شيخنا أ.د. فضل عباس – حفظه الله– في ترجيح هذا القول[1]:

١– إنه أليق بالأنبياء.

٢– إنه ليس بحاجة إلى تقدير فاعل أجنبي كما في القول الأول، لأن الشمس التي قدرناها فاعلاً لقوله تعالى: "حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ" ليس لها ذكر، أما إن قلنا إن الخيل هي الفاعل فذلك ليس غريباً على السياق.

٣– ما نظن أن نبياً يمكن أن يحدث منه مثل هذا، فيشغل عن صلاة العصر إن كانت هناك صلاة عصر مفروضة عليهم...

خامساً: التقليد والنقل عن السابقين، فقد وجدنا معظم المؤلفين في القصص يعتمدون بالدرجة

الأولى كتاب (عرائس المجالس)، وبعضهم الآخر يعتمد كتاب (قصص القرآن) لابن كثير،

---

(١) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٦٢٥.

وأنت تعلم ما في الكتاب الأول من الاسرائيليات والخرافات والآثار الموضوعة والضعيفة، كما تعلم أن منهج ابن كثير في كتابه منهج تاريخي اعتمد في مصادره على غير القرآن والروايات الصحيحة.

وقد كان كثير ممن ينقل عنهما متبع ومقلد لا يناقش ولا ينقد ولا يحقق أو يصحح، فجاءت كتابات هؤلاء كما قلنا من قبل صدى عالياً لهما.

سادساً: غياب النظرة التكاملية لمضمون وموضوع وأهداف القصص القرآني، وإحلال النظرة الجزئية القاصرة له، حيث يكون الاهتمام والتركيز عند بعض الكاتبين على الحدث وصياغته وتسلسله وترتيبه، مع غياب النظرة المقصدية الهادفة للغرض الذي سيقت من أجله القصص.

• أهم الأسس والمعايير المنهجية في دراسة القصة القرآنية:

هناك أسس ومعايير وضوابط شاملة تعد أساساً في التعامل مع القرآن الكريم والنظر إليه فهماً وتفسيراً، ولما كانت دراسة القصص جزءاً من الدراسات القرآنية، فإنها محكومة بهذه الأسس وتلك الضوابط، وقد يكون من هذه ما يمكن عده خاصاً أو أكثر مساساً وتماساً مع طبيعة القصص وموضوعه ومنهجه.

وفي ضوء ما تقدم من المعوقات التي ذكرناها سابقاً، لا بد هنا من وضع بعض الأسس التي أرى أنها تشكل الإطار المنهجي الذي يحكم – أو يجب أن يكون كذلك– عمل كل من يعرض لدراسة القصة القرآنية.

ونجمل هذه الأسس والمعايير فيما يلي:

أولاً: أن يقبل الدارس للقصص القرآني على مائدة القرآن الكريم وقد خلع من نفسه كل المقررات السابقة التي يجعل منها بعضهم حاكماً على النص، ويترك للنص القرآني الحديث والكشف عن مكنوناته ومدخراته.

إن النص القرآني هو الأصل والأساس الذي يخضع له كل فهم وكل فكر، ولابد أن يكون الواقع خاضعاً لكل مقررات وحقائق القرآن، والمتلقي لهذا النص يجب أن يكون محكوماً لهذه المقررات وهذه الحقائق.

ثانياً: الوعي على أن النص القصص نص مقدس، فهو كلام الله تعالى، وليس مجرد نص أدبي فني، من هنا فالواجب على دارس القصص أن يبحث فيه عن القيم العالية السامية التي يعطيها في حقائق الأنفس والآفاق.

كما إن هذا الوعي يفرض أن يلتزم الدارس بالالتفات للأهداف الأساسية للقرآن الكريم، والبحث في قصصه في ظلال هذه الأهداف للكشف عن أهداف وعبرة كل قصة.

ثالثاً: فهم منهج القرآن الكريم في عرض القصة وطريقته في توزيع أحداثها على بعض السور، وأنه لا يتبع في ذلك أسلوب السرد التاريخي، وإنما له أسلوبه الخاص في انتقاء الأحداث والربط بين السور وما يعرض فيها من مشاهد وأحداث.

إن هذا الفهم يقف الدارس على الانتباه للطريقة المثلى في النظر للقصة القرآنية والتعامل معها على أنها نص ديني وليس مجرد أحداث تاريخية.

رابعاً: الوعـــي عـــلى أن هذا القصص الذي ورد في القرآن الكريم إنما هو حقائق تاريخية، وليس خيالاً أو أساطير.

إن هـــذا الوعي يعطي لهذه القصص قيمتها في الكشف عن كثير من حقائق التاريخ التي شوهت من خلال ما روي فيها عن بني إسرائيل، وما ذكرته الروايات التاريخية التي نسجد فيها كثيراً من التعارض والتناقض والأباطيل.

خامســـاً: المصـــدر الوحيد الذي لا يجوز تجاوزه إلى غيره من معرفة أحداث القصص هو الوحي (القرآن والحديث الصحيح) ولا يحق لأحد أن يعمد إلى غير هذا المصدر لاستمداد أحداث ووقـــائع القصة القرآنية، فإن القرآن قد ذكر منها بالقدر الذي ذكره وفيه كامل ما يحقق للإنسان غايته التي أرادها الله تعالى.

إن الاهـــتمام ببـــيان مـــبهمات القصـــص وملء فراغاتها ، والإكثار من الاستطرادات والتفصـــيلات قـــد حجب وضوح الرؤية عند كثير من دارسي القصص في نظرهم إلى مقاصـــدها وأهدافهـــا، لذا يجب المحافظة في دراستها على حدود النص القرآني والحديث الصحيح.

ونحـــن لا يعنينا في دراسة القصص تلك الروايات التاريخية لأنه لا خاجة لنا بها، ولا يجوز أبداً الاستدراك على القرآن الكريم.

كذلك لا تعنينا تلك الروايات عند أهل الكتاب مما لم يرد عندنا ما يوافقه أو يكذبه، أي المسكوت عنه، وقد نهانا القرآن الكريم عن الأخذ من أهل الكتاب، وفيما يخص القصص تحديداً "فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا"[الكهف:٢٢].

سادساً: النظر إلى أن القصص وما فيها من تفصيلات هي من عالم غيب الماضي، وهو مما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى: "وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ"[آل عمران:٤٤].

وهذا توجيه قرآني صريح للتأكيد على أن الله وحده يعلم أنباء من قبلنا "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ"[إبراهيم:٩].

وقد جاء في التعقيب على قصة نوح في سورة هود ما يؤكد هذا الأمر "مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ"[هود:٤٩].

سابعاً: تنزيه القصص القرآني عن الاسرائيليات والخرافات والأساطير التي امتلأت بها كثير من كتب التفسير، والكتب المؤلفة في القصص القرآني.

المطلب الثاني: المنهج المقترح: دراسة تكاملية وموضوعية للقصص:

كثيراً ما ننظر للقرآن الكريم على أنه نص يصعب الوصول إليه إلا لمن كان مختصاً في القرآن والعلوم والدينية، ومع تأكيدنا على أنه لا بد لمن يريد تفسير القرآن الكريم أن تتحقق فيه جملة من الضوابط والشروط، ذكرها العلماء في الحديث عن الشروط والواجب توافرها في المفسر، إلا أن هذا يجب أن لا يحول بين القرآن الكريم وواجب الناس في فهم مقاصده وغاياته.

وليس معنى وجود هذه الشروط أن نجعل الطريق إلى القرآن وفهمه صعباً أو متعذراً إلا لفئة قليلة من الناس، ولكنها ضمانات تؤهل الأشخاص الذين تحققت فيهم هذه الشروط أن يقوموا بدور التدبر الأمثل والاستنباط الدقيق لآيات القرآن الكريم للكشف عن أحكامه وتوجيهاته ومكنوناته، وهو أمر لا يوصد الباب أمام أي واحد أن يتدبر حسب استطاعته مسترشداً بكلام الأئمة الأعلام.

وأنا أقول – وأسأل الله أن أكون محقاً فيما أقول: إن القصة القرآنية والدراسات التي صدرت فيها قد أسهمت إسهاماً كبيرة في تقريب غايات ومقاصد وأهداف القرآن الكريم، كما قد كان لها دور كبير في تحقيق رسالة القرآن وبثها عند شريحة واسعة من المسلمين عامة، العالم فيهم والمتعلم، على اختلاف وتنوع ثقافاتهم واهتماماتهم ومستويات ذلك.

على أن مرجع ذلك – غير ما للقصص من أثر على الكاتب والقارئ على حدٍ سواء- العدد الكبير الذي صدر من المؤلفات والدراسات في القصص القرآني، إضافة إلى تنوع أساليب العرض ومناهج الكاتبين، وتعدد دارسي القصص بين العالم المفسر والكاتب المفكر، والقاص

فالأول: منهج تكاملي (متكامل) يقوم على مجموعة خطوات:

والثاني: منهج الدراسة الموضوعية:

أولاً: خطوات المنهج التكاملي لدراسة القصص القرآني:

لا يسعنا أن نعرض لقصص القرآن بمثال تطبيقي يشخص للقارئ الكريم عناصر المنهج الذي نـــرى أنـــه يحقـــق للقصة ما تستحقه من الدراسة العلمية المنهجية الهادفة، فإن طبيعة القصص وتفـــريعات المنهج تحول بيننا وبين ذلك، إلا إذا كانت دراسة تطبيقية شاملة تامة تعطي التصور الحقـــيقي للمـــنهج، وإلا كانـــت دراسة مجتزأة تضرّ أكثر مما تنفع، ومن هنا فإنني سأضع بعض الخطوات التي تحقق المنهج الأكمل موقنا أن كل خطوة تفصح عن ذاتها.

وقد تعجب إذ تعلم أنك لن تجد من الكاتبين والمؤلفين من قد اهتم بتسجيل الخطوات التي يجـــب أن يســـلكها دارس القصص القرآني، ولعل دخول كثير من هؤلاء الكاتبين عالم القصص آخذين بعين الاعتبار الدراسة التطبيقية المبنية على تصوراتهم الخاصة للخطوات التي سيسلكونها قد حـــال بينهم وبين تسجيل هذه الخطوات، إلا ما نجده عند القليل جداً ممن يشير إلى ذلك إشارة عامة في مقدمة كتابه، ولا تجد شيئاً من التفصيل عند هؤلاء البتة.

والوحيد الذي وجدته قد سجل مجموعة من الخطوات أو الأسس التي تشكل الطريقة المثلى في تفسير القصص القرآني — كما يقول — هو أ.د. عبد الباسط بلبول.

يقـــول: "إن قارئ القصة القرآنية على وجه الخصوص يحتاج إلى فطنة وذكاء، وقدرة عـــلى تحقيق الآراء، والتمييز بين صحيحها وباطلها، لاستخلاص الحكم والأسرار من النص القرآني بعيداً عن الإسرائيليات والإلحاد والخروج عن الظاهر.

ولـــيس لغـــير العـــالم أن يفصل في قصة من قصص القرآن ولا يحكم على حادثة إلا بالدلـــيل، وله أن يرجح إن اقتضى الأمر، كما له أن يتوقف إذا لم يستبن الحكم، فأرى أن خير الطرق لتفسير القصة القرآنية ما كانت على النحو التالي:-

أولاً: جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالقصة موضوع الدراسة.

ثانياً: بيان معاني الكلمات اللغوية.

ثالثاً: النظر في أسباب نزول الآيات إن وجدت.

رابعاً: مراعاة المقام الذي قيلت فيه القصة.

خامساً: النظر في المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، وتفسير كل آية بما يليق بها.

سادساً: يؤخذ بظاهر النص، إلا إذا كان المعنى الظاهري مستحيلاً، فيحمل على أقرب مجاز تسيغه اللغة.

سابعاً: النظر في الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالنص القرآني إن كان ثمة أحاديث متعلقة به.

ثامناً: النظر في آراء الصحابة لاحتمال أنهم سمعوها من رسول الله ﷺ، حيث هم قد عاصروه وعاهدوه وسمعوا منه واتصفوا بالنباهة وذكاء القلب بما لم يتحقق لغيرهم"[1].

وهذه الخطوات التي ذكرها الدكتور بلبول هي الأساس الذي يجب أن يسير وفقه أي عمـــل في دراسة القصة القرآنية، بل في القرآن جميعه، ولكن هناك بعض الخصوصية للقصة القرآنية يجب أن تلاحظ، لذلك سأرتب هذه الخطوات وأزيد عليها إن شاء الله تعالى.

---

(١) بلبول: القصص القرآني ، ص ٥٠٥.

وقد قدم الدكتور صلاح الخالدي تصوراً خاصاً عن أهم الجوانب التي يجب أن تتناول القصـــة القرآنية من خلالها، وهي ما يمكن أن تكون دراسات تقدم خدمة ضرورية لمسلمي هـــذا الـــزمان، وبالذات العلماء والدعاة وأهل الإصلاح فيهم كما يقول(١)، وأنواع هذه الدراسات التي ذكرها هي(٢):

١- القصـــص القـــرآني عرض وقائع وتحليل أحداث: يكون جهد الباحث فيه محصوراً في إثبات تفصيلات وأحداث القصص القرآني، ويجب أن يكون استمداده لها من المصادر الصحيحة، المتمثلة في القرآن والحديث الصحيح.

٢- القصص القرآني توجيه مواقف وحل إشكالات: يجمع الباحث فيه الآيات القرآنية التي تسجل بعض المواقف لبعض الأنبياء، والتي اختلف الناس في فهمها وتوجيهها، وذهبوا إلى الإســـرائيليات في حل إشكالاتها، فوقعوا في اشكالات أشد، فيتولى الباحث توجيه تلك المواقف، وحل تلك الإشكالات، انطلاقاً من المنهج العلمي في استمداد ذلك من الكـــتاب والسنة، ومن هذه المواقف على سبيل المثال: التوفيق بين نبوة آدم ومعصيته، وتوجيه قتل موسى القبطي، وتوجيه رفع عيسى للسماء مع توفية الله له...

٣- القصـــص القرآني أصول جوامع وقواعد مشتركات: ينظر فيه الباحث في القصص القرآني، مـــن خلال جمع القصص كلها، واستخراج أصول عامة جامعة، وقواعد مطردة مشتركة، وسنن ربانية ....، ومواقف دعوية مؤثرة، وتقديم دروس جامعة من القصص كلها...

---

(١) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج١، ص ١٣.

(٢) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج١، ص ١٢.

٤- القصـــص القرآني ظواهر عامة وسماتُ شخصيات: يقوم فيه الباحث بتدبر الآيات التي تتحدث عن أشخاص القصص، سواء أكانوا أنبياء وأتباعاً مؤمنين، أم كانوا أعداء لهم محاربين، ويحلل الباحث نفسيات وحركات وبواعث ومواقف كل نموذج، سواء أكان ســلبياً أم إيجابــياً، ويــبين الباحث الصفات العامة الجامعة لهم على اختلاف الزمان والمكان، ويورد الشواهد على هذا من النماذج المعروضة أمامه في القرآن ...

ويــرى الدكتور الخالدي[1] أن هذه الدراسات تعتمد على الدراسة الأولى "القصص القــرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث" لأنها تضع بين أيدي الباحثين المادة الأولية لأحداث القصص القرآني.

وقــد أصدر الدكتور من هذه الدراسات حتى الآن الدراسة الأولى والثانية، ووعد أن يتم بقية الدراسات بعون الله تعالى.

ولا شــك أن هــذه الجوانب التي أشار أليها الدكتور الخالدي في غاية الأهمية، وهي تؤكــد أهم ما تحتاجه القصة القرآنية في الجوانب التي يجب أن تتوجه إليها جهود الباحثين والدارسين بالبحث والنظر.

ولكــن يــبقى مــن الواجب علينا أن نحدد ما هي الخطوات التي يجب أن يسير فيها الباحث والدارس لتحقيق هذه الدراسات وإبراز ما فيها من قيم وحقائق.

---

(١) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج١، ص ١٣.

مـــن هنا فقد حاولت أن أضع بعض الخطوات التي أرى أنها تحقق المنهج المتكامل في دراسة القصص، وهذه الخطوات هي تجميع لكثير من تفصيلات المناهج التي اطلعت عليها، واســتخلاص لأهـــم ما فيها من نقاط منهجية إيجابية، وفوق هذا هي تصوري الخاص نحو تحقيق خدمة تامة لما ينبغي أن تكون عليه دراسة القصص القرآني.

وأهم هذه الخطوات:

أولاً: تجميع آيات القصة الواحدة وضم بعضها إلى بعض في مكان واحد، حتى تكون النظرة إليها متكاملة متجانسة.

ثانياً: الاهتمام بترتيب الآيات موضوع الدراسة ترتيباً يحقق الأهداف التي يريدها الباحث.

ولعل من المناسب أن نبين هنا أن هذا الترتيب يمكن تراعى فيه أمور ثلاثة:

١- أن يكون الترتيب حسب الترتيب المصحفي، بأن يسير الباحث في دراسة القصة حسب ورودها وترتيبها في السور، وغالب الكتابات التي صدرت تراعي هذا الجانب، ويتركز اهــتمام الباحث في هذا الترتيب على استخلاص الدروس والعبر والبحث في المناسبات الخاصـــة والعامـــة للقصة مع السور التي وردت فيها، ويظهر في هذا الترتيب الاهتمام بالجانب التفسيري لآيات القصة.

٢- أن يكـــون الترتيب حسب تسلسل الحوادث والوقائع، ويأتي الاهتمام بهذا الترتيب عند دارســـي القصـــص في المرتـــبة الثانية بعد الترتيب المصحفي، ويظهر من خلاله العناية

بالجانب السردي في القصة، وقد يساعد هذا النوع من الترتيب على تحليل عناصر القصة والبحث في الشخصيات والحوار وتطور الأحداث وتعدد الوقائع.

٣- أن يكون ترتيب آيات القصة حسب النّزول، بأن يسلك الباحث في دراسة القصة وترتيب آياتها وما تضمنته من أحداث سبيل تتبع مواقع النجوم للقصة القرآنية.

وأول من أشار إلى أهمية دراسة القصة حسب هذه الترتيب هو الشهيد سيد قطب، لكنه ذكر ذلك في معرض قضية خاصة وهي التكرار، وطبق ذلك على قصة موسى عليه السلام، يقول: "على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاماً مقرراً في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة – يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها – فمعظم القصص يبدأ بإشارة مقتضبة، ثم تطول هذه الإشارات شيئاً فشيئاً، ثم تعرض حلقات كبيرة تكوّن في مجموعها جسم القصة – وقد تستمر الإشارات المقتضبة فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات- حتى إذا استوفت القصة حلقاتها، عادت هذه الإشارات هي كل ما يعرض منها"[١].

إلا أن من قام بدراسة القصص القرآني دراسة متكاملة تطبيقية حسب ترتيب النزول هو شيخنا الأستاذ الدكتور فضل عباس – حفظه الله، وذلك في أول كتاب له في القصص القرآني (القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته) وعالج قضية التكرار معالجةً علمية موضوعية منهجية كان الأساس فيما اعتمده للوصول إلى النتائج التي توصل إليها اعتماد ترتيب

(١) سيد قطب: التصوير الفني ، ص ١٥٦.

النّزول، ثم أصدر كتاباً آخر أكثر تفصيلاً وشمولاً اعتمد فيه أيضاً ترتيب النّزول، وهو كتابه (قصــص القرآن الكريم)، وقد تحدث فيه عن الطريقة المثلى في دراسة القصة القرآنية، فقال: "إن الطــريقة المثــلى لتتذوقه تذوقاً صحيحاً مواقع النجوم للقصة القرآنية، أن ندرسها من حيث ترتيب النّزول، بحيث ندرس النجوم التي نزلت واحداً تلو الآخر.

ولا يضيرنا كثيراً بأن ترتيب السور ليس أمراً مقطوعاً به، ويكفينا في هذا أن نوازن بين الأقــوال التي وردت في ترتيب السور لنأخذ أرجحها كما فعل العلماء، ثم إن هناك بعض السور يمكن أن ندرك ترتيبها بلا عناء، وهذا هو المنهج الذي سنسير عليه في هذا الكتاب إن شاء الله، ونرجو أن يجد القارئ نظرة صائبة، ومنهجاً قويماً ومن الله وحده العون كلّه"[1].

إن دراســة القصــة القرآنية حسب ترتيب النّزول لم تأخذ مساحة واسعةً في جهود واهــتمام الباحثين، ولعل ذلك يرجع إلى دقة هذا المسلك وجدته بحيث يتطلب من الباحث اهتماماً خاصاً، ودرجة عالية من العلم التخصصي في القرآن وعلومه.

مع أن الدراسة وفق هذا الترتيب تغني عن سابقتيها ولا تغنينا عنها، فهي فوق ما يمكن أن تحققــه من الاهتمام بالجانب التفسيري والجانب التحليلي تؤدي خدمة جليلة لا تستغني عنها القصة القرآنية وهي دراسة المتشابه اللفظي الذي أكثر ما نجده في القصص القرآني.

وعــلى كل فالذي ينسجم ويتفق مع الخطوات التي نرى أنها تحقق المنهج التكاملي هو السير وفق ترتيب النّزول، دون أن نغفل أهمية الترتيبين الآخرين.

---

(١) فضل عباس: قصص القرآن، ص ٨٢.

ثالثاً: البحث في مناسبة القصة لسياقها الخاص والعام، والربط بين خصائصها وخصائص السورة الواردة فيها، وإبراز الخصائص القرآنية في منهج عرضه للقصة القرآنية وتوزيع حلقاتها على السور القرآنية ومناسبات ذلك[1]، فإن القرآن الكريم يراعي في عرض حلقات القصة مناسبة موضوع هذه الحلقة ومقاصدها لمقاصد السورة.

يقول د. أحمد أبو زيد: "من المؤكد أن القصص إنما يرد في سياق السورة ليؤدي وظيفة فيه، وقل أن ترد قصة بكل حلقاتها في سورة واحدة، إنما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها، وهذا مظهر آخر من مظاهر وحدة السورة وتناسب معانيها.

ومن آثار خضوع القصة في القرآن لوحدة السورة عدم الالتزام بالترتيب الطبيعي لحلقات القصة، فمرة تعرض حلقة من أول القصة، ومرة في وسطها، ومرةً من آخرها، وتارة تعرض بكاملها، كل ذلك بحسب ما يقتضيه مقصد السورة وموضوعها"[2].

رابعاً: العناية بتحليل عناصر القصة وهو أمر مهم في دراسة القصة القرآنية دراسةً تحليلية تقوم على تجلية هذه العناصر ومتابعتها وإبراز خصائصها في كل قصة، ومن أبرز هذه العناصر الشخصيات والحوار والأحداث، ولعل جلّ اهتمام القرآن في القصة قد توجه للحدث لما يحققه من أهداف وغايات.

---

(١) انظر: منهج القرآن في عرض القصة في هذه الرسالة .

(٢) أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن، مطبوعات جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ١٩٩٢م، ص٦٧.

إن العـــناية بدراسة عناصر القصة القرآنية يوقف الدارس على حقائق كثيرة في النفس الإنسانية وطبائعها وما جبلت عليه، وهو يحقق جانباً كبيراً ومهماً فيما يهدف إليه القصص في تربية الأفراد والأمم.

خامساً: تفسير الكلمات والألفاظ، والبحث في المفردات القرآنية الواردة في القصة لتوضيح ما أبهم، ولبيان جمالية المفردة.

سادساً: إبراز خصائص النظم القرآني، وقيمة الإعجاز من خلال البحث في النص القصصي، والوقوف على دقائق هذا النظم ودلالاته.

سابعاً: تنبـيه القـارئ للإسـرائيليات التي تعجّ بها كتب التفسير وقصص القرآن، وبيان بطلانهـا، والتحذير من اعتمادها في تفسير النص القصصي وفهم معانيه، وأرى أن الدراسـة المنهجية العلمية تقضي أن ذكر هذه الإسرائيليات وبيان زيفها وبطلانها وتخريجها خير من إغفالها وعدم ذكرها.

ثامناً: ضـرورة الاهـتمام بالمصـدر الثاني للقصص وهو الحديث الصحيح للرسول ﷺ، والاعتماد عليه في توضيح ما جاء فيه مما يخص قصص القرآن الكريم.

تاسعاً: استخلاص الدروس والعبر والعظات والفوائد، وتسجيل أهم أهداف القصة وبيان غاياتها ومقاصدها، فإن اهتمام القرآن الكريم قد اتجه من خلال قصصه لإبراز هذه الفوائد والعبر.

عاشراً: أن يهـتم الكاتـب بأسـلوب كتابته وتأليفه متجنباً التقعر والتكلف أو الابتذال والاستهتار، معتمداً وضوح العبارة ودقتها وصدق دلالتها على المعنى.

ثانياً: منهج الدراسة الموضوعية للقصص القرآني:

إن الحاجة اليوم إلى التفسير الموضوعي[1] – في عمومه- تظهر جلياً بما نلمسه من تجدد في حاجات المجتمع، وتطور في ميادين الفكر والعلوم الإنسانية والطبيعية، ذلك بما يقدمه هذا النوع من التفسير من حلول لكثير من مشاكل الحياة ومعالجة قضايا المجتمعات، وبما يعطيه من تصور قرآني لواقع الناس ومتطلبات حياتهم في ظلال رسالة الوحي الهادفة إلى هداية الناس.

ودراسة القصة القرآنية تعدّ – بحد ذاتها- لوناً من ألوان الدراسات الموضوعية، إذا نظرنا إلى ذلك من حيث عناية الباحث بتناول موضوع واحد هو القصص، وعنايته بتجميع الآيات المتعلقة بهذا الموضوع في صعيد واحد، فهي من حيث الشكل دراسة موضوعية.

ولقد ذكر بعض الباحثين[2] للتفسير الموضوعي ألواناً ثلاثة، هي:

١- ما يتعلق بالمصطلح القرآني: وهو أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

---

(١) هو: جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حُكماً، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية. انظر:: مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم ، دمشق، ط٣، ٢٠٠٠، ص ١٦.

(٢) مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٢٣، وهذا التحديد وغيره يحتاج إلى مراجعة في بيان ألوان أو أنواع التفسير الموضوعي، والذي أراه أن التفسير الموضوعي يجب أن يتحدد ويرتبط فقط بالموضوع القرآني.

٢- ما يتعلق بالموضوع القرآني: وهو أن يحدد الباحث موضوعاً ما تعرض القرآن الكريم له بأســاليب متــنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق، فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن، ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة....

٣- ما يتعلق بالسور القرآنية: حيث يُبحث في هذا اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة.

ولكننا ونحن نتكلم عن القصص القرآني – وقد أشرت قبل قليل إلى أن شكل دراسته هــو شكل موضوعي- أقول: لكننا ونحن نتحدث عن القصص بهذا الشكل الموضوعي لابد مــن بيان الجوانب أو الأشكال التي تتمثل بها الدراسة الموضوعية للقصص، وهذا الأشكال جميعها تنبثق عن المنهج الموضوعي العام الذي يتناول القصة القرآنية على أساس أنها موضوع قرآني متكامل، ويمكن أن نضع لذلك شكلين منهجيين:

الشكل الأول: دراسة القصة الواحدة دراسة موضوعية:

حيث يتوجه اهتمام الباحث في دراسة القصة للكشف عن الموضوع الأساس والرئيس الذي ينتظم حلقاتها وآياتها، والسعي لربط الأحداث والمواقف لهذا الموضوع، والكشف عن العلاقات الموضوعية التي تربط بن الأحداث والموضوع الذي ينتظمها.

ولا يكــون للباحث هنا اهتمام بتسلسل الأحداث وسرد المواقف إلا بمقدار ما يتصل بتحقيق عناصر الموضوع.

وليس من الضروري أن تتم دراسة جميع القصص القرآني وفق هذا الشكل، لكن ذلك لا يمنع أن يكون لكثير منها مساحة ظاهرة فيه.

كـــأن يكون موضوعي قصة آدم عليه السلام هو الاستخلاف، وموضوع قصة يونس عليه السلام هو الصبر على الدعوة، وموضوع قصة أيوب عليه السلام الصبر على الابتلاء، وموضوع قصة يوسف عليه السلام قيم التقوى والصبر في حياة المؤمن...

وهكـــذا تجد لكل قصة موضوعاً جاءت تعالجه وتؤكده، ويظهر ذلك حتى في القصة القصيرة، كما في قصة ابني آدم التي موضوعها الحسد وأثره على إيمان الفرد وسلوكه، وقصة أهـــل الكهـــف التي موضوعها التضحية في سبيل العقيدة، وقصة صاحب الجنتين في سورة الكهف التي موضوعها طغيان المال...

الشكل الثاني: دراسة الموضوع الواحد في قصة أو أكثر أو في جميع القصص القرآني:

ويخـــتلف هـــذا عن سابقه في أن الباحث لا يهتم بالموضوع للقصة الواحدة، وإنما يسعى للبحث في موضوع معين تقتضيه طبيعة بحثه أو اهتمامه، فيكشف من خلال حديث قصة أو أكثر من قصة، ولا يكون هذا الموضوع – بالضرورة– هو الموضوع الأساس في هذه القصة، وإنما قد يكون مشتركاً بين قصتين أو أكثر، كأن يكون مجال البحث في الموضوعات التالية:-

أســـاليب الدعـــوة إلى الله في قصة موسى عليه السلام/ التربية بالقدوة في قصص الأنبياء/ شخصـــية الحاكم المسلم من خلال قصة داود وسليمان عليهما السلام/ آثار التوكل على الله من خلال قصص الأنبياء/ المستضعفون دراسة موضوعية في قصص القرآن ... وغير ذلك كثير.

فأنـــت تلاحظ أن هذه الموضوعات قد تبرز في قصة دون أخرى، وقد يكون ظهورها في قصة أقوى منه في أخرى، وقد لا يكون هو الموضوع الرئيس في تلك القصة...

وإنـــك تلاحظ أن هذا الشكل المنهجي هو ذاته ما نجده في منهج التفسير الموضوعي بشكل عام، حيث يتناول الباحث موضوعاً معيناً ويتتبعه في القرآن الكريم، لكنه هنا يمتاز ببعض الخصوصية، حيث يقتصر البحث فيه في مجال القصة القرآنية فقط، وهو أمر لابد منه إذا أردنـــا أن نوجه أنظار الباحثين والدارسين والقراء جميعاً إلى الاهتمام بالقصص القرآني، والكشف عن قيمه وخصائصه وأهدافه.

الخاتمة

وأهم النتائج والتوصيات

وبعد ..

فالحمد لله أولاً وآخراً، الحمد لله الذي أتم عليّ نعمته، ويسر لي أن أنجزت هذه الرسالة العلمية، وقد كنت في أحوال لا يعلمها إلا هو سبحانه، لكن رحمته وسعت كلّ شيء، ولقد يسّر وتفضل، وأتم وأنعم حتى اكتمل هذا الجهد واستوى على سوقه.

ولقد عايشت في أثناء الكتابة، ثقافات متعددة، وجهوداً كثيرة، ومناهج مختلفة قد أسهمت جميعاً في خدمة القصص القرآني، ومن خلال اطلاعي على هذه الجهود فإني أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات التي أرى أن القصة القرآنية في حاجة إليها.

أهم النتائج:

١- لقد وجدنا أن القصة القرآنية قد احتلت مساحة واسعةً في اهتمامات وجهود المؤلفين والكاتبين.

فليس هناك من موضوعات القرآن الكريم، وقضايا التفسير ما لاقى اهتماماً عند الكاتبين على اختلاف ثقافاتهم وتنوع اهتماماتهم كما لاقت القصة القرآنية، حيث ألف فيها المحدّث والمفسر والمؤرخ والأديب والمفكر والقاص والروائي... الخ.

وهذا دال على الأهمية التي تتجلى من خلال اهتمام القرآن الكريم بسوق القصص والتأكيد عليها وسيلةً من وسائل الدعوة.

٢- إن الاهتمام بالتأليف في القصص القرآني في القرن الأخير قد أخذ يتزايد بشكل واضح، بل إن جلّ الجهود هي من بنات القرن العشرين.

ولعل الأحوال السياسية والاجتماعية التي عاشتها الأمة، وظهور حركات الإصلاح، وظهور مدرسة المنار، وتفسير الظلال، قد أسهم كل ذلك في توجيه الاهتمام نحو القصص لدراستها دارسة تعالج قضايا الواقع، وتحاكي النهضة الدينية المنشودة عند أفراد الأمة.

٣- لقد نالت القصة القرآنية خدمة عظيمة من خلال دراسة كثير من قضاياها وجوانبها التأصيلية والنقدية والتحليلية، لكنها خدمة غير كافية، ولا تزال القصة القرآنية في حاجة لمزيد من هذه الجهود.

٤- هناك جوانب كثيرة في القصة القرآنية، تحتاج إلى بحث ودرس، كالجوانب الفنية والتحليلية والموضوعية، وهي ما يلزم أن تتوجه إليه الجهود.

٥- إن القصص القرآني مجال خصب للتوجيهات والإرشادات، وإبراز القيم الدينية السامية التي تحتاجها الإنسانية والبشرية في حياتها وسعيها نحو الهداية والإيمان.

أهم التوصيات:

١- لابدّ أن تتكاتف جهود الباحثين والكاتبين لدراسة القصص واستجلاء أهدافه ومقاصده وقيمة التربوية والفنية.

٢- إن القصة القرآنية في حاجة ملحة لأن تتوجه جهود العلماء نحو تنقية صفحاتها مما علق بها من الإسرائيليات والخرافات والأباطيل.

٣- الوقــوف في وجه الشبهات والانتقادات التي وُجِّهت للقصة القرآنية، وتفنيدها والرد عليها وتبرئة ساحة القصة القرآنية منها.

٤- أن تتوجه الجهود نحو دراستها دراسةً منهجية جديدة تهتم بالجانب الموضوعي وإبراز القضايا والقيم الموضوعية فيها.

٥- أن يُفاد من المنهج المقترح الذي حققته هذه الدراسة ليكون أساساً منهجياً في دراسة القصص القرآني.

٦- أن يكون للشكل المنهجي المتمثل بالمقال والبحث دور في دراسة قضايا القصص، فإني أرى أنه قد يسهم كثيراً في تحليل عناصرها وإبراز كثير من الجوانب التفصيلية الدقيقة التي تساعد طبيعة المقالات والبحوث على تناولها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآيـــــــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
-٢٢	وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ	٨٥	آل عمران	٤٤
-٢٣	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا	١٣	الشورى	٤٤
-٢٤	وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾	٧٢	يونس	٤٥
-٢٥	مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا	٦٧	آل عمران	٤٥
-٢٦	رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ	١٢٨	البقرة	٤٥
-٢٧	فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾	٣٦	الذاريات	٤٥
-٢٨	تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾	١٠١	يوسف	٤٥
-٢٩	أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾	٣١	النمل	٤٥
-٣٠	يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟	٨٤	يونس	٤٥
-٣١	قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ	١٤	الأنعام	٤٥
-٣٢	وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾	١٦٣	الأنعام	٤٦
-٣٣	وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾	١٢	الزمر	٤٦
-٣٤	وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾	٥٦	الذاريات	٤٦
-٣٥	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ	٣٦	النمل	٤٦
-٣٦	وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ	١٦	العنكبوت	٤٧
-٣٧	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ	٥	هود	٤٧
-٣٨	وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	١٤٣	البقرة	٤٧
-٣٩	ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾	١٦	المؤمنون	٤٨
-٤٠	أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾	٦-١٦	النبأ	٤٨
-٤١	كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ	١٠٤	الأنبياء	٤٩
-٤٢	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ	٧٨-٧٩	يس	٤٩

الرقم	الآيـــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
-٤٣	أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٢٥٩	البقرة	٤٩
-٤٤	فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ	٢٤٣	البقرة	٤٩
-٤٥	وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ	٢١	الكهف	٤٩
-٤٦	وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ	٢٦٠	البقرة	٥٠
-٤٧	وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ	٤٤-٤٦	القصص	٥٢
-٤٨	تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ	٤٩	هود	٥٣، ٦٧
-٤٩	ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ	٣٤	مريم	٥٤
-٥٠	إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ	٥٩	آل عمران	٥٤
-٥١	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾	١٤	المُلك	٥٧
-٥٢	فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ	٣٠	المائدة	٥٨
-٥٣	إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ	٥٣	يوسف	٥٨
-٥٤	لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا	٨	يوسف	٥٨
-٥٥	بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا	١٨	يوسف	٥٨
-٥٦	بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾	٢٧	القلم	٥٨
-٥٧	نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ	١٢	الكهف	٦٦
-٥٨	نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ	٢	القصص	٦٦
-٥٩	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟	٩٦	الأعراف	٧٩
-٦٠	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ	٦٠	الكهف	٩١
-٦١	وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا	٥٨	البقرة	٩٣
-٦٢	لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ	٧	يوسف	٩٤
-٦٣	فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ	٦١	الحجر	٩٤

الرقم	الآيـــــــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
٦٤-	وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ	٢١-٢٤	ص	١٠٧
٦٥-	إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ	١٠	الكهف	١٠٨
٦٦-	أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ	٤٤	البقرة	١١١
٦٧-	فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ	٢٣-٢٤	القلم	١٣٤
٦٨-	إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ	١٦٣	النساء	١٣٨
٦٩-	وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ	١٦٢	البقرة	١٣٩
٧٠-	مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا	٢٥	نوح	١٤٠
٧١-	قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ	٢٤	الأعراف	١٦١
٧٢-	إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	٨٢	يس	١٦١
٧٣-	قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ	٢٤	ص	١٦٥
٧٤-	قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا	٣٨	النمل	١٦٧
٧٥-	... ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	٢٤٦	البقرة	١٦٩
٧٦-	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	٦-١٤	الفجر	٢٣٣
٧٧-	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ	٧٥	يونس	٢٣٤
٧٨-	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً	٣٠-٣٩	البقرة	٢٣٦
٧٩-	وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا	٤١	مريم	٢٣٧
٨٠-	وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾	١٧	ص	٢٣٩
٨١-	فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا	٤٠	العنكبوت	٢٤٠
٨٢-	وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ	٦٦	النساء	٢٥٨
٨٣-	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً	٦٧	البقرة	٢٥٩
٨٤-	كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ	٥	الكهف	٢٦٠
٨٥-	وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا	٥	الفرقان	٢٦٢، ٢٦٤

الرقم	الآيـــــــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
-٨٦	وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا	٣١	الأنفال	٢٦٢
-٨٧	يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ	١٢٠	طه	٢٧٣
-٨٨	وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ	٤٧	الذاريات	٣١٠
-٨٩	۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ	٥١	الأنبياء	٣١٧
-٩٠	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا	٧٦-٧٩	الأنعام	٣١٧
-٩١	أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ	٧٥	الشعراء	٣١٨
-٩٢	فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ	٢٥٨	البقرة	٣١٨
-٩٣	قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ	٤١	آل عمران	٣٢٤
-٩٤	قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ	١٠	مريم	٣٢٤
-٩٥	قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ	٥٥	يوسف	٣٢٥
-٩٦	وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ	١٠٠	يوسف	٣٢٥
-٩٧	فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً	٦٥	الكهف	٣٣٢
-٩٨	إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا	٨٤	الكهف	٣٣٢
-٩٩	إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ	٩٠	يوسف	٣٥٥
-١٠٠	وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ	٣١-٣٣	ص	٣٧٠، ٣٧١
-١٠١	"فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا	٢٢	الكهف	٣٧٤
-١٠٢	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ	٩	إبراهيم	٣٧٥

۞ فهرس الأحاديث الشريفة

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١-	حق على الله أن لا يرفع شيئاً من	هـ/١١٩
٢-	الأنبياء أخوة من عَلاَّت ...	٤٤
٣-	يجيء نوح وأمته، فيقول الله: هل بلغت؟ ...	٤٧
٤-	يجيء النبي يوم القيامة معه الرجل ...	٤٧

المراجع

- إبراهيم خليفة: الإحسان في علوم القرآن، بلا مكان طبع، ط١، ٢٠٠٢م.
- إبراهيم عوضين: البيان القصصي في القرآن، دار الأصالة، الرياض، ط٢، ١٩٩٠م.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن، مطبوعات جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ١٩٩٢م.
- أحمد بهجت: أنبياء الله، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١٥، ١٩٨٧م.
- أحمد عبد الرحمن البنا: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، مع شرحه: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، بلا طبعة.
- أحمد نوفل: مناهج التأليف في القصص القرآني، غير مطبوع.
- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسنته وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، دار الأفكار الدولية، ط١.
- البقاعي، برهان الدين: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
- بكري الشيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م.

- بلبول، عبد الباسط إبراهيم محمد: القصص القرآني، رسالة دكتوراه في التفسير، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر، بلا تاريخ.
- البيومي، محمد رجب: البيان القرآني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد عيسى الترمذي: الجامع المختصر من السنن عن النبي، ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، المعروف بـ: جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، ط١.
- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧١م.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد: قصص القرآن المسمى عرائس المجالس، تحقيق محمد سيد، دار الفخر للتراث، مصر، ط١، ٢٠٠١م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهر/وجدة، ط٣، ١٩٩٢م.
- ابن جزي، محمد بن أحمد الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الفكر.
- ابن حزم الأندلسي: الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة العروبة، مصر، القاهرة، ١٩٦٠.
- خالد صناديقي: قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى"دراسة مقارنة"، ط١، ١٩٩٦م.
- الخطيب، عبد الكريم: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.
- الخطيب، عبد الكريم: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، مؤسسة الرسالة، توزيع الشركة المتحدة، بيروت، بلا طبعة.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، تحقيق د. تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- دروزة، محمد عزة: القرآن المجيد، المكتبة العصرية، بيروت.
- الذهـــبي، محمد حسين: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٨٦م.
- الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، ط٢، ١٩٧٦م، بلا دار نشر.
- الـــرازي، فخـــر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٧م.
- ربـــيع بـــن هادي المدخلي: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، دار الفرقان عجمان، ٢٠٠٠م.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الإمام: تاج العروس، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.
- زلط، القصبي محمود: قضايا التكرار في القصص القرآني، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- الزمخشـــري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث، ط٢، ١٩٨٧م.
- الســـخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مكتبة ابن سينا، مصر، القاهرة، بلا طبعة.

- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٧، ١٩٩٦م.
- سيد قطب: في ظلال القرآن ، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ط١٧، ١٩٩٢م.
- الشرباصي، أحمد: قصة التفسير، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.
- الشرقاوي، حسن محمد: التحليل النفسي في القصص القرآني، مجلة الفيصل السعودية، الرياض، العدد/٩٦، السنة الثامنة، آذار ١٩٨٥م.
- شلتوت، محمود: تفسير القرآن العظيم، دار الشروق، القاهرة، ط٩، ١٩٨٢م.
- أبو شهبة، محمد بن محمد: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد: إرشاد الفحول إلى علم الأصول، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط١.
- شيخو، محمد أمين: عصمة الأنبياء، تحقيق عبد القادر الديراني، مكتبة البشير، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
- صابر طعيمة: العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.
- صلاح الخالدي: القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.

- صلاح الخالدي: مواقف الأنبياء في القرآن، تحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.
- صلاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٨٣م.
- صلاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، الشهير بتاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن "تفسير الطبري"، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- طنطاوي، محمد سيد: القصة في القرآن الكريم، نهضة مصر، ط١، ١٩٩٩م.
- طه عبد الفتاح مقلد: القصص القرآني بين المفسرين والقصاص قديماً وحديثاً، بلا طبعة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
- عبد الرحمن الرفاعي: سليمان بين حقائق التلفزة وعلم التقنية، مكتبة مدبولي الصغير، مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- عبد الصبور شاهين: أبي آدم، قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، مكتبة الشباب، مصر، ط ١، ١٩٩٨م.
- عبد العظيم المطعني: أبي آدم، قصة الخليقة بين الخيال الجامح، والتأويل المرفوض، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ص ١٩٩٩م.
- عبد العليم عبد الرحمن خضر: المسلمون وكتابة التاريخ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

- عبد الغني الراجحي: الإمام محمد عبده، وقصة آدم، مجلة الأزهر، تصدر عن مشيخة الأزهر، الجزء الأول، السنة الثالثة والأربعون، مارس ١٩٧١م.
- عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
- عبد الله كمال: التحليل النفسي للأنبياء، دار الخيال، مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، مكتبة الشباب، بلا طبعة أو تاريخ.
- عبد المجيد وافي: سليمان عليه السلام وملكة سبأ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات العربية، العدد الخامس ، السنة الثالثة عشر، ٢٢ ديسمبر ١٩٨٧م.
- عطية محمد سالم: نبي الله داود ونبأ الخصمين، مجلة الأزهر، تصدر عن مشيخة الأزهر، الجزء الأول، السنة الثالثة والأربعون، مارس ١٩٧١م.
- العمري، أحمد جمال: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ٢٠٠١م.
- الغزالي، محمد: المحاور الخمسة في القرآن الكريم، القاهرة، دار الصحوة ، ط٣، ١٩٩٢م.
- الغزالي، محمد: نظرات في القرآن ، مؤسسة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٥٨م.
- فارس اشتي: مدخل إلى المنهجية في العلوم الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانية، بيروت، العدد الأول، المجلد الأول.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

- فتحي رضوان: القصص القرآني، منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، العدد السابع، السنة الرابعة والثلاثون، يوليو ١٩٧٦م، والعدد الثامن، السنة الرابعة والثلاثون، أغسطس ١٩٧٦م.
- فتحي ملكاوي: منهجية البحث من منظور إسلامي، ورقة عمل قدمت في الدورة الرابعة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، دورة المنهجية الإسلامية، عمان — الأردن، ١٩٩٩م.
- فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٧م.
- فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
- فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، السعودية، ط٥، ١٤٢٠هـ.
- القرضاوي، يوسف: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- كاظم الظواهري: بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ١٤١٢هـ، دون دار نشر أو رقم طبعة.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمرو: تفسير القرآن العظيم، حققه وخرج نصوصه وضبطه حسان الجبالي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٩٩٩م.
- الكفوي، أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني: الكليات، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار عمار، مصر، ط٢.
- محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

- محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن، مع شرح وتعليق خليل عبد الكريم، دار سنا للنشر، ومؤسسة الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩م.
- محمد اليعلاوي: في القصص القرآني، مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد ٢٤، سنة ١٩٨٥م.
- محمد باقر الحكيم: القصص القرآني، دار التعارف للمطبوعات، العراق، ط١، ١٩٩٩م.
- محمد باقر الحكيم: علوم القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٥م.
- محمد بلتاجي: التفسير البياني للقصص القرآني، مجلة أضواء الشريعة ، كلية الشريعة بالرياض، العدد السادس، ١٣٩٥هـ.
- محمد خير محمود العدوي: معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوي، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٨م.
- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- محمد زكي الدين: هذا القرآن فأين منه المسلمون، دار البحوث العلمية للنشر، الكويت، ط١، ١٩٨٧م.
- محمد سالم أبو عاصي: مقالتان في التأويل، معالم في المنهج ورصد الانحراف، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: الأهالي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠م.

- محمــد علي سلامة: منهج الفرقان في علوم القرآن، تحقيق د. محمد سيد أحمد المسير، نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٢م.
- محمد قطب عبد العال: القصة في القرآن، مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- محمد قطب: دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.
- محمد كامل المحامي: القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، ط١.
- محمد كامل حسن المحامي: قصص من القرآن الكريم، المكتب العالمي، بيروت، ١٩٨٢م.
- محمــد محمود حجازي: القصص القرآني في القرآن الكريم، مكتبة دار التفسير، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
- محمــد محمــود حجازي: الوحدة الموضوعية في القرآن، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.
- مســلم بن حجاج: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن رسول الله، المعروف بصحيح مسلم، شركة دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- مصــطفى الــزرقا: طالوت وجالوت، والقرآن وطريقة طالوت في الحكم، مجلة التمدن الإسلامي، جمعية التمدن الإسلامي، سوريا، مجلد/٢٠، الجزء/٣٣، ٣٥، كانون الأول ١٩٦٣م.
- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٠م.
- مناع القطاع: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، بلا تاريخ.

- ابـــن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا رقم طبعة ولا تاريخ.
- موسى شاهين لاشين: اللآلئ الحسان في علوم القرآن، مطبعة الفجر الجديدة، مصر.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، دار القلم، ط١، ١٩٩٠م.
- ميرزا محمد مهدي خان: مفتاح باب الأبواب، مجلة المنار، مصر، ط١، ١٣٢١هـ.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: قصص النبيين للأطفال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٠، ١٩٨٣م.
- النعمان بن حيون التميمي: أساس التأويل ، تحقيق عارف تامر، طباعة لبنان.
- ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.

Abstract

This study deals with the composition directions and curriculums in the stories of Koran as well as it deliberates the conception of the stories narrated in the holy Koran, moreover ; it deals with the main characteristics and objectives of Koran stories , it is talking about the curriculum of holy Koran In the approach of story events presentation .

Then it talks about the conception of the direction and the curriculum, and about its importance in the study of science and the Islamic sciences, particularly in which related to the stories composition in the holy Koran

The study deliberates to discover the directions of the composers and the composition curriculums in the Koran stories , all of that for demonstrating the differences , the multiplicity and the variability of these curriculums by the expanded huge area of the writer's , composer's , historicist's and interpreter's efforts in the domain of the Islamic and Koran studies , and in the special compositions of the Koran stories . in addition to demonstration of the conception of these curriculums and their characteristics as well as the books at which it represents , and the scientific value that it has .

This study concerns also for putting the main bases and methodology criteria in the study of Koran stories .

As it puts the proposal curriculum for studying the Koran stories , fulfilling the required services for discovering its objectives and values .